بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة العقيدة

وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق

رسالة مقدمة لنيل الدرجة العالمية « الماجستير »

إعداد الطالب/

جمال بن أحمد بن بشير بادي

إشراف

الأستاذ الدكتور / علي بن محمد بن ناصر الفقيهي

العام الدراسي ١٤١٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة العقيدة

وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق

رسالة مقدمة لنيل الدرجة العالية « الماجستير »

إعداد

الطالب / جمال بن أحمد بن بشير بادي

إشـــراف

فضيلة الأستاذ الدكتور/
علي بن محمد بن ناصر الفقيهي

العام الدراسي ١٤١٠ هـ

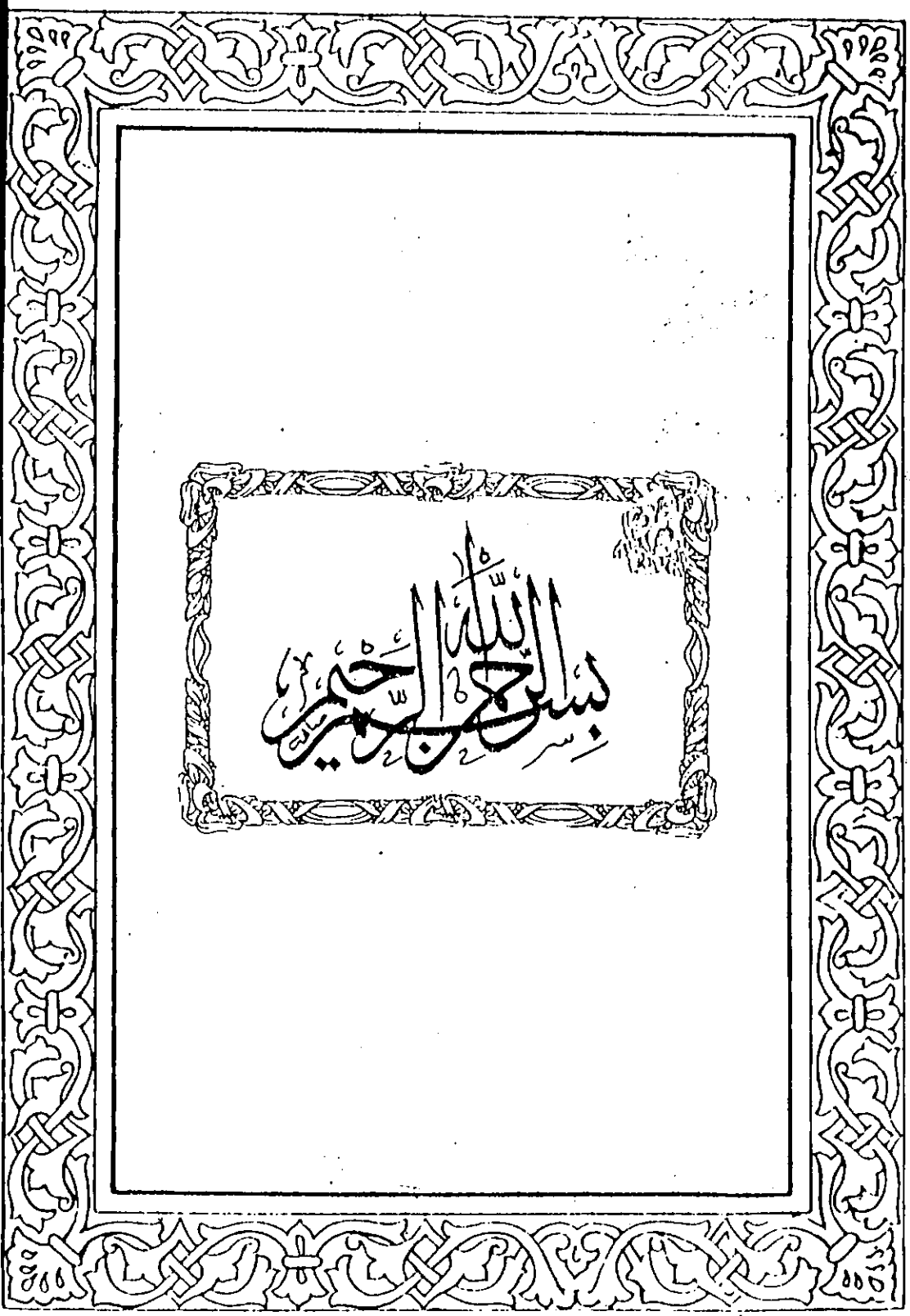
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (١)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)(٢)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)(٣)(٤)

أما بعـــد :

فإن من الأصول العظيمة التى بنى عليها دين الإسلام ، أمره بالجماعة والإئتلاف ، ونهى عن الفرقة والإختلاف ، يقول الله تعالى :

(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (٥) ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه عنه أبو هريرة - رضى الله عنه - :"إنّ اللَّهَ يرضى لكم ثلاثاً ، أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم "(٦)

---

(١) آل عمران آية ١٠٢

(٢) النساء آية ١

(٣) الأحزاب آية ٧٠

(٤) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة - انظر صحيح مسلم (٣٣٦/١)، وسنن ابن ماجة (٦٠٩/١)

(٥) آل عمران آية ١٠٢

(٦) أخرجه الإمام أحمد (٢٦٠٨/١) وغيره ، وسيأتى له مزيد تخريج فى الفصل الثانى من الباب الأول.

بل إن هذا الأصل هو من أكد الأصول في هذا الدين العظيم ، يقول شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : " وهذا الأصل العظيم : وهو الإعتصام بحبل الله جميعا ، وأن لا يُتفرق هو من أعظم أصول الإسلام ، ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه ، ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم ، ومما عظمت به وصية النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن عامة وخاصة " (١)

ولذلك أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بكل ما يحفظ على المسلمين جماعتهم وألفتهم ، ونهيا عن كل ما يعكر صفو هذا الأمر العظيم .

فكل خير يزيد في توثيق عرى هذا الأصل ويقويه مأمور به ، وكل ذريعة لتوهينه وتضعيفة قد سدت .

بل إن الناظر في جل الأحكام الشرعية يلحظ اعتبار هذا الأصل : ففي خضوع المسلمين لرب واحد وعبادتهم له وحده ، وتحقيق التوحيد والإخلاص في ذلك ، مع متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كل هذا من أقوى الروابط التي تجمع المسلمين وتوحد صفوفهم .

والقارىء لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يجد النصوص التي جاءت لحفظ جناب التوحيد والإعتقاد أضعاف ما جاء في غيره ، وكذا الأمر والشأن في متابعة السنة والنهي عن البدع .

ونظرًا لذلك فإن الدعوة إلى توحيد الله ، وعبادته ، وإلى متابعة رسوله صلى الله عليه وسلم والتصدي لأهل الأهواء والبدع ، وإزالة شبههم . هي من مقتضيات المحافظة على هذا الأصل ، لأنه ما أوهن هذا الأصل وأضعفه مثل الذي فعله أهل الأهواء والبدع ببدعهم وتحزباتهم .

ومن أجل المحافظة على وحدة المجتمع المسلم وألفتهم شرعت الصلاة جماعة لأهل الحي في مسجد واحد ، بل إنّ بعض العلماء

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥٩/٢٢

المحققين يرى وجوب أداء الصلاة في جماعة ، وكره بعضهم تكرار الجماعة في المسجد الواحد ، ويرى جمهورهم أداءها خلف الفاسق والفاجر وحتى المبتدع الذى لا يدعو إلى بدعته ، وجاءت النصوص بالأمر بأداءها خلف الأمراء الذين يؤخرونها عن وقتها وذلك بعد أن يؤديها المسلم في أول وقتها .(١)

كل ذلك من أجل المحافظة على اجتماع المسلمين وبقاء ألفتهم. ثم في صيام المسلمين جميعا شهر رمضان ، وما يحصل فيه بينهم من خير وترابط وتعاطف ، وفي سُنية قيامه وأداء صلاة التراويح جماعة ، وفي الزكاة التي هي نصيب مفروض في أموال الأغنياء ليعودوا بها على الفقراء والمحاويج ، وفي اجتماع المسلمين من كل أقطار الدنيا في موسم الحج لأداء هذه الشعيرة جماعة وفي مكان مبارك واحد ، في كل ذلك مراعاة لهذا الأصل العظيم .

وإذا كان هذا الحال مع أركان الإسلام فبقية الأحكام الشرعية من باب أولى ، فانظر إلى أمر الإسلام بالأخوة والتآخي ، والمحبة والتعاطف والتراحم بين المسلمين ، والنهي عن التشاحن والتدابر والتباغض والتحاسد ، والهجران بين المسلم والمسلم لأكثر من ثلاث .

وانظر إلى النهي عن بيع النجش ، وعن خطبة الأخ على خطبة أخيه ، وعن سوم الأخ على سوم أخيه ، وعن الغش والكذب والنميمة ،والغيبة والهمز واللمز ، إلى غير ذلك من الأحكام الشرعية الكثيرة التي لو دققنا النظر في مقاصدها ، والحكمة العظيمة التي وراءها لوجدناها شرعت لحفظ كيان المجتمع المسلم ، وحفظ الرابطة الإيمانية التي تجمع بين أفراده .

وما قاعدة " الولاء والبراء " وهي محبة المسلمين ومودتهم وموازرتهم ، ومناصرتهم وإعانتهم على كل خير ، والتعاون فيما

---

(١) انظر سنن ابي داود كتاب الصلاة . باب اذا أخر الامام الصلاة عن الوقت (رقم ٤٣١-٤٣٤) وقدصحح هذه الاحاديث الشيخ الالباني انظر صحيح سنن ابي داود (١/٨٧-٨٨).

بينهم على البر والتقوى ، وكره وبغض أعداء الله عز وجل وعدم مودتهم ، ووقوف المسلمين صفًا واحدًا ضدهم وقهرهم وإذلالهم ، ما هذه القاعدة إلاَّ من أهم القواعد التي تحفظ وحدة المجتمع المسلم ،وتشد من أركانه ، وتوثق من تراص صفوفه .

وليس المقصود هنا تتبع الأحكام الشرعية واستقصاءها وإنما يكفي التنبيه والإشارة وسرد بعض النماذج ، التي تؤكد على أهمية هذا الأصل . وهذا الأصل كما هو ثابت بالكتاب والسنة ، فهو مقرر وثابت أيضًا بإجماع علماء المسلمين . بل إن هذا الأمر مما يُعلم بالإضطرار من دين الإسلام .

ولكن لعدم مراعاة هذا الأصل ، وضوابطه حصل ما حصل من فرقة المسلمين وتدابرهم ، وتناحرهم ، فوقع أكثر المسلمين في الفرقة التي نهوا عنها وحصل بينهم الأختلاف الذي أمروا بإجتنابه ،فتفرقت صفوفهم ، وضعف اتحادهم ، وصاروا شيعا وأحزابا كل حزب بما لديهم فرحون .

وهذا الأمر وإن كان مما قدره الله عز وجل كونا ، ووقع كما قدّر ، إلا أنه سبحانه لم يقدّره شرعا ، فوحدة المسلمين واجتماعهم مطلب شرعي ، ومقصد عظيم من مقاصد الشريعة ، ونحن مأمورون بالأخذ بالأسباب ، وأن نفر من قدر إلى قدر ، ومأمورون بالتواصي بالحق، والتواصي بالصبر ،و(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ(1)) فلابد من تضافر الجهود بين علماء الإسلام ، وطلبة العلم لإصلاح ذات البين إصلاحًا حقيقيًا لا تلفيقيًا كما نرى ونشاهد فإن أنصاف الحلول تفسد أكثر مما تصلح .

قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - : «الجهاد نوعان : جهاد يقصد به صلاح المسلمين وإصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم ، وجميع شئونهم الدينية والدنيوية ، وفي تربيتهم العلمية ، وهذا النوع هو أصل الجهاد وقواعده ، وعليه يتأسس النوع الثاني ، وهو جهاد يقصد به دفع المعتدين على الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين والملحدين وجميع أعداء الدين ومقاومتهم ، وهذا نوعان :

---

(1) الرعد آية 11

جهاد بالحجة والبرهان واللسان ، وجهاد بالسلاح المناسب في كل وقت وزمان "(١)

ثم أفرد فصلا بعنوان "الجهاد المتعلق بالمسلمين بقيام الألفة واتفاق الكلمة "(٢)

وبعد أن ذكر الآيات والأحاديث الدالة على وجوب تعاون المسلمين ووحدتهم قال : " فإن من أعظم الجهاد السعي في تحقيق هذا الأصل في تأليف قلوب المسلمين ، واجتماعهم على دينهم ومصالحهم الدينية والدنيوية "(٣)

ولتحقيق هذه الغاية فلابد من وجود دراسات جادة تبحث عن أسباب فرقة المسلمين ، ومن ثم محاولة علاجها . وكان هذا من أسباب اختياري لهذا الموضوع .

ولقد كان لسلفنا الصالح عناية فائقة بهذا الموضوع ، فمنذ أن بدأت عوامل الفرقة تدب في المجتمع الإسلامي ، وخرجت فرق الأهواء والبدع التي شقت الصف الإسلامي ، بدأ الأئمة الأعلام في مواجهة هذه المحنة ، فألفوا الكتب والمصنفات التي ذكروا فيها الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب لزوم الجماعة ونبذ الفرقة ، ووجوب التمسك بالكتاب والسنة ، والنهي عن الإبتداع في الدين ، وفي آخر هذه الكتب يذكرون بالدليل الشرعي الإعتقاد الصحيح ، ودين الإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، ودعا إليه أمته ، وتركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ومن هذه المصنفات على سبيل المثال لا الحصر : " الشريعة للآجري (٣٦٠هـ)"، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " للالكائي (٤١٨هـ) ، و" الإبانة الصغرى " و " الإبانة الكبرى " لابن بطة العكبري

---

(١) وجوب التعاون بين المسلمين (ص ٥) ط مكتبة المعارف - الرياض سنة ١٤٠٢هـ

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) المصدر السابق ص ٥

(٢٨٧هـ) و " السنة " لابن أبي عاصم (٢٨٧هـ) ، وغيرها .(١)

كما لا يكاد يخلو كتاب من كتب السنة من الكلام في هذا الموضوع ، وتخصيص باب من أبوابه يذكر فيه المصنف الأحاديث الصحيحة التي وردت فيه (٢) .

كما توجد بعض الدراسات المعاصرة حول هذا الموضوع ، ومن ذلك رسالة بعنوان" تفسير موضوعي للآيات القرآنية في الاعتصام وذم التفرق والإختلاف" (٣)

وقد قسّم الباحث رسالته إلى ثلاثة أبواب : ذكر في الباب الأول ما ورد بشأن الإعتصام والتفرق في القرآن الكريم .

وفي الباب الثاني : تحدث عن اختلاف البشر وافتراقهم إلى ثلاث طوائف : مؤمن ، وكافر ، ومنافق ، ثم ذكر أسباب التفرق والاختلاف - بين الناس عموما - والتي نص عليها القرآن الكريم .

وفي الباب الثالث : بيّن أثر الفرقة والاختلاف في حياة المسلمين ثم ذكر طرق حل النزاع ، وحسم الخلاف ومنعه من القرآن الكريم .

وهي رسالة كما يظهر من عنوانها ، ويتبين من موضوعاتها ، يغلب عليها جانب التفسير .

ويمكن تلخيص ما قدمته رسالتي هذه في المسائل التالية :

الأولى : لقد كان تناولي للموضوع من الناحية العقدية .

الثانية : رسالتي موجهة لكل منتسب إلى الإسلام ، بأنه واجب عليه عليه أن يلزم " الجماعة " بالمعاني التي وضحتها في الفصل الثالث من الباب الأول .

---

(١) سيأتي ذكر هذه المصنفات في الفصل الأول من الباب الثالث من هذه الرسالة ان شاء الله تعالى .
(٢) انظر الفصل الثاني من الباب الأول من هذه الرسالة .
(٣) تقدم بها الطالب /ناصر بن سلطان بن ناصر المشعل لنيل درجة الماجستير في قسم التفسير بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٩هـ)

ففيها دعوة لأهل السنة بأن يتآلفوا ويتآخوا ، وألا يفترقوا ولايتحزبوا، وفيها دعوة لأهل الأهواء والبدع ،بأن الواجب عليهم تـــــــــرك ما هم عليه من الإبتداع الذى فرقوا به صف الأمة الاسلامية ، وأن يرجعوا إلى عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة التى هى الأصل الـــذى حـادوا عنـــه .

الثالثة : قمت فى أحد فصول الرسالة بدراسة الموضوع - دراســـة حديثية ، لأن السنة كما هو معلوم موضحة للقرآن ، ومفصلة لمجملـــــه ، ولا يخفى أن فى اكتمال الدراسة من الناحية الحديثية أثره البالغ فى تكامل الموضوع .

الرابعة : قمت بدراسة تفصيلية لمعنى " الجماعة " المأمور بلزومها .

الخامسة : قمت بدراسة تفصيلية لأسباب الافتراق والاختلاف .

السادسة :- حاولت أن اقدم حلا مفصلا ، ومدعما بالأدلة الشرعية وأقـوال أهل العلم ، لمشكلة الاختلاف والتفرق .

خطة الرسالـة :

قمت بتقسيم هذه الرسالة إلى مقدمة وثلاثة أبـــواب وخاتمة ، أما المقدمة فقد بينت فيها أهمية الموضوع وسبب اختيـــارى له ، ثم ذكرت اهتمام السلف الصالح به وأشرت إلى بعض مؤلفاتهـــم حول الموضوع . ثم ذكرت أهم الدراسات المعاصرة حوله ، وما قدمتـــه هذه الرسالة . ثم ذكرت خطة البحث وختمت المقدمة بالشكر لأهل الفضل بعد الله عز وجل .

الباب الأول : فى الأدلة من الكتاب والسنة فى الحث على الجماعـــة وذم التفرق ويشتمل على أربعة فصـــول :

الفصل الأول : الأدلة من الكتاب في الحث على الجماعة وذم التفرق .

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : الأدلة من الكتاب في الحث على الجماعة .

المبحث الثاني : الأدلة من الكتاب في ذم التفرق .

الفصل الثاني : الأدلة من السنة في الحث على الجماعة وذم التفرق.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الأدلة من السنة في الحث على الجماعة .

المبحث الثاني : الأدلة من السنة في ذم التفرق .

الفصل الثالث : في معنى الجماعة الواردة في " الأحاديث "

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : أقوال العلماء الواردة في معنى " الجماعة "

المبحث الثاني : خلاصة أقوال العلماء .

المبحث الثالث : تعقيبات الشاطبي على الأقوال الواردة في معنى "الجماعة "

المبحث الرابع : آراء بعض المعاصرين في الموضوع .

الفصل الرابع : ما جاء في شأن الطائفة المنصورة .وفيه خمسة مباحث:

المبحث الاول : الاحاديث الواردة في الطائفة المنصورة .

المبحث الثاني : بيان معاني بعض الكلمات ،والجمع بين هذه الاحاديث وأحاديث اخرى .

المبحث الثالث : ذكر أقوال العلماء في المراد بهذه الطائفة المنصورة .

المبحث الرابع : تحديد مكانها .

المبحث الخامس : تفسير المراد بالظهور في الأحاديث .

الباب الثاني : الأسباب المؤدية إلى التفرق .

وفيه سبعة فصول :

الفصل الاول : الإبتـــداع .

وفيه ستـة مباحث :

المبحث الاول : تعريف البدعة لغة واصطلاحا ، والعلاقة بين المعنيين

المبحث الثاني : الابتداع أعظم اسباب التفرق .

المبحث الثالث : عناية السلف الصالح بهذا الموضوع .

المبحث الرابع : خطورة الابتداع ، والاثر السيء للبـدع .

المبحث الخامس : الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالـح في ذم الابتداع والمبتدعين .

المبحث السادس : انشقاق الفرق عن جماعة المسلمين . وقد قدمت فيـه نماذج لانحراف مفهوم التوحيد عند بعض الفرق لمخالفه لأهل السنة والجماعة .

الفصل الثاني : الجهـل .

وفيـه مبحثان :

المبحث الأول : بيان أن الجهل من أسباب الاختلاف والتفرق .

المبحث الثاني : الكلام عن مسألة العذر بالجهل .

الفصل الثالث : اتباع الهـوى .

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الاول : تعريف الهوى لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : بيان أن اتباع الهوى من أسباب الاختلاف والتفرق .

المبحث الثالث : في اتباع الهوى مخالفة لمقاصد الشريعة .

المبحث الرابع : العلاج الناجع لهذا الداء الخطير.

الفصل الرابع : تحكيم العقل وتقديمه على النصوص .

وقد ذكرت فيه القانون الكلي الذي وضعه الرازي ،ثم عرضت رد شيخ الاسلام على هذا القانون .

الفصل الخامس : التقليد والتعصب والتصميم على اتباع العوائد .

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : تعريف التقليد والتعصب لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : بيان أنه من الأسباب المؤدية إلى التفرق .

المبحث الثالث : الأدلة على النهي عن التقليد والتعصب .

المبحث الرابع : الفرق بين التعصب والثبات على الحق .

المبحث الخامس : الكلام عن مسألة التقليد في الأحكام العملية الفقهية .

الفصل السادس : الدعاية السيئة ضد أهل السنة والجماعة وعقيدتهم وقد بينت فيه الأسلوب الذي اتبعه أهل الأهواء والبدع في تنفير الناس وصدهم عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، وتهجمهم على أئمة أهل السنة ونبزهم لهم بأشنع الألقاب وأبشع الألفاظ .
ثم بينت براءة أهل السنة من تلك التهم والألقاب التي وجهت إليهم . ثم قدمت نموذجا لكلام أحد المبتدعة المعاصرين الذين أكثروا من الطعن والنيل من علماء أهل السنة وعقيدتهم .

الفصل السابع : مخالفة أهل الأهواء والبدع لمنهج أهل السنة والجماعة في النظر والاستدلال .

وفيه أربعة مباحث .

المبحث الأول : لأهل السنة والجماعة منهجهم كما أن لأهل البدع مناهجهم .

المبحث الثاني : مخالفة أهل الأهواء والبدع لمنهج أهل السنة والجماعة في النظر والاستدلال كان سببا في التفرق

المبحث الثالث : الأصول العامة لمنهج أهل السنة والجماعة في النظر والاستدلال .

المبحث الرابع : الأصول العامة لمنهج أهل الأهواء والبدع في النظر والاستدلال .

الباب الثالث : السبيل إلى لزوم الجماعة .

ويشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول : تصحيح الاعتقاد والرجوع إلى عقيدة السلف الصالح
وفيه ثمانية مباحث :

المبحث الأول : المقصود بالسلف الصالح .
المبحث الثاني : الأدلة على وجوب اتباع السلف الصالح ولزوم مذهبهم
المبحث الثالث : اهتمام العلماء بعقيدة السلف الصالح .
المبحث الرابع : منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة .
المبحث الخامس : خصائص ومميزات عقيدة السلف الصالح .
المبحث السادس : خصائص أهل السنة والجماعة ومميزاتهم .
المبحث السابع : تعريف بعقيدة أهل السنة والجماعة .
المبحث الثامن : علماء رجعوا إلى عقيدة السلف الصالح .

الفصل الثاني : تحكيم الكتاب والسنة .
وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الأدلة على وجوب تحكيم الكتاب والسنة من القرآن الكريم .
المبحث الثاني : الأدلة على وجوب تحكيم الكتاب والسنة من السنة النبوية .
المبحث الثالث : الأدلة على وجوب تحكيم الكتاب والسنة من أقوال السلف الصالح .

الفصل الثالث : الإخلاص وتجريد المتابعة .
وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الاول : الأدلة من القرآن الكريم .
المبحث الثاني : الأدلة من السنة النبوية .
المبحث الثالث : الأدلة من أقوال السلف الصالح .

الفصل الرابع : طلب العلم الشرعي والتفقه في الدين .
وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : ماجاء في فضل العلم والحث عليه .
المبحث الثاني : بيان أن المقصود بالعلم في الآيات والأحاديث هو العلم الشرعي .

المبحث الثالث : انقسام العلم إلى نافع وغير نافع .

المبحث الرابع : انقسام طلب العلم إلى فرض عين وكفاية .

المبحث الخامس : اخلاص النية في طلب العلم .

المبحث السادس : إقتضاء العلم العمل .

المبحث السابع : فضل علم السلف على علم الخلف .

الفصل الخامس : طلب الحق وتحريه واتباع الدليل والإلتزام به .

وفيه أربعة مباحث .

المبحث الأول : معنى الحق .

المبحث الثاني : وجوب اتباع الحق وعظيم خطر عدم قبوله .

المبحث الثالث : وجوب اتباع الدليل الشرعي .

المبحث الرابع : بعض الوسائل التي تعين على الوصول الى الحق .

الخاتمة : وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها في هذا البحث ثم عملت فهرسًا للآيات القرآنية وآخر للإحاديث النبوية ، وثالثًا للآثار ،ورابعًا للمراجع ، وخامسًا للموضوعات .

وأسال الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ،وأن يغفر لي أي خطأ أو زلل كان فيه ، إنه سميع مجيب .

شكر :

بعد شكر الله عز وجل ، أتقدم بالشكر إلى القائمين على الجامعة الإسلامية ، على ما يبذلونه من خدمة لأبناء العالم الإسلامي الذين يفدون على هذه الجامعة المباركة ، وعلى جهودهم الطيبة في نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

الباب الاول

الأدلة من الكتاب والسنة في الحث على الجماعة وذم التفرق

ويشتمل على أربعة
فصول

الفصل الأول : الادلة من الكتاب في الحث على الجماعة وذم التفرق .

الفصل الثاني : الأدلة من السنة في الحث على الجماعة وذم التفرق .

الفصل الثالث : تفسير معنى الجماعة الواردة في الاحاديث .

الفصل الرابع : ما ورد في شأن الطائفة المنصورة

الفصل الأول

"الأدلة من الكتاب في الحث على الجماعة وذم التفرق"

وفيه مبحثان

المبحث الأول : الأدلة من الكتاب في الحث على الجماعة

المبحث الثاني : الأدلة من الكتاب في ذم التفرق

الفصل الاول

الادلة من الكتاب في الحث على الجماعة وذم التفرق

المبحث الاول : الادلة من الكتاب في الحث على الجماعة .

تمهيد

لقد وردت في كتاب الله الكريم ، آيات تأمر المؤمنين وتحثهم على لزوم الجماعة ، والائتلاف ، وتبين لهم ان الامة الاسلامية أمة واحدة ،وهي حقيقة جاء تاكيدها في اكثر من موضع من القرآن الكريم .

ولكن لابد لهذا الاصل العظيم من شروط يجب تحقيقها ،وضوابط يجب مراعاتها ، ولا سبيل الى تحقيق هذه الغاية الجليلة الا باعتبار تلك الشروط والضوابط .

لذلك جاءت آيات اخرى مبينة للشروط ،وموضحة للضوابط، ومن أمثلة ذلك الأمر باقامة الدين كله ، بتوحيد الله تبارك وتعالى ،واجتناب الشرك بكافة أنواعه وفروعه .

ومن ذلك أيضا الحث على الاخوة الإيمانية ،والأمر بالتعاون على البر والتقوى . وقد استنبط العلماء - رحمهم الله - من هذه الآيات ، المقومات الصحيحة لاجتماع المسلمين وتآلفهم .

وفيما يلي ذكر أهم الادلة من القرآن الكريم على وجوب لزوم الجماعة : -

(الدليل الاول) قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (١)

ذكر ابن جرير - رحمه الله - بأسانيده عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال في قوله تعالى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا) قال: الجماعة . (٢)

وذكر بأسانيده أقوالا أخرى عن السلف في تفسير معنى (حَبْلِ اللَّهِ) منها : القرآن ،والاخلاص لله وحده ،والاسلام.(٣)

---

(١) آل عمران آية ١٠٢

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن ج ٤/٣٠-٣١

(٣) نفس المصدر السابق .

وهذه الأقوال مؤداها واحد ، ونتيجتها واحدة ، فإنّ الإعتصام بالقرآن ، والإخلاص لله وحده ،والتمسك بالإسلام الصحيح الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها مما ينتج عنه تآلف المسلمين واجتماعهم وترابطهم وتماسك مجتمعهم .

وقال ابن جرير - رحمه الله - فى تفسير هذه الآية:(يريد بذلك تعالى ذكره :وتمسكوا بدين الله الذى أمركم به ،وعهده الذى عهده إليكم فى كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله (١)

وقال ابن كثير - رحمه الله -:(وقوله (وَلَا تَفَرَّقُوا) أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقه .
وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهى عن التفرق والأمر بالإجتماع والائتلاف) .

إلى أن قال:(وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ ،كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضا . وخيف عليهم الإفتراق والإختلاف فقد وقع ذلك فى هذه الامة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة ، منها فرقة ناجية إلى الجنة ومسلمة من عذاب النار ، وهم الذين على ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه) (٢)

وقال القرطبى - رحمه الله - فى تفسير هذه الآية :(عن عبدالله بن مسعود (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) قال: الجماعه ، روى عنه وعن غيره من وجوه ،والمعنى كله متقارب متداخل(٣) فإنّ الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة فإن الفرقة هلكة والجماعة نجاة . ورحم الله ابن المبارك حيث قال:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا ... منه بعروته الوثقى لمن دانا (٤)

وقال الشوكانى - رحمه الله - (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا)الحبل لفظ مشترك ،وأصله فى اللغة السبب الذى يتوصل به إلى البغية ، وهو إما تمثيل أو إستعارة . أمرهم سبحانه بأن يجتمعوا على التمسك بدين الإسلام أو بالقرآن ، ونهاهم عن التفرق الناشىء عن الاختلاف فى الدين (٥)

---

(١) جامع البيان ٣٠/٤
(٢) تفسير القرآن العظيم ج ١ / ٣٨٩
(٣) يقصد بذلك الأقوال المذكورة عن السلف فى تفسير معنى (حبل الله)
(٤) الجامع لأحكام القرآن ج ٤ /١٥٩
(٥) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ج١/٣٦٧

وتبين لنا من كلام هؤلاء العلماء الأجلاء المنهج الصحيح الذى يؤدى إلى اجتماع كلمة المسلمين وتآلفهم . فإننا نلاحظ العبارة الدقيقة التى استعملها الطبرى - رحمه الله - حيث قال:(والإجتماع على كلمة الحق)،فإنه بدون هذا الضابط لا يكون الإجتماع صحيحًا .

فلابد من أن يكون أساس الاجتماع هو الحق وكلمة الحق، وهذه الكلمة غالبا ما تطلق على كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ولازمتها (محمد رسول الله) وذلك على فهم السلف الصالح لها بمراعاة شروطها ، ولوازمها ، وحقيقتها ،ومعناها الصحيح مع معرفة نواقضها للاحتراز منها.

ثم نلاحظ أن ابن كثير - رحمه الله - بعد ذكره للإختلاف والفرقة التى حصلت فى هذه الأمة ، جعل مناط النجاة والفوز أن يكون المسلم متمسكا بما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم فيكون بذلك من الفرقة الناجية وذلك لما ورد فى حديث الإفتراق الصحيح الذى سيأتى تخريجه فى الفصل القادم.

ويقول الشوكانى - رحمه الله -:(أمرهم سبحانه بأن يجتمعوا على التمسك بدين الإسلام أو بالقرآن) إذن فهى العودة الصحيحة إلى الينابيع التى قام عليها هذا الدين وهى الكتاب والسنة و ما كان عليه سلفنا الصالح .

أما حقيقة الإعتصام بكتاب الله فيوجزها ابن القيم - رحمه الله - (هو تحكيمه دون آراء الرجال ومقاييسهم ،ومعقولاتهم ،وأذواقهم وكشوفاتهم ومواجيدهم . فمن لم يكن كذلك فهو منسل من هذا الإعتصام. فالدين كله فى الإعتصام به وبحبله،علمًا وعملاً ،وإخلاصًا واستعانةً ، ،ومتابعةً ،واستمرارًا على ذلك إلى يوم القيامه)(١)

وأما قوله تعالى فى آخر الاية (وَلَا تَفَرَّقُوا) فقد قال ابن جرير -رحمه الله - فى تفسيرها: (يعنى جل ثناؤه بقوله (وَلَا تَفَرَّقُوا) :

---

(١) مدارج السالكين ج ٣٢٣/٣

ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذى عهد اليكم فى كتابه من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والانتهاء الى أمره .(١)

ثم ذكر بسنده عن قتادة فى قوله تعالى:(وَلاَ تَفَرَّقُوا واذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) أنه قال: " إن الله عز وجل قد كره لكم الفرقة وقدم إليكم فيها ، وحذركموها ، ونهاكم عنها ، ورضى لكم السمع والطاعة ، والألفة والجماعة ، فارضوا لأنفسكم ما رضى الله لكم إن استطعتم ، ولاقوة إلا بالله " (٢)

وقال القرطبى - رحمه الله - فى شأن ما يستنبط من الآية من الأحكام :-

" الثانية - قوله تعالى : (ولا تفرقوا) يعنى فى دينكم كما افترقت اليهود والنصارى فى أديانهم ، عن ابن مسعود وغيره . ويجوز أن يكون معناه ولا تفرقوا متابعين للهوى والأغراض المختلفة ، وكونوا فى دين الله إخوانا ، فيكون ذلك منعا لهم عن التقاطع والتدابر ، ودل عليه ما بعده وهو قوله تعالى (واذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُم أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا) وليس فيه دليل على تحريم الإختلاف فى الفروع ، فإنّ ذلك ليس إختلافاً إذ الإختلاف ما يتعذر معه الأئتلاف والجمع ، وأما حكم مسائل الإجتهاد فإنّ الإختلاف فيها بسبب استخراج الفرائض ودقائق معانى الشرع ، وما زالت الصحابة يختلفون فى أحكام الحوادث ، وهم مع ذلك متآلفون" (٣)

وقال القرطبى - رحمه الله - بـ " وقال ابن عباس لسماك الحنفى: - يا حنفى الجماعةَ الجماعةَ إ فإنّما هلكت الأمم الخالية لتفرقها ، أما سمعت الله عز وجل يقول: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا)"

---

(١)،(٢) جامع البيان ٣٢/٤
(٣) الجامع لأحكام القرآن ح ١٥٩/٤

إلى أن قال . " فأوجب تعالى علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه والرجوع إليهما عند الإختلاف ، وأمرنا بالإجتماع على الإعتصام بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً ، وذلك سبب اتفاق الكلمة وانتظام الشتات الذى يتم به مصالح الدنيا والدين ، والسلامة من الاختلاف ، وأمر بالاجتماع ونهى عن الإفتراق الذى حصل لأهل الكتابين " (١)

الذى يتأمل فى كلام القرطبى - رحمه الله - وخاصة قوله . " وأمرنا بالإجتماع على الإعتصام بالكتاب والسنة إعتقاداً وعملاً ، وذلك سبب اتفاق الكلمة وانتظام الشتات" يدرك تماما أنَّ هذه هى الركيزة والقاعدة الأساسية فى اجتماع كلمة المسلمين ، وحصول تآلفهم ، وأنَّ هذا هو الحل الصحيح لمأساة الفرقة التى وقعت بين المسلمين ، وأنَّ أيَّ قاعدة أخرى لن تفلح فى اتفاق الكلمة وانتظام الشتات كما عبر القرطبى - رحمه الله - ، وأنَّ أيَّ حل تلفيقى آخر لن ينجح لحل مأساة فرقة المسلمين ، مثل محاولة التقريب بين المذاهب العقدية التى طرحها بعض الناس فى عصرنا .

وهذه الآية الكريمة من سورة آل عمران هى الآية الجامعة فى هذا الباب ، وكفى بها آية عظيمة استطاع المفسرون وعلماء الإسلام أن يستنبطوا منها مقومات الألفة والترابط التى تكفل اجتماع المسلمين وائتلافهم ، وتقضى على أسباب الفرقة والإختلاف .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤/١٦٤

(الدليل الثانى) :قوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)(١)

نصت هذه الآية الكريمة على مبدأ عظيم من مبادىء دين الإسلام ألا وهو التآخى فى الله والتحابب فيه . وقد أولى الإسلام هذا الجانب عناية كبيرة ، ويعتبر من الدعائم الرئيسه التى تقوم عليها وحدة المسلمين وائتلافهم واجتماعهم . لذلك نجد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان من أول الأعمال العظيمة التى قام بها بعد هجرته إلى المدينة المنورة ، هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. وقد كان لهذا التآخى عظيم الأثر فى وحدة المجتمع المسلم وفى تماسكه وترابطه . يقول الشيخ محمد الصادق عرجون - رحمه الله - : " وبهذه المؤاخاة الاجتماعية فى الإرتفاق والمناصرة ، والتعاون والتساعد والتعاضد ، والحب فى الله ولله الذى جعله النبى صلى الله عليه وسلم أساسًا لهذه المؤاخاة بقوله لأصحابه من المهاجرين والأنصار:" تآخوا فى الله ، أخوين ، أخوين " تم تصحيح تركيب المجتمع المسلم .

والتآخى فى الله هو الثمرة الجنية العملية للحب فى الله الذى اتخذته الوحدة الإيمانية عنوانها على وجودها فى واقع حياة المجتمع المسلم لقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث البخارى :" لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه .

وتصحيح تركيب المجتمع المسلم على أساس الحب فى الله ولله جعل من هذا المجتمع يدًا واحدةً ، وكلمةً واحدةً ، وعملاً واحدًا ، وذمةً واحدةً ، ودمًا واحدًا ، وفكرًا واحدًا ، ونظامًا واحدًا فى سياسته ووسائل حياته وتربيته وسلوكه وأخلاقياته ، كما أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الثابت:" المسلمون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم" (٢)

(١) الحجرات آية ١٠

(٢) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٥١/٣

ولقد عدَّ النبى صلى الله عليه وسلم الحُبَ فى الله من أوثق عرى الإيمان فقال فى الحديث الصحيح الذى يرويه عنه ابن عباس - رضى الله عنهما -: " أوثق عرى الايمان الموالاة فى الله ، والمعاداة فى الله ، والحب فى الله ، والبغض فى الله (١)

وقد عدَّ النبى صلى الله عليه وسلم الحب فى الله من الأسباب التى يجد بها الموءمن حلاوة الإيمان ، فعن أنس - رضى الله عنه - عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، أن يكون اللهُ ورسولهُ أحبَ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلاّ لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن انقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار " (٢)

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:" سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلاَّ ظله " وعدَّ منهم: " ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه"(٣)

وعن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " أحقت محبتى للمتحابين فيّ ، وحقت محبتى للمتواصلين فيّ ، وحقت محبتى للمتناصحين فيّ ، وحقت محبتى للمتزاورين فيّ ، وحقت محبتى للمتباذلين فيّ . قال الله تعالى: المتحابون فيّ على منابر من نور ، يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء" (٤)

---

(١) سلسله الاحاديث الصحيحة (رقم (٩٩٨)
(٢) متفق عليه - أخرجه البخارى فى ٢ كتاب الايمان ٩ - باب حلاوة الايمان ، وأخرجه مسلم فى ١ - كتاب الايمان ، ١٥ - باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الايمان .
(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الأذان ٣٦ - باب من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة ، وفضل المساجد (رقم ٦٦٠) ، وكرره فى أكثر من موضع انظر (رقم ١٤٢٣ ، ٦٤٧٩ ، ٦٨٠٦)
(٤) صحيح الجامع الصغير رقم (٤١٩٧)

وهكذا نلاحظ أنَّ الأخوة في الله كما أنَّ فضلها عظيم فهي من ركائز الإيمان التي ينبغي لكل مسلم أن يعنى بها .

والناظر في حياة المسلمين اليوم يرى أن هذا المبدأ العظيم قد اعتراه الوهن والضعف وذلك لتفريط المسلمين في حقه وعدم اعتنائهم به أفراداً وجماعاتٍ . فنجد على مستوى الأفراد عدم مراعاة حق الجوار حتى أنَّ الجار قد لا يعرف جاره ، وعلى مستوى الجماعات حصول القطيعة بين الجماعات التي تدّعي الدعوة إلى الله وإلى جمع كلمة المسلمين ، وهم أولى بجمع كلمتهم وتآلفهم ليكونوا بذلك قدوة لمجتمعاتهم الإسلامية .

الدليل الثالث : قوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) (١)

تقرر هذه الآية الكريمة مبدأ (الولاء) بين المؤمنين والمؤمنات ، وهو مبدأ أوسع من المبدأ السابق الذي هو (التآخي) وما التآخي إلاّ جزء من الولاء ، قال الشيخ محمد بن سعيد القحطاني في تعريف الولاء : " الولاية هي النصرة والمحبة والإكرام والإحترام والكون مع المحبوبين ظاهرًا وباطنًا " (٢)

وإن كان رابط التآخي قد وهن بين المسلمين فهذا الموضوع - وهو الولاء - قد وهن وضعف من باب أولى وذلك لأسباب أهمها : -

(الأول): تفرق المسلمين إلى فرق وشيع وأحزاب حيث أصبح مبدأ الولاء مرتبطاً بالحزب والجماعة لا بالإسلام وهذا غبش في التصور. يقول الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد: " وإنَّ الحزبية ذات المسارات والقوالب المستحدثة التي لم يعهدها السلف من أعظم العوائق عن العلم ، والتفريق عن الجماعة ، فكم

---

(١) التوبة آية ٧١
(٢) الولاء والبراء في الاسلام صـ ٩٠ ط أولى . دار طيبه . الرياض

أوهنت حبل الإتحاد الإسلامي وغشيت المسلمين بسببها الفواشي(١)

(الثاني): تكالب المسلمين على الدنيا وتنافسهم عليها مما سبب بينهم الأحقاد والحسد فأصبحت علاقات الناس مبنية على أمور الدنيا ومصالحها الزائلة وهذا إنقلاب في المفاهيم .

ولقد حذَّر النبيُّ صلى الله عليه وسلم أمته من التنافس على الدنيا وعلل ذلك بأنه سبب للهلاك ، وأخبر بأنَّ هذا الأمر قد وقع في الأمم السابقة . ففي الحديث الذي رواه عمرو بن عوف - رضي الله عنه - أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أبشروا ، وأملو ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم ، كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم "(٢)

وجاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: " من أحب في الله ، وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله ، فإنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإنْ كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامة مواخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً "(٣)

---

(١) حلية طالب العلم ص ٦٢ ط أولى سنة ١٤٠٨هـ دار الراية ، الرياض.

(٢) أخرجه البخاري - كتاب الجزيه والموادعة باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب (انظر الفتح ج ٦ / ٢٥٨) ح ٣١٥٨ وكتاب المغازي الباب ١٢ ج ٧ / ٣١٩ - ٣٢٠ ح (٤٠١٥) ، وأخرجه مسلم - كتاب الزهد والرقائق (ح ٢٩٦١) .

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٣٠ ط ١٣٨٢/٣هـ الحلبي بمصر ، حلية الاولياء (٣١٢/١)

وقد علق الشيخ محمد القحطاني على هذا الأثر - المنقول عن ابن عباس - بقوله :" وفي عصرنا الحاضر عصر المادة والدنيا قد أصبحت محبة الناس في الأغلب على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئا .

ولن تقوم للأمة الاسلامية قائمة إلا بالرجوع إلى الله والإجتماع على الحب فيه والبغض فيه والولاء له والبراء ممن أمرنا الله بالبراء منه ، وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله "(١)

إذن فعلاج الوهن الذي أصاب هذا المبدأ الإسلامي العظيم إنّما يكون بالرجوع إلى الجماعة وترك الفرقة ، وبتحكيم الكتاب والسنة وتدبرهما وفهمهما وبالعودة إلى ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم .

---

(١) الولاء والبراء صـ ٩٢

الدليل الرابع : قال تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ)(١)

وقال تعالى(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) (٢)

فقد حث سبحانه وتعالى فى هذه الآيات الكريمة على إصلاح ذات البين ، وعلى الإصلاح بين المؤمنين إذا حصل بينهم ما يفرق جماعتهم ، وما يكدر عليهم صفو ألفتهم . وما ذلك إلا ليبقى المجتمع المسلم مترابطًا متحابًا متآلفًا .

وإذا كان فساد ذات البين هى الحالقة التى تحلق الدين كما جاء ذلك فى الحديث الصحيح ، فإنَّ إصلاح ذات البين هو من أعظم القربات إلى الله عز وجل ، لكن قد ينتبه المسلمون إلى إصلاح ذات البين فى الأمور الدنيوية ، من نكاح وبيوع وميراث وما إلى ذلك ، ويغفلون عن إصلاح ذات البين فيما هو أعظم وأهم ألا وهو الإختلاف فيما لا يجوز الإختلاف فيه بحال وهو أمر الدين نفسه من عقائد وسلوك وعبادات والتى مبناها على النص والتوقيف .

موقف السلف الصالح من إصلاح ذات البين فى العقائد والسلوك والعبادة:

إذا نظرنا إلى سيرة سلفنا الصالح فى هذا الموضوع نجد نماذج كثيرة من العلماء الأعلام الذين كانت لهم جهود موفقة فى رد أهل البدع والمخالفين لأهل السنة إلى الحق .

فها هو ابن عباس - رضى الله عنهما - يذهب إلى الخوارج فى عقر دارهم ، ويناظرهم ، ويزيل شبهاتهم ، فيرجع منهم من يرجع ممن شاء الله له الهداية والسلامة ، ويبقى القليل فقط على بدعتهم لسيطرة أهوائهم عليهم .(٣)

(١) الانفال اية (١)
(٢) الحجرات آية ٩
(٣) انظر مجموع الفتاوى لابن تيميه - ١٩ / ٩٢/٨٩ ، تاريخ الطبرى ٦٤/٥ - ٦٦ ، الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٣٢٦/٣ - ٣٢٨

وها هو الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - يثبت في الميدان وحده ، ويعلن عقيدة السلف ويظهرها في أحلك الظروف وأصعبها ، ويناظر خصومه بالكتاب والسنة دون أن يخشى في الله لومة لائم ، حتى لو كان الرأي المخالف لأهل السنة يتبناه السلطان ، ويفرض على المسلمين فرضا بالقوة .(١)

وها هو عبد العزيز الكناني - رحمه الله - لا يصبر لحظة واحدة عندما يسمع بخبر ظهور بدعة بِشر المريسي ومن معه في العراق فيسافر من مكة إلى هناك بعد أن أستخار الله ولجأ إليه بالدعاء أن يوفقه إلى إظهار الحق وقمع البدعة ، وإقامة الحجة على خلقه ، وفور وصوله إلى العراق قام بمناظرة المبتدعة جميعا وهو وحده ، فأقام عليهم الحجة ، وأظهره الله عز وجل عليهم ، مع أنه كان معرضا نفسه للقتل إذا لم يستطع إقناع الأمير وإفحام الخصوم .(٢)

وها هو شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله تعالى - يناظر المبتدعة بكل طوائفهم وفرقهم جماعات وأفراد ، كمناقشته لفرقة البطائحية(٣) ، وكمناقشته للبكري ، فأفحمهم ، وأقام الحجة عليهم ، وأظهره الله على خصومه ، والتزم السنة خلق كثير ،وظهرت السنة وسطع نورها فاستبانت لكل ذي بصيرة ،وانتشرت بين الناس، ولا زالت مناظراته ، وعلمه ، ونصرته للسنة يجني المسلمون ثمارها إلى يومنا هذا .

وكم من الأمثلة الكثيرة في تاريخ سلفنا الصالح المضيء لهذه المسألة المهمة ألا وهي إقامة الحجة على الناس ونشر العلم النافع ، ونصر السنة ، وقمع البدعة ،وإصلاح ذات البين إصلاحاً علمياً صحيحاً لا كما ينادي به بعض المصلحين في عصرنا من الإصلاحات التلفيقية العاطفية .

---

(١) انظر سير اعلام النبلاء للذهبي١١/٢٣٢-٢٦٥.
(٢) انظر تفاصيل هذه القصة في كتاب (الحيده)
(٣) انظر مجموع الفتاوى ١١/٤٤٥ - ٤٧٦ .

لقد قام العلماء الأجلاء من سلفنا الصالح بواجبهم خير القيام ، ونصروا دين الله عز وجل وأظهروا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وحاربوا البدع والضلالات . حتى وصل الأمر بهؤلاء العلماء الأفاضل أن جعلوا إظهار السنة ومحاربة البدعة أفضل من التنسك والنوافل من صيام وقيام وما إلى ذلك ، وعللوا ذلك بأن التنسك والصيام والقيام يعود نفعه على الشخص نفسه فقط ولا يتعداه إلى غيره ، أما نصرة دين الله وإظهار سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقمع البدع فيعود نفعها ويعم خيرها المسلمين جميعا .

وما قام به علماء أهل السنة من نصرة لدين الله يعتبر علم من أعلام نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بخير يفرح له كل من كان متابعًا لسنته وسائرا على هديه صلى الله عليه وسلم وهو قوله: " لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين حتى يأتي امر الله "

ولنا عبرة عظيمة وعظة بليغة في سيرة سلفنا الصالح ومنهجهم النبوي القويم في الدعوة إلى الله وابلاغه الى الناس ، وفيما يلي بعض العبر والعظات :

الأولى :

يجب على من أنعم الله عليهم باقتفاء أثر السلف الصالح، والسير على منهج النبوة ، ونور الله أفهامهم وبصائرهم ، ورزقهم العلم النافع المستقى من مشكاة النبوة ومن النبع الصافي أن يسعوا في إصلاح ذات بين المسلمين الذين مزقتهم الفرق الضالة المبتدعة ، ومزقت صفوفهم الحزبيات الضيقة والإنتماءات الطائفية .

الثانية :

إنَّ من أوجب الواجبات على العلماء وطلبة العلم في وقتنا هذا وفي كل وقت الدعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة وإظهار

دين الله عز وجل ، وتبصير المسلمين بدينهم ، وحثهم على العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتحذيرهم من البدع والإنحرافات والضلالات ، وإزالة الشبهات التي زرعها أولئك المبتدعة الضالون بين أفراد المسلمين ومجتمعاتهم ، وفي ذلك اقتفاء للأثر وائتساء بمن مضى من خير البشر .

الثالثة :

يجب على العلماء وطلبة العلم إخلاص دعوتهم لله ومن مقتضيات ذلك ولوازمه أن لا يحزبوا الناس حولهم ، بل يكون ربطهم للناس - بالكتاب والسنة والعقيدة الصحيحة والمنهج السليم ، ويكون تعبيد الناس لله رب العالمين .

ولا ينبغي ولا يجوز بحال أن تكون الدعوة إلى حزب أو طائفة أو شيخ معين ، فلا معبود بحق إلا الله ، ولا متبوع إلا النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا إنتماء إلاّ إلى الإسلام ، ولا سبيل إلا السنة ، ولا منهج إلا منهج أهل السنة والجماعة .

الرابعة :

ليثبت كل من كان على الطريق الصحيح والمنهج القويم على ما هو عليه متكلا على الله ، مخلصا له الدين ، مرتقيا في درجات الكمال والتقى فإنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

المبحث الثاني: الأدلة من الكتاب في ذم الفرقة

يلاحظ الباحث في آيات القرآن الكريم أنَّ الآيات التي جاءت في ذم الفرقة أكثر عددا من الآيات التي جاءت في الحث على الجماعة ، ولاغرابة في ذلك لأنَّ الجماعة هي الأصل وملازمتها هو الواجب والمطلوب ، أما مفارقة الجماعة فأمر طارئ وحادث وهو مع ذلك أمر خطير وشنيع ، فلذلك جاءت الآيات الكثيرة التي تحذر منه وتحمل في ثناياها الوعيد الشديد لمن ترك الجماعة وفارقها .

وفيما يلي ذكر هذه الأدلة :

الدليل الأول:

قوله تعالى:(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (١)

قال ابن جرير - رحمه الله - " يعني بذلك جل ثناؤه : ولا تكونوا يا معشر الذين آمنوا كالذين تفرقوا من أهل الكتاب ، واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه ، من بعد ما جاءهم البينات ،من حجج الله ، فيما اختلفوا فيه ، وعلموا الحق فيه ، فتعمدوا خلافه ، وخالفوا أمر الله ، ونقضوا عهده وميثاقه ، جرأة على الله ، وأولئك لهم : يعني ولهؤلاء الذين تفرقوا ،واختلفوا من أهل الكتاب ،من بعد ما جاءهم (٢) عذاب من عند الله عظيم ، يقول جل ثناؤه "فلا تفرقوا يا معشر المؤمنين في دينكم تفرق هؤلاء في دينهم ،ولا تفعلوا فعلهم ، وتستنوا في دينكم بسنتهم ،فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم " (٣)

(١) آل عمران من الآية ١٠٥ إلى الآية ١٠٧
(٢) لعله سقطت كلمة (البينات)
(٣) جامع البيان ٣٩/٤

ثم ذكر ابن جرير بسنده عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قوله: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) ونحو هذا فى القرآن أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة ، فنهاهم عن الإختلاف والفرقة ،وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات فى دين الله" (١)

وقال ابن كثير - رحمه الله - فى تفسير الآيات السابقة " ينهى الله تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضين فى افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع قيام الحجة عليهم " (٢)

ثم ساق الإمام ابن كثير - رحمه الله - حديث الإفتراق الذى رواه - الإمام أحمد - رحمه الله - ثم قال:" وقد ورد هذا الحديث من طرق " وذلك إشارة إلى توثيقه وتقويته .

وقال القرطبى - رحمه الله -:" فمن بدل أو غير أو ابتدع فى دين الله ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبتعدين منه المسودى الوجوه ، وأشدهم طردا وإبعادا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم ، كالخوارج على اختلاف فرقها ، والروافض على تباين ضلالها ، والمعتزلة على أصناف أهوائها ، فهؤلاء كلهم مبدلون ومبتدعون ، وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور والظلم وطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم ، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصى ، وجماعة أهل الزيغ والاهواء والبدع ، كل يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بالاية ، والخبر كما بينا ، ولا يخلد فى النار إلا كافر جاحد ليس فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان وقد قال ابن القاسم: " وقد يكون من غير أهل الأهواء من هو شر من أهل الأهواء . وكان يقول: تمام الإخلاص تجنب المعاصى " (٣)

---

(١) جامع البيان ٤/٣٩
(١) تفسير القرآن العظيم ١/٣٩٠
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٤/١٦٨ .

وقال الشوكاني - رحمه الله - في تفسير الآية :"(ولا تكونوا كالذين تفرقوا) هم اليهود والنصارى عند جمهور المفسرين ، وقيل هم المبتدعة من هذه الأمة ، وقيل الحرورية ، والظاهر الأول ، والبينات الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة لعدم الإختلاف " (١)

أما قوله تعالى:(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) فقد قال ابن كثير رحمه الله - في تفسيرها : " يعني يوم القيامة حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة - قاله ابن عباس رضي الله عنهما " (٢)

والقول الذي ذكرة ابن كثير - رحمه الله - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - منقول عن الإمام مالك - رحمه الله - كما نص على ذلك الشاطبي بقوله : " وقال ابن وهب : سمعت مالكاً يقول: ما آية في كتاب الله أشد على أهل الإختلاف من أهل الأهواء من هذه الآية (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) - إلى قوله- (بما كنتم تكفرون) قال مالك : فأي كلام أبين من هذا ؟ فرأيته يتأولها لأهل الاهواء . ورواه ابن القاسم وزاد : قال مالك: إنما هذه الآية لأهل القبلة " (٣)

ولي هنا بعض الوقفات عند الآيات الكريمة السابقة وما ورد في شأنها عن سلفنا الصالح .

الأولى :

أي بينة أعظم وأوضح وأقوى وأجلى من الكتاب والسنة لنا نحن المسلمين ! ، ولقد تعهد الله عز وجل بحفظ الذكر إلى قيام الساعة ،وأمرنا الله عز وجل بإتباع كتابه واتباع ما جاء عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتمسك بالكتاب والسنة كي لا نضل . ومع ذلك وقع الخلاف ، وحصلت الفرقة بين المسلمين .

(١) فتح القدير ١/٣٧٠
(٢) تفسير القرآن العظيم ١/٣٩٠
(٣) الاعتصام ١/٥٦

وليت أنّ هذا الأمر توقف عند مجرد الإختلاف والإفتراق ، ولكن الخطب الجلل والمتمثل في أن كل فرقة تدعي أنها هي الناجية ، وأن غيرها هالك ، وتدعي أنها على الكتاب والسنة ،وغيرها ليس كذلك.

يقول الشاطبي - رحمه الله -:" كل فرقة وكل طائفة تدعي أنها على الصراط المستقيم وأن ما سواها منحرف عن الجادة وراكب بنيات الطريق ، فوقع بينهم الإختلاف " (١)

ويقول في موضع آخر:" فكل فرقة تنازع صاحبتها في فرقة النجاة. ألا ترى أن المبتدع آخذاً أبدًا في تحسين حالته شرعا وتقبيح غيره؟" (٢)

وبهذا أصبح الحق ملتبسا على كثير من الناس ، وراج الكثير من الباطل الذي تدعو إليه فرق الضلال على اختلاف أصنافها بسبب إخراجهم له في قالب حق . يقول ابن القيم - رحمه الله -:" فكل صاحب باطل لا يتمكن من ترويج باطله إلا باخراجه في قالب حق "(٣)

ولكن قد قيض الله تعالى في كل زمان ومكان علماء من هذه الأمة يتمسكون بهدى الكتاب والسنة ، ويحاربون الأهواء والبدع ، ويكونون مشاعل نور ، ومصابيح هدى لمن أراد الحق ، وطلب الهداية ، ونبذ التعصب والهوى ، وهذا مصداق لقول النبي صلي الله عليه وسلم:" لاتزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله "(٤)

وقال الإمام احمد - رحمه الله -:" الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى " إلى أن قال في صفاتهم " ينفون عن كتاب الله تحريف المغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"(٥)

---

(١) الاعتصام ٢/٢٩٠
(٢) الاعتصام ٢/٢٥٣
(٣) اغاثة اللهفان ٢/٨١ وقد ذكر رحمه الله صورا كثيرة لهذه المسأله ، وما هو القالب الذي أخرجت كل فرقة ضلال باطلها فيه ، تراجع الصفحة السابقة .
(٤) سيأتي تخريج الحديث في الفصل الرابع من هذا الباب .
(٥) مقدمة كتاب " الرد على الجهمية والزنادقة " ص ٨٥

فإذا كانت الفرق جميعا تدعى بأنها على الكتاب والسنة فكيف يعرف المسلم أن ما تدعيه هذه الفرقة أو تلك أنه ما جاء به الكتاب والسنه - إن معرفة ذلك يتوقف على فهم منهج أهل الكتاب والسنة فهو الذى يفرق بينها ، فمعرفة المنهج الصحيح هو الذى يميز أهل الحق فى كل مكان وزمان ، وسيأتى مزيد بيان وتفصيل لهذه المسألة فى الباب الثانى من هذه الرسالة .

الثانيـــة:

عند قول ابن عباس - رضى الله عنهما - " أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة ، فنهاهم عن الإختلاف والفرقة "، يتبين لنا من قول هذا الصحابى الجليل أن الإختلاف والفرقة هى السبب فى البعد عن الجماعة ومفارقتها . فالأصل هو الجماعة والبقاء عليها ، فنهى الله عز وجل عن الفرقة والإختلاف لأنها ذريعة إلى ترك الجماعة وبالتالى إلى تشتت المجتمع المسلم وما ذلك إلا بسبب الاهواء والبدع.

ومعلوم فى قواعد الأصول أن الأصل فى الأمر الوجوب ، والأصل فى النهى التحريم مالم يوجد صارف ، فالتزام الجماعة وما هم عليه واجب ، والفرقة والإختلاف محرم ، وما لا يتم ترك الحرام إلا بتركه فتركه واجب ، فترك الفرقة والإختلاف واجب .

الثالثـــة :

القول الذى ذكره ابن كثير عن ابن عباس - رضى الله عنهما بأن الذين تبيض وجوههم يوم القيامة هم (أهل السنة والجماعة) يدل على أن هذا الأسم كان معلومًا ومشهورًا ومستعملاً عند سلفنا الصالح منذ زمن الصحابة رضوان الله عليهم وأنهم كانوا يستعملونه فى مقابل أهل الأهواء والإختلاف والفرقة ، وهذا يحدد لنا أن أهل السنة والجماعة هم الصحابة ومن سار على منهجهم بعكس ما هو الشائع عند الكثير من الباحثين بأن نشأة هذه التسمية كان فى زمن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (١)

(١) والصحيح أن مصطلح أهل السنة والجماعة كان معروفا من أواخر أيام الصحابة عندما ظهرت البدع ، ولكنه شاع استعماله وانتشر فى زمن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -

الرابعـــة :

قول مالك - رحمه الله - " أهل الاختلاف من أهل الأهواء " فيه تخصيص الفرقة والإختلاف بأهل الأهواء والبدع والضلالات ، وفيه إشـــارة أن أهل الحق والعدل والرحمة لا يختلفون اختلافاً يضرهم .

الدليل الثاني : قال تعالى (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) (١)

قال ابن جرير - رحمه الله - : " يقول تعالى ذكره : وهذا الذي وصاكم به ربكم أيها الناس في هاتين الآيتين من قوله (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) وأمركم بالوفاء به ، هو صراطه ، يعني طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده (مستقيمًا) يعني : قويمًا لا إعوجاج به عن الحق (فاتبعوه) . يقول : فاعملوا به ، واجعلوه لأنفسكم منهاجا تسلكونه فاتبعوه (ولا تتبعوا السبل) يقول : ولا تسلكوا طريقا سواه ، ولا تركبوا منهاجًا غيره ، ولا تبغوا دينًا خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية ، وعبادة الأوثان ، وغير ذلك من الملل ، فإنها بدع وضلالات (فتفرق بكم عن سبيله) يقول : فيشتت بكم إن اتبعتم السبل المحدثة التي ليست لله بسبل ولا طرق ، ولا أديان اتباعكم إياها عن سبيله ، يعني عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه ، وهو الإسلام الذي وصى به الأنبياء وأمر به الأمم قبلكم " (٢)

ثم ذكر ابن جرير - رحمه الله - بسنده عن ابن مسعود - رضي الله عنه قال : " خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطًا . فقال : هذا سبيل الله ، ثم خط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطوطًا ، فقال : هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها ، ثم قرأ هذه الآية : (وأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) . ثم ذكر بسنده أيضًا أن رجلاً قال لابن مسعود : ما الصراط المستقيم ؟ قال : تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه ، وطرفه في الجنة ، وعن يمينه جوادّ ، وعن يساره جوادّ ، وثمَّ رجال يدعون من مرّ بهم ، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار ، ومن أخذ

---

(١) الانعام اية ١٥٣
(٢) جامع البيان ٨/٨٧-٨٨

على الصراط إنتهى به إلى الجنة ، ثم قرأ ابن مسعود (وأنَّ هذا صراطى مستقيمًا ..... الآية) " (١)

وقال ابن كثير - رحمه الله - : " قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وفى قوله (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) ونحو هذا فى القرآن قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الإختلاف والتفرقة وأخبرهم أنه إنَّما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات فى دين الله ونحو هذا قاله مجاهد وغير واحد "(٢)

ثم ساق ابن كثير - رحمه الله - حديث ابن مسعود وذكر تخريجه .

وقال الشوكانى - رحمه الله - فى تفسير الآية: " قال ابن عطية: وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية ، والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ فى الفروع وغير ذلك من أهل التعمق فى الجدل والخوض فى الكلام ، هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد " (٣)

إلى أن قال - رحمه الله - : " وقد أخرج الترمذى وحسنه وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وأبو الشيخ وابن مردويه عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أيكم يبايعنى على هؤلاء الآيات الثلاث ؟ ثم تلا (قل تعالوا) إلى ثلاث آيات ، ثم قال: فمن وفى بهن فأجره على الله ومن انتقص منهن شيئا فأدركه الله فى الدنيا كانت عقوبته ، ومن أخرّه إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء آخذه وإن شاء عفا عنه " (٤)

---

(١) جامع البيان ٨/٨٨- ٨٩
(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/١٩٠
(٣) فتح القدير ٢/١٧٨
(٤) نفس المصدر السابق

ولى بعض التعقيبات على ما ورد فى تفسير الآية الكريمة:

الأولى:

إنَّ هذا الدين من عند الله ، وكما هو من عند الله فإنَّ منهجه وطريقة عمله فى حياة الناس ربانى من عند الله ، فعبادة الله عز وجل وتوحيده ، وكيفية الوصول إلى مرضاته ، وأصول الإعتقاد التى على كل مسلم اعتقادها ، والأحكام التى عليه تطبيقها والعمل بها، وأصول الدعوة إليه تبارك وتعالى وسبلها ، وكيفية نصرة دينه عز وجل وإعلاء كلمته كل ذلك ربانى من عند الله إما منصوص عليه صراحة أو مستنبط من هذه النصوص بالطريق الصحيح والمنهج الصحيح. فلا حاجة بنا إلى الاجتهادات التى تظهر يوما بعد يوم ،ولا حاجة بنا إلى كل هذا العناء وصرف الطاقات والجهود فى أمر قد بينه الله عز وجل ووضحه . والأحرى بنا أن نستعمل عقولنا وطاقاتنا وجهودنا وأوقاتنا فى السير على الطريق الصحيح وذلك بعد تفهمه ودراسته من مصدره الصحيح ، وتلقيه وفق المنهج السليم ، ومحاولة حل ما استجد من المشاكل والحوادث على ضوء المنهج ذاته .

الثانى:

إنَّ الذى يسمع كلام ابن مسعود - رضى الله عنه - فى وصف الطريق المستقيم وينظر فى واقعنا المعاصر يرى كثرة الجواد والشعب والطرق، ويرى كثرة الرجال الذين يدعون إليها وينفقون الأموال الطائلة والجهد والأوقات لصرف الناس إلى طرقاتهم ، وصدهم عن الطرق الأخرى بما فى ذلك صدهم عن الطريق الصحيح والصراط المستقيم الذى سار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم .

وهنا يتبين لنا ميزة أختص بها أهل السنة والجماعة دون غيرهم من الفرق ، وهي أنَّ انتسابهم وانتماءهم للكتاب والسنة ، ومتبوعهم هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وأما الرجال فهم عندهم أدلاء على الحق كما قال الشاطبي (١) - رحمه الله - فما وافق من كلامهم الحق أخذوا به وما لا فلا .

أما ما عدا أهل السنة من الفرق والطوائف المخالفة لهم ، فإن انتسابهم إلى المسميات البدعية المحدثة ، فوالوا وعادوا الناس عليها وامتحنوهم بها ، ورغبوا عن التسميات الشرعية ، هذا إلى جانب انتسابهم إلى الرجال ،فكل يذكر الرجل الذي أسس طريقته وطائفته ويعتز بذلك ويفتخر ، وولاؤه الكامل لهذا الرجل وفكره وطريقته ومنهجه ، ولا يهم ما إذا كان هذا الطريق موافقا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أم لا .

يقول شيخ الإسلام : " الإنتساب إلى جنس معين من أجناس بعض شرائع التدين كالتجند للمجاهدين ، والفقه للعلماء ، والفقر والتصوف للعباد . أو الإنتساب إلى بعض فرق هذه الطوائف كإمام معين ، أو شيخ ، أو ملك ، أو متكلم من رؤوس المتكلمين ، أو مقالة ، أو فعل تتميز به طائفة ، أو شعار هذه الفرق من اللباس من عمائم أو غيرها ،كما يتعصب قوم للخرقة ، أو - (اللبسة) يعنون الخرقة الشاملة للفقهاء ، والفقراء أو المختمة بأحد هذين ، أو بعض طوائف أحد هؤلاء أو لباس التجنيد ، أو نحو ذلك . كل ذلك من أمور الجاهلية المفرقة بين الأمة ، وأهلها : خارجون عن السنة والجماعة ، داخلون في البدع والفرقة ، بل دين الله تعالى : أن يكون رسوله محمد صلى الله عليه وسلم : هو المطاع أمره ، ونهيه ،المتبوع

---

(١) الاعتصام ٢/٣٥٥ - ٣٦٢

في محبته ومعصيته ، ورضاه ، وسخطه ،وعطائه ، ومنعه ،وموالاته ، ومعاداته ، ونصره وخذلانه " (١)

وحول إلتزام الأسماء الشرعية فقط ، وعدم العدول عنها إلى أسماء أخرى محدثة يقول رحمه الله -:" والله تعالى قد سمانا في القرآن : المسلمين المؤمنين عباد الله ، فلانعدل عن الأسماء التي سمانا الله بها إلى أسماء أحدثها قوم - وسموها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان "(٢)

وهذا الذي ذكره شيخ الاسلام جاء صريحا في الحديث الثابت الطويل ، وفي آخره " فادعوا بدعوى الله الذي سمى الله به : المسلمين ، المؤمنين ، عباد الله "(٣)

وحتى الأسماء التي يسوغ التسمي بها والانتساب إليها لا يجوز التعصب لها ، ولا امتحان الناس بها ، ولا الموالاة والمعاداة عليها بل لا يجوز التعصب للأسماء الشرعية إذا كانت تؤدي إلى فرقة المسلمين وتباغضهم وتدابرهم . فها هو النبي صلى الله عليه وسلم يخبر عن مثل هذه الأمور بأنها " منتنة " وفي رواية بأنها " خبيثة " وذلك في حديث جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - في شأن الخصام الذي وقع بين المهاجري والأنصاري ، حتى تداعوا ، وقال الأنصاري : يا للأنصار ، وقال المهاجري يا للمهاجرين،فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما بال دعوى الجاهلية .... الحديث (٤)

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/٣٤٣ ،وانظر ٣/٤١٩-٤٢٠،١١/٥١١-٥١٢،٦٥١٤

(٢) مجموع الفتاوى ٣/٤١٥ //وانظر جامع الرسائل ٢/٣١٩ .

(٣) رواه الامام احمد (٤/١٣٠،٢٠٢،٣٤٤) والترمذي (٢٨٦٣،٢٨٦٤ وابن خزيمة (١٨٩٥) وسيأتي له مزيد تخريج .

(٤) متفق عليه - صحيح البخاري كتاب المناقب باب ما ينهى من دعوى الجاهلية ، صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب نصر الأخ ظالما او مظلوما .

يقول شيخ الاسلام تعليقا على هذا الحديث : " فإذا كان هذا التداعى فى هذه الأسماء ،وهذا الإنتساب ، الذى يحبه الله ورسوله ، فكيف بالتعصب مطلقا ، والتداعى للنسب والإضافات التى هى : إما مباحة ، أو مكروهة ؟

وذلك أن الإنتساب إلى الأسم الشرعى ، أحسن من الإنتساب إلى غيره " (١)

وفى شأن التعصب للنسب المباحة ، وأنه لا يجوز ذلك بحال من الأحوال ، يقول شيخ الاسلام - رحمه الله - : " بل الأسماء التى قد يسوغ التسمى بها مثل انتساب الناس إلى إمام كالحنفى والمالكى ، والشافعى ، والحنبلى أو إلى شيخ ، كالقادرى ، والعدوى ونحوهم ، أو مثل الإنتساب إلى القبائل ، كالقيسى واليمانى ، وإلى الأمصار كالشامى والعراقى والمصرى فلا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها ، ولا يوالى بهذه الأسماء ولا يعادى عليها ، بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أى طائفة كان "(٢)

لذلك نجد أن أهل السنة والجماعة يتقيدون بالأسماء الشرعيه ، ولا ينتسبون إلى غيرها .

قال الشاطبى - رحمه الله -:" وعن عبدالرحمن بن مهدى : قد سئل مالك بن أنس عن السنة . قال : هى ما لا أسم له غير السنة ، وتلا (وأنّ هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) . قال بكر بن العلاء : يريد - إن شاء الله - حديث ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم خط له خطاً ، وذكر الحديث .."(٣) وقال رجل لأبى بكر بن عياش:يا أبا بكر،من السنى ؟ قال : الذى اذا ذكرت الأهواء لم يتعصب لشىء منها "(٤)

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢١٤/١ المحقق
(٢) مجموع الفتاوى ٤١٥/٣
(٣) الاعتصام ٥٨/١ ، وانظر الانتقاء لابن عبد البر صـ ٣٥ ، وانظر مدارج السالكين لابن القيم ١٧٥/٣ - ١٧٦

(٤) رواه اللالكائى فى " شرح أصول اعتقاد أهل السنة " (٦٥/١ ح : ٥٣)

وكان حرص سلفنا الصالح - رحمهم الله - فى هذا الجانب ملحوظا ، لذلك ذُكِرَ عن بعض السلف قوله :" ما أبالى أى النعمتين أعظم ؟ علىّ أن هدانى الله للإسلام أو جنبنى هذه الأهواء "(١)

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : " قال معاوية : أنت على ملة على ؟ ، قلت:ولا على ملة عثمان ، أنا على ملة محمد صلى الله عليه وسلم " (٢)

وعن ميمون بن مهران قال : " اياك وكل شيء يسمى بغير الإسلام " (٣)

وعن مالك - رحمه الله - أنه قال : " قيل لرجل عند الموت : على أى دين تموت ، قال : على دين أبى عمارة كأنه رجل كان يتولاه من بعض أهل البدع ، قال : فقال مالك : يدع المشؤوم دين أبى القاسم ويموت على دين أبى عمارة(٤).

وفى أوصاف اتباع الرسل جعل الهروى من علاماتهم قوله : "ولم ينتسبوا إلى أسم " وقال ابن القيم - رحمه الله - فى شرح ذلك : " أى لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الاسماء التى صارت أعلاما لأهل الطريق . وأيضا فانهم لم يتقيدوا بعمل واحد ، يجرى عليهم اسمه.فيعرفون به دون غيره من الأعمال . فان هذا آفة فى العبودية . وهى عبودية مقيده .

وأما العبودية المطلقة : فلا يعرف صاحبها باسم معين من معانى أسمائها . فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها . فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم . فلا يتقيد برسم ولا إشارة ، واسم ولا بزى ، ولا طريق وضعى إصطلاحى .

---

(١) الوصية الكبرى لابن تيميه صـ ٧٦ تحقيق على حسن على عبد الحميد والالكائى فى " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٣٠ - ١٣١ ح : ٢٣٠)

(٢) الابانة عن شريعة الفرقة الناجية (ح : ٢٣٧ ، ٢٣٨)

(٣) الابانة عن شريعة الفرقة الناجية (ح : ٢١١)

(٤) الابانة عن شريعة الفرقة الناجية (ح : ٢٣٩)

بل إن سُئِلَ عن شيخه ؟ قال : الرسول . وعن طريقه ؟ قال : الإتباع . وعن خرقته ؟ قال : لباس التقوى . وعن مذهبه ؟ قال : تحكيم السنة . وعن مقصوده ومطلبه ؟ قال : (يريدون وجهه) (١) وعن رباطه وعن خانكاه ؟ قال : (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه . يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) (٢) وعن نسبه؟ قال :

أبى الإسلام لا أب لى سواه ∴ إذا افتخروا بقيس أو تميم (٣)

الثالث :

إنَّ المتأمل في كلام ابن عطيه - رحمه الله - والذى ذكره الشوكانى - رحمه الله - يدرك أنَّ من أعظم أسباب الفرقة ومخالفة الجماعة المأمور بلزومها هى البدع والضلالات والأهواء والتى مصدرها التعمق والجدل والخوض فى الكلام .

---

(١) الانعام آية ٥٢
(٢) النور آية ٣٦ - ٣٧
(٣) مدارج السالكين ١٧٤/٣

وهى(عرضة للزلل) ؛ والزلل درجات وقد يكون ردةً وخروجًا عن دين الله والعياذ بالله . وهى (مظنة لسوء المعتقد) : وسوء الاعتقاد مظنه للهلاك وحلول الوعيد بصاحبه .

الرابع :

حديث عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - الذى أورده الشوكانى فى ثنايا شرحه للآية فيه بشرى ووعد لأهل الحق الذين التزموا الجماعة وساروا على الطريق المستقيم ، "فمن وفى بهن فأجره على الله" ،وفيه وعيد شديد لأهل الفرقة والإختلاف من أهل الأهواء والبدع " ومن انتقص منهن شيئا فأدركه الله فى الدنيا كانت عقوبته ، ومن أخرّه إلى الآخرة كان أمره إلى الله ان شاء أخذه "،وأما آخر الحديث "وإن شاء عفا عنه" ففيه حجة وترجيح لقول جمهور العلماء من أهل السنة والجماعة بأن الفرق الثنتين والسبعين حكمها حكم أهل الكبائر وأنهم تحت المشيئة إن شاء الله عذبهم وعاقبهم وإن شاء غفر لهم وعفا عنهم .

الخامس :

فى وصف ابن مسعود رضى الله عنه - للصراط المستقيم بقوله : " تركنا محمد صلى الله عليه وسلم فى أدناه ، وطرفه فى الجنه " إشارة إلى أن الصراط المستقيم المأمور بلزومه فى الدنيا له تعلق بالصراط الحسى المنصوب على جهنم يوم القيامة ، وإلى أن بينهما تلازم ، فمن سار على الصراط المستقيم الذى خطه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا - وبينه بسنته القولية والفعلية والتقريريه - كانت له النجاة يوم القيامة وسار على الصراط آمنا وسلمه الله وأدخله الجنة .

الدليل الثالث: قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)(١)

ذكر ابن جرير - رحمه الله - أن علي بن أبي طالب قرأ (فارقوا دينهم) (٢)

قال: " وكأن عليا ذهب بقوله (فارقوا دينهم) خرجوا فارتدوا عنه من المفارقة ، وأما الجمهور فقرأوا (فرّقوا)" (٣) . ثم قال: " والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأت بكل واحدة منهما أئمة من القراء ، وهما متفقتا المعنى غير مختلفتيه ، وذلك أن كل ضال فلدينه مفارق " (٤)

ثم ذكر بعد ذلك الأقوال عن السلف في المقصودين بتلك الآية . فقال بعضهم: عنى بذلك اليهود والنصارى.(٥) ثم ذكر بأسانيده من قال بذلك القول (٦) ثم قال: " وقال آخرون: عنى بذلك: أهل البدع من هذه الأمة الذين اتبعوا متشابه القرآن دون محكمه "(٧).ثم ذكر بأسانيده من قال بذلك القول (٨)

ثم قال ابن جرير - رحمه الله - في تفسير الآية: " فكان من فارق دينه الذي بعث به صلى الله عليه وسلم من مشرك ووثني ويهودي ونصراني ومتحنف مبتدع قد ابتدع في الدين ما ضلّ به عن الصراط المستقيم والدين القيم ، ملة ابراهيم المسلم ،فهو بريء من محمد صلى الله عليه وسلم ومحمد منه بريء ،وهو داخل في عموم قوله:

---

(١) الانعام آية ١٥٩ .
(٢)-(٨)جامع البيان ١٠٤/٨ - ١٠٥

(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)" (١) إلى أن قال:" وأما قوله ،(إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ) فإنه يقول: أنا الذي إليّ أمر هؤلاء المشركين الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا ، والمبتدعة من أمتك الذين ضلوا عن سبيلك دونك ، ودون كل أحد إما بالعقوبة إن أقاموا على ضلالتهم ، وفرقتهم دينهم فأهلكهم بها ،وإما بالعفو عنهم بالتوبة عليهم والتفضل منى عليهم" (٢)

وقال ابن كثير - رحمه الله- فى تفسير الآية:" والظاهر أن الآية عامة فى كل من فارق دين الله وكان مخالفا له فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق فمن اختلف فيه (وَكَانُوا شِيَعًا) أى فرقا كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات فإن الله قد برأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مما هم فيه وهذه الآية كقوله تعالى:(شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) الآية ، وفى الحديث :" نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد " فهذا هو الصراط المستقيم وهو ما جاءت به الرسل من عبادة الله وحده لاشريك له والتمسك بشريعة الرسول المتأخر وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء والرسل براء منها كما قال الله تعالى:(لَّسْتَ مِنْهُمْ) (٣)

وقال البغوى - رحمه الله - فى تفسير هذه الآية: " قوله عز وجل (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ) قرأ حمزه والكسائى:(فَارَقُوا) بالألف هنا وفى سورة الروم ، أى خرجوا من دينهم وتركوه وقرأ الاخرون:(فرّقوا) مشددًا ، أى جعلوا دين الله وهو واحد ،دين ابراهيم عليه السلام الحنيفية ، أديانًا مختلفة فتهود قوم وتنصر قوم ، يدل عليه قوله عز وجل ، (وَكَانُوا شِيَعًا) أى: صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى فى قول مجاهد وقتاده والسدى ، وقيل:هم أصحاب البدع

---

(١) جامع البيان ١٠٦/٨
(٢) جامع البيان ١٠٧/٨
(٣) تفسير القرآن العظيم ١٩٦/٢

والشبهات من هذه الامة " (١) ثم استشهد بحديث العرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، وقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا : فقال:" أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشيا ، فإنَّ من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة " (٢)

ثم ذكر حديث الإفتراق . ثم قال: " قوله :عز وجل (لست منهم في شيء) قيل :لست من قتالهم في شيء نسختها آية القتال ، وهذا على قول من يقول:المراد منه اليهود والنصارى ، ومن قال: أراد بالآية أهل الأهواء قال: المراد من قوله لست منهم في شيء أي أنت بريء منهم وهم منك براء ، تقول العرب إن فعلت كذا فلست مني ولست منك أي :كل واحد منا بريء من صاحبه ، (إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ) يعني : في الجزاء والمكافآت ، (ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ، إذا ردو للقيامة " (٣) .

وقال الشوكاني - رحمه الله -: " قرأ حمزه والكسائي (فَارَقُوا دِينَهُم) وهي قراءة علي بن أبي طالب ،أي تركو دينهم وخرجوا عنه ، وقرأ الباقون فرّقوا بالتشديد إلا النخعي فإنه قرأ بالتخفيف. والمعنى: أنهم جعلوا دينهم متفرقا فأخذوا ببعضه وتركوا بعضه قيل المراد بهم اليهود والنصارى ، وقد ورد في معنى هذا ، في اليهود قوله تعالى (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ) ، وقيل المراد بهم المشركون عبد بعضهم الصنم وبعضهم الملائكة ، وقيل الآية عامة في جميع الكفار

---

(١) معالم التنزيل ١٤٥/٢
(٢) رواه بسنده - رحمه الله - وسيأتي تخريج الحديث ان شاء الله
(٣) معالم التنزيل للبغوي ١٤٥/٢

وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر به الله ، وهذا هو الصواب لأن اللفظ يفيد العموم فيدخل فيه طوائف أهل الكتاب وطوائف المشركين وغيرهم ممن ابتدع من أهل الاسلام ، ومعنى شيعا فرقا وأحزابا ، فتصدق على كل قوم كان أمرهم فى الدين واحدا مجتمعا ، ثم اتبع كل جماعة منهم رأى كبير من كبرائهم يخالف الصواب ويباين الحق"(١)

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى - رحمه الله - فى تفسير هذه الآية الكريمة :" يتوعد تعالى ، الذين فرقوا دينهم ، أى شتتوه وتفرقوا فيه ، وكل أخذ لنفسه نصيبا من الأسماء ، التى لا تفيد الإنسان فى دينه شيئاً ، كاليهودية والنصرانية ، والمجوسية ، أو لا يكمل بها إيمانه ، بل أن يأخذ من الشريعة شيئاً ، ويجعله دينه ، ويدع مثله. أو ما هو أولى منه ، كما هو حال أهل الفرقة ، من أهل البدع والضلال والمفرقين للأمة .

ودلت الآية الكريمة أن الدين يأمر بالإجتماع والائتلاف ، وينهى عن التفرق والإختلاف فى أصل الدين ، وفى سائر مسائله الأصولية والفروعية " (٢)

وبعد الإنتهاء من سرد أقوال أئمة التفسير فى الآية الكريمة ، والتأمل لما جاء فيها من العظات والعبر والتى تعتبر البلسم الشافى والدواء الناجع لما فيه المسلمون من تفرق واختلاف وتناحر فى زماننا ، أذكر فيما يلى أهم الدروس التى نأخذها من كلام سلفنا الصالح حول الآية الكريمة السابقة :

الأول :

إن الآية عامة تشمل اليهود والنصارى والمشركين وأهل البدع والضلال من هذه الأمة ، ونلاحظ أن هذا القول هو قول معظم المفسرين

---

(١) فتح القدير ٢ /١٨٣

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ٢/٥١٠

كما هو واضح وجلي من كلامهم الذى نقلته عنهم . وما ذكره ابن جرير - رحمه الله - عن السلف فى المعنيين بالآية إنما هو بيان أفراد العام وهو من اختلاف التنوع فى الأقوال .

ومن قال بأن هذه الآية هى فى اليهود والنصارى لا يمنع ذلك أن تشمل غيرهم ، لأن " العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب " كما فى الأصول فالآية كما قال الشوكاني - رحمه الله - " تصدق على كل قوم كان أمرهم فى الدين واحدا مجتمعا ، ثم اتبع كل جماعة منهم رأى كبير من كبرائهم يخالف الصواب ويباين الحق " ، ولذا نجد البغوى - رحمه الله - يذكر حديث افتراق هذه الأمة بعد تفسيره للآية .

بل من السلف من جعل هذه الآية خاصة بهذه الأمة كما روى ابن بطة العكبرى - رحمه الله - بسنده عن مرة الهمدانى ، قال: بكى فُضيل فقيل له : ما يبكيك ؟ قال: أخاف أن يكون الله منكم بريئًا إنى أسمع الله يقول: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنهم فِي شَيْءٍ) فأخاف أن لا يكون الله منا فى شيء ، قال أبو هريرة : نزلت هذه الآية فى هذه الأمة " (١)

الثانى :

مخالفة اليهود والنصارى مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية ، ولقد قصّ الله علينا مخالفة أهل الكتاب لأنبيائهم وتحريفهم لدينهم ووقوعهم فى الإختلاف والافتراق والتشيع والتحزب وذلك حتى يكون فيه عبرة للمسلمين بأن من خالف هدى الأنبياء وقع فى الضلال فيجب على المسلمين اتباع هدى النبى صلى الله عليه وسلم ومخالفة أهل الكتاب حتى لا يقعوا فى ما وقعوا فيه ، ولقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بأن هذه الأمة ستتبع سنن من كان قبلها من اليهود والنصارى حذو القذه

---

(١) الابانة ح : ١٤١

بالقذة وشبرا بشبر وذراعا بذراع ، وكما وقع الإختلاف فى الأمم السابقة سيقع فى هذه الأمة ، وقد وقع فعلا كما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم وهذه النصوص بمثابة التحذير والتنبيه للمسلمين حتى لا يسلكوا سبيل أعداء الله فيسلم منهم من كتب الله له السلامة ومن أعطاه الفقه فى الدين والتبصر بأحوال المخالفين السابقين .

الثالث :

قوله تعالى : (لَسْتَ مِنْهُم فِي شَيْءٍ) هو من نصوص الوعيد ويفهم على ضوء منهج أهل السنة فى ذلك . لذلك نجد تطبيق هذه القاعدة وهى حمل هذه الآية على أنها من نصوص الوعيد وكما فهمها السلف الصالح واضحًا فى كلام أئمة التفسير رحمهم الله رحمة واسعة .

ومما يبين أن حكم أهل الإفتراق والإختلاف من هذه الأمة هو حكم أهل الكبائر ، قوله سبحانه فى آخر الآية (إِنَّمَا أَمْرُهُم إِلَى اللَّهِ). وكما مر معنا من أقوال المفسرين لقوله سبحانه (لَسْتَ مِنْهُم فِي شَيْءٍ) احتمالان ، فإن كان المقصود هو اليهود والنصارى فشأنهم معروف ،وإن كان المقصود بالآية أهل البدع والأهواء فمن كانت بدعته مكفرة ومخرجة عن الملة فشأنه شأن اليهود والنصارى ، وإن كان من أهل الملة والقبلة فهو من أهل الوعيد الذين حكمهم حكم أهل الكبائر وأمرهم راجع إلى مشيئة البارى سبحانه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم وإن شاء عذبهم وعاقبهم ، ثم مآلهم إلى الجنة .

الرابع :

قول الشوكانى - رحمه الله -:" جعلوا دينهم متفرقا فأخذوا ببعضه وتركوا بعضه " وقول السعدى - رحمه الله -:"أولا يكمل بها إيمانه ، بأن يأخذ من الشريعة شيئا ،ويجعله دينه ، ويدع مثله ، أو ما هو أولى منه ، كما هو حال أهل الفرقة ، من أهل البدع

والضلال والمفرقين للأمة " هذا الكلام عن هذين العالمين الجليلين يبين لنا مسألة عظيمة فى باب الإفتراق ، وهى أن من أكبر أسباب الإفتراق والإختلاف الجوهرية هو الأخذ ببعض الدين وترك البعض . وهذه من الأمور التى نبه الله عز وجل عليها فى كتابه الكريم فقال: (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَارَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ، فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ)(١)

وهى من المسائل التى عنى بها وتكلم عنها شيخ الاسلام ابن تيميه - رحمه الله - فى معرض حديثه عن أسباب الإختلاف والفرقة . فقد قال فى شرح الآية السابقة :" فأخبر أن نسيانهم حظا مما ذكروا به - وهو ترك العمل ببعض ما أمروا به - كان سببًا لاغراء العداوة - والبغضاء بينهم وهكذا هو الواقع فى أهل ملتنا مثلما نجده بين الطوائف المتنازعة فى أصول دينها ، وكثير من فروعه ، من أهل الأصول والفروع " (٢)

وقال فى موضع آخر :" فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا ، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا ،فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب "(٣)

وقال فى موضع آخر:" فمن دفع نصوصا يحتج بها غيره لم يؤمن بها بل آمن بما يحتج به صار ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض . وهذا حال أهل الأهواء هم مختلفون فى الكتاب ، مخالفون للكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب ، وقد تركوا كلهم بعض النصوص وهو ما يجمع تلك الأقوال . فصاروا كما قال عن أهل الكتاب: (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّا نَصَارَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ، فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ) .

---

(١) المائدة آية ١٤
(٢) مجموع الفتاوى ١٤/١
(٣) مجموع الفتاوى ٤٢١/٣

فإذا ترك الناس بعض ما أنزل الله وقعت بينهم العداوة والبغضاء إذ لم يبق هنا حق جامع يشتركون فيه ، بل (تقطعوا أمرهم بينهم ، كل حزب بما لديهم فرحون) وهؤلاء كلهم ليس معهم من الحق إلا ما وافقوا فيه الرسول ، وهو ما تمسكوا به من شرعه مما أخبر به وما أمر به ، وأما ما ابتدعوه فكله ضلالة " (١)

وبعد كلام طويل له - رحمه الله - في الموضوع قال:" فظهر أن سبب الإجتماع والألفة جمع الدين ، والعمل به كله ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، كما أمر به باطنًا ، وظاهرًا .

وسبب الفرقة : ترك حظ مما أمر العبد به ، والبغي بينهم .

ونتيجة الجماعة : رحمة الله ، ورضوانه ، وصلواته ، وسعادة الدنيا والآخرة ، وبياض الوجوه .ونتيجة الفرقة :عذاب الله ، ولعنته ، وسواد الوجوه ، وبراءة الرسول منهم " (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٢٧/١٣
(٢) مجموع الفتاوى ١٧/١

الدليل الرابع : قال تعالى: (وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً . وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) .(١)

قال ابن جرير - رحمه الله -:" يقول تعالى ذكره : " ولوشاء ربك يا محمد لجعل الناس كلهم جماعة واحدة على ملة واحدة ، ودين واحد . كما حدثنا بشر قال :" ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) يقول: لجعلهم مسلمين كلهم .

وقوله : (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) يقول تعالى ذكره :" ولا يزال الناس مختلفين (إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ) ثم اختلف أهل التأويل في الإختلاف الذى وصف الله الناس أنهم لا يزالون به ، فقال بعضهم : هو الإختلاف فى الأديان ، فتأويل ذلك على مذهب هؤلاء ، ولا يزال الناس مختلفين على أديان شتى من بين يهودى ونصرانى ومجوسى ، ونحو ذلك . وقال قائلوا هذه المقالة : استثنى الله من ذلك من رحمهم ، وهم أهل الإيمان " (٢) . ثم ذكر بأسانيده من قال بذلك القول ، فذكر عن عطاء والحسن أقوالهم فى ذلك . ثم قال :" وعن مجاهد (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) قال : أهل الباطل . (إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ) قال : أهل الحق " (٣)

ثم ذكر ابن جرير - رحمه الله - بسنده عن قتاده :" قوله (وَلَايَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ)، فأهل رحمة الله أهل جماعة وإن تفرقت دورهم وأبدانهم ، وأهل معصيته أهل فرقة وإن اجتمعت دورهم وأبدانهم" (٤)

ثم قال ابن جرير - رحمه الله - :" وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا يزالون مختلفين فى الرزق ، فهذا فقير ، وهذا غنى" (٥) ونسب

---

(١) هود آية ١١٨
(٢) جامع البيان ١٢/١٤١
(٣) المصدر السابق .
(٤) جامع البيان ١٢/١٤٢ - ١٤٣
(٥) المصدر السابق .

هذا القول إلى الحسن البصري - رحمه الله - .

ثم قال ابن جرير:- أيضاً - " وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى (إِلاَّ مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ) فآمن بالله ، وصدّق رسله ، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله ، وتصديق رسله ، وما جاءهم من عند الله . وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك ، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ففي ذلك دليل واضح أن الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس ، إنما هو خبر عن اختلاف مذموم يوجب لهم النار ، ولو كان خبرا عن اختلافهم في الرزق لم يعقب ذلك بالخبر عن عقابهم وعذابهم " (١)

وقال ابن جرير - رحمه الله -: " وأما قوله : (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : وللإختلاف خلقهم "(٢) ثم ذكر بأسانيده من قال بهذا القول .

وذكر بسنده عن الحسن البصري - رحمه الله - قال:" خلق هؤلاء لجنته ، وخلق هؤلاء لناره ، وخلق هؤلاء لرحمته ، وخلق هؤلاء لعذابه"(٣)

وذكر عن الحسن أيضا:" قال (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)، قال : أما أهل رحمة الله فانهم لايختلفون اختلافا يضرهم "(٤) . وذكر عن ابن عباس - رضى الله عنهما -: " قوله:(وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) قال : خلقهم فريقين . فريقا يرحم فلا يختلف ، وفريقا لا يرحم يختلف ، وذلك قوله "(فمنهم شقى وسعيد)" (٥)

وذكر عن عطاء - رحمه الله - في قوله (ولا يزالون مختلفين) قال: يهود ونصارى ومجوس (إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ قال: من جعله على الإسلام

---

(١) جامع البيان ١٤٢/١٢ - ١٤٣
(٢) جامع البيان ١٤٣/١٢
(٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق .
(٥) المصدر السابق .

(وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) قال : موءمن وكافر .(١)

وذكر عن أشهب أنه قال : سُئِلَ مالك عن قوله (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) قال : خلقهم ليكونوا فريقين : فريق في الجنة ، وفريق في السعير .(٢)

ثم قال ابن جرير - رحمه الله -: " وقال آخرون : بل معنى ذلك : وللرحمة خلقهم "(٣)

ثم ذكر بأسانيده من قال بذلك القول . ومنهم مجاهد وقتاده والضحاك وعكرمة وابن عباس (٤) .

ثم قال ابن جرير: " وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قول من قال : وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم ، لأن الله جل ذكره ، ذكر صنفين من خلقه : أحدهما أهل اختلاف وباطل . والآخر أهل حق ثم عقب ذلك بقوله (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) فعمّ بقوله (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) صفة الصنفين ، فأخبر عن كل فريق منهما أنه ميسر لما خلق له "(٥) .

ثم رد على شبهة الجبرية بقوله : " فإن قال قائل : فإن كان تأويل ذلك كما ذكرت ، فقد ينبغي أن يكون المختلفين غير ملومين على اختلافهم ، إذ كان لذلك خلقهم ربهم ، وأن يكون المتمتعون هم الملومين ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبت . وإنما معنى الكلام : ولا يزال الناس مختلفين بالباطل من أديانهم ومللهم (إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ) فهداه للحق ، ولعلمه ، وعلى علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم أنه يكون فيهم الموءمن والكافر ، والشقي والسعيد خلقهم ، فمعنى اللام في قوله (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) بمعنى (على) كقولك للرجل . أكرمتك على برّك بي ، وأكرمتك لبرك بي " (٦)

---

(١) جامع البيان ١٢/١٤٣
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) جامع البيان ١٢/١٤٣ - ١٤٤
(٥) جامع البيان ١٢/١٤٤
(٦) جامع البيان ١٢/١٤٤

وقال ابن كثير - رحمه الله - " وقوله (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ) أى ولا يزال الخلف بين الناس فى أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم ،قال عكرمة مختلفين فى الهدى، وقال الحسن البصرى مختلفين فى الرزق يسخر بعضهم بعضا ، والمشهور الصحيح الأول . وقوله (إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ) أى المرحومين من أتباع الرسل الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين ،أخبرتهم به رسل الله إليهم ولم يزل ذلك دأبهم حتى كان النبى وخاتم الرسل والأنبياء فاتبعوه وصدقوه ووازروه ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة لأنهم الفرقه الناجية كما جاء فى الحديث المروى فى المسانيد والسنن من طرق يشد بعضها بعضا "(١)

ثم ساق حديث الافتراق ، وسيأتى ذكر طرقه وتخريجه فى الفصل الثالث من هذا البحث إن شاء الله تعالى .

ثم ذكر الأثر التالى عن طاوس : " عن ابن أبى نجيح عن طاوس أن رجلين اختصما إليه فأكثرا فقال طاوس . اختلفتما وأكثرتما فقال أحد الرجلين : لذلك خلقنا فقال طاوس : كذبت . فقال : أليس اللهُ يقول (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) قال لم يخلقهم ليختلفوا ولكن خلقهم للجماعة والرحمة "(٢)

وقال القرطبى - رحمه الله - " وقيل . الإشارة بذلك للاختلاف والرحمة ، وقد يشار بـ " ذلك " إلى شيئين متضادين ،كقوله تعالى . (لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ)(٣) ولم يقل بين ذينك ولا تينك ، وقال . (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا) (٤) وقال . (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا) (٥)وكذلك قوله . (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا)(٦) . وهذا أحسن الأقوال إن شاء الله تعالى ، لأنه يعم ، أى ولما ذكر خلقهم "(٧)

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٦٥/٢
(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٦٥/٢
(٣) البقرة آية ٦٨
(٤) الفرقان آية ٦٧
(٥) الاسراء آية ١١٠
(٦) يونس آية ٥٨
(٧) الجامع لأحكام القرآن ١١٤/٩ - ١١٥

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى - رحمه الله - " يخبر تعالى أنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة على الدين الإسلامى ، فإن مشيئته غير قاصرة ، ولا يمتنع عليه شيء . ولكنه اقتضت حكمته أن لا يزالون مختلفين ، مخالفين للصراط المستقيم ، متبعين للسبل الموصلة إلى النار ، كل يرى الحق فيما قاله ، والضلال فى قول غيره .

(إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ) فهداهم إلى العلم بالحق والعمل به ، والإتفاق عليه . فهؤلاء سبقت لهم سابقة السعادة ، وتداركتهم العناية الربانية ، والتوفيق الإلهى . وأما من عداهم ، فهم مخذولون موكولون إلى أنفسهم .

وقوله . (وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ) أى : اقتضت حكمته ، أنه خلقهم ، ليكون منهم السعداء والأشقياء ، والمتفقون والمختلفون ، والفريق الذى هدى الله ، والفريق الذى حقت عليه الضلالة . ليتبين للعباد عدله ، وحكمته ، وليظهر ما كمن فى الطباع البشرية من الخير والشر ، ولتقوم سوق الجهاد والعبادات ، التى لا تتم ولا تستقيم إلا بالإمتحان والإبتلاء " (١)

ولي بعض التعقيبات على ما ورد فى تفسير الآية الكريمة :-

الأول :

قول مجاهد - رحمه الله - بأن المختلفين هم أهل الباطل ،وأن المرحومين هم أهل الحق فيه دليل على أن أهل الحق الأصل فيهم هو التآلف والإجتماع ، وأن التفرق والإختلاف إنما هو من صفات أهل الباطل والضلال ، ويوضح هذا الأصل ويجليه قول قتاده - رحمه الله - " فأهل رحمة الله أهل جماعة وإن تفرقت دورهم وأبدانهم ، وأهل معصيته أهل فرقة وإن اجتمعت دورهم وأبدانهم " وهو قريب من قول

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٣/٤٧٠

الشافعى ـ رحمه الله ـ فى معنى لزوم الجماعة ، إذ أعتبر موافقة ما عليه الجماعة هو الأصل فى لزومها لا مجرد اجتماع الأبدان (١).

الثانى:

قال الإمام الشاطبى ـ رحمه الله ـ " وقد ذهب جماعة من المفسرين إلى أن المراد بالمختلفين فى الآية أهل البدع ، وأن من رحم ربك أهل السنة "(٢)

قلت . وهذا الكلام يتفق مع ما جاء فى حديث الإفتراق ، فإن أهل السنة والجماعة هم الأصل ، وهم أهل الألفة والإتفاق ، وهم الداعون إلى الجماعة ، وهم الجماعة المأمور بلزومها فى الأحاديث كما سيأتى بيانه فى الفصل الثالث من هذا الباب ، أما أهل البدع فهم أهل الفرقة ، وهم أهل الإختلاف ، وهم الذين فارقوا الجماعة ، هم الذين تحزبوا وتشيعوا وافترقوا وشتتوا المجتمع المسلم قديمًا وحديثًا .

الثالث :

قول الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ " أما أهل رحمة الله فإنهم لا يختلفون إختلافا يضرهم " يدل على أن الخلاف قد يقع بين أهل الحق وذلك فى المسائل الإجتهادية الفرعية سواء فى مسائل الأحكام العملية الفقهية أو ما يسمى " بالفروع " وهذا هو الأكثر ، أو فى المسائل العلمية الإعتقادية أو ما يسمى "بالأصول "وهذا قليل جدا وفى مسائل محدوده ومحصورة . وهذه المسائل التى يسوغ الإختلاف فيها لا تضر أهل الحق ، ولا تفسد عليهم ألفتهم ، ولا تشتت عليهم جماعتهم .

---

(١) الرسالة للامام الشافعى ص ٤٧٤ ـ ٤٧٦ تحقيق احمد شاكر.
وسوف يأتى كلام الامام الشافعى مبسوطا فى الفصل الثانى من هذا الباب ان شاء الله تعالى .

(٢) الاعتصام . ١٧٢/٢

وقد اعتنى شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - ببيان هذه المسألة وتوضيحها ، ولأهمية كلامه ونفاسته أذكر منه ما يناسب المقام مع محاولة الإيجاز ما أمكن .

يقول رحمه الله " إذا كان الله تعالى قد أمرنا بطاعة الله وطاعة رسوله وأولي الأمر منا ، وأمرنا عند التنازع في شيء أن نرده إلى الله وإلى الرسول ، وأمرنا بالإجتماع والائتلاف ونهانا عن التفرق والإختلاف ، وأمرنا أن نستغفر لمن سبقنا بالإيمان، وسمانا المسلمين وامرنا أن ندوم عليه إلى الممات . فهذه النصوص وما كان في معناها توجب علينا الإجتماع في الدين كاجتماع الأنبياء قبلنا في الدين " (١) إلى أن قال : " فالأصول الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع هي بمنزلة الدين المشترك بين الأنبياء ليس لأحدٍ خروج عنها ومن دخل فيها كان من أهل الإسلام المحض ، وهم أهل السنة والجماعة ، وما تنوعوا فيه من الأعمال والأقوال المشروعة فهو بمنزلة ما تنوعت فيه الأنبياء "(٢)

وقال " وقد اتفق الصحابة في مسائل تنازعوا فيها ، على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم ، كمسائل في العبادات والمناكح ، والمواريث والعطاء ، والسياسة وغير ذلك"(٣)
إلى أن قال " وتنازعوا في مسائل عملية إعتقادية ، كسماع الميت صوت الحي ، وتعذيب الميت ببكاء أهله ، ورؤية محمد صلى الله عليه وسلم ربه قبل الموت ، مع بقاء الجماعة والألفة "(٤)

وقال رحمه الله " وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة ، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية ،مع بقاء الألفة والعصمة ، وأخوة الدين ، نعم من خالف الكتاب المستبين والسنة المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافاً لايعذر فيه ،فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع "(٥)

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩/١٦٦ - ١١٧
(٢) المصدر السابق
(٣) مجموع الفتاوى ١٩/١٢٢ - ١٢٣ ، ٢٤/ ١٧٣
(٤) المصدر السابق .
(٥) مجموع الفتاوى ٢٤/١٧٢

وقال فى موضع آخر : " وأما إذا اشتبه الأمر هل هذا القول أو الفعل مما يعاقب صاحبه عليه أو مالا يعاقب ؟ فالواجب ترك العقوبة ،لقول النبى صلى الله عليه وسلم " ادرءوا الحدود بالشبهات فإنك أن تخطىء فى العفو خير من أن تخطىء فى العقوبه " رواه أبو داود ،ولا سيما إذا آل الأمر إلى شر طويل ، وافتراق أهل السنة والجماعة ،فإن الفساد الناشىء فى هذه الفرقة أضعاف الشر الناشىء من خطأ ثغر قليل فى مسألة فرعية (١) ..... " (٢)

ولذلك كان الهجران - وهو عقوبة شرعية - منضبط عند أهل السنة بضوابط فهو قد شرع لمقصد وغرض فيجب ملاحظة ذلك فإنه إذا لم تتحقق المصلحة ولا المقصد ولا الهدف فلاحاجة إليه ، كذلك هو بحسب ظهور السنة وأهلها وبحسب الأزمنة والأمكنة إلى غير ذلك من الضوابط الشرعية التى بينها علماء أهل السنة . (٣)

والخلاف السائغ المبنى على الإجتهاد والأدلة لا التخرص والهوى لا يوجب الهجران والتفرق والإختلاف ، وحال الصحابة رضوان الله عليهم والذين هم أسوة لنا خير دليل فى هذه المسألة .

قال شيخ الاسلام - رحمه الله - " ولو كان كل ما اختلف مسلمان فى شيىء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة " (٤)
غير أنه ينبغى التنبيه إلى أن الخلاف فى المسائل الأصولية العلمية كان بين السلف الصالح فى مسائل قليلة محدوده ودقيقة قد لا يتبين فيها وجه الدليل لبعض الأفراد أولم يبلغهم دليل القول الآخر أصلاً ، لذلك نجد الكثير منهم يرجع عن قوله المخالف فى المسألة إلى ما عليه الآخرون .

---

(١) هذا الكلام قالة شيخ الاسلام ضمن رسالته الى أهل البحرين - انظر بداية الرسالة ج ٤٨٥/٦
(٢) مجموع الفتاوى ٥٠٥/٦
(٣) راجع على سبيل المثال مجموع الفتاوى ١٧٥/٢٤ ، ٢٨/ ٢٠٤ - ٢١٠
(٤) مجموع الفتاوى ١٧٣/٢٤

الرابع :

جزم الشاطبى - رحمه الله - بأن المختلفين فى الأحكام الفقهية العملية لا يدخلون تحت قوله تعالى (ولا يزالون مختلفين) وذلك فى معرض كلامه عن الآية وتعقيبه على كلام الحسن البصرى " أما أهل رحمة الله فإنهم لا يختلفون اختلافا يضرهم " (١) وذكر رحمه الله أربع أوجه فى التدليل على عدم دخولهم تحت مدلول الآية الكريمة . وهذا خلاف ما ذهب إليه الشوكانى - رحمه الله - فى (فتح القدير) (٢) . ووافقه عليه الصديق حسن خان فى كتابه " الدين الخالص"(٣)

يقول الشوكانى - رحمه الله - " قيل وهذا النهى عن التفرق والإختلاف يختص بالمسائل الأصولية ، وأما المسائل الفروعية الإجتهادية فالإختلاف فيها جائز ، وما زال الصحابة فمن بعدهم من التابعين وتابعيهم مختلفين فى أحكام الحوادث ، وفيه نظر فإنه ما زال فى تلك العصور المنكر للاختلاف موجودا وتخصيص بعض مسائل الدين بجواز الإختلاف فيها دون البعض الآخر ليس بصواب ، فالمسائل الشرعية المساوية الأقدام فى انتسابها إلى الشرع "(٤)

والراجح والذى عليه جمهور العلماء هو ما ذهب اليه الشاطبى - رحمه الله .

---

(١) الاعتصام ٢/١٦٨ - ١٧٠
(٢) فتح القدير ١/٣٧٠
(٣) الدين الخالص ٣/٨
(٤) فتح القدير ١/٣٧٠

الدليل الخامس . قوله تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ، مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ(١)

يقول ابن جرير - رحمه الله - . " وقوله (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا) يقول : ولا تكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم ، وخالفوه ففارقوه (وَكَانُوا شِيَعًا) يقول : وكانوا أحزابا فرقا كاليهود والنصارى (٢)

ويقول ابن كثير - رحمه الله . " فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء ومثل باطلة . وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء وهذه الأمة أيضًا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه كما رواه الحاكم في مستدركه أنه سئل صلى الله عليه وسلم عن الفرقة الناجية منهم فقال : " من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي " . " (٣)

وقال الشيخ السعدي - رحمه الله - " (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ) مع أن الدين واحد ، وهو إخلاص العبادة لله وحده وهؤلاء المشركون ، فرقوه . منهم من يعبد الأوثان والأصنام ، ومنهم من يعبد الشمس والقمر ، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين ، ومنهم يهود ، ومنهم نصارى .

(١) الروم من الآية ٣١ - حتى الاية ٣٢
(٢) جامع البيان ٢١/٤٢
(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/٤٣٣

ولهذا قال : (وَكَانُوا شِيَعًا) أى : كل فرقة ، تحزبت وتعصبت ،على نصر ما معها من الباطل ، ومنابذة غيرهم ومحاربتهم (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ) . من العلوم المخالفة لعلوم الرسل (فَرِحُونَ) به ، يحكمون لأنفسهم ، بأنه الحق ،وأن غيرهم على باطل .

وفى هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقا ، كل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل ، فيكونون مشابهين بذلك للمشركين ، فى التفرق ،بل الدين واحد ، والرسول واحد ، والإله واحد .

وأكثر الأمور الدينية وقع فيها الإجماع بين العلماء والأئمة ، والأخوة الإيمانية قد عقدها الله وربطها أتم ربط . فما بال ذلك كله يلغى ويبنى التفرق والشقاق بين المسلمين على مسائل خفية ، أو فروع خلافية ، يضلل بها بعضهم بعضا ، ويتميز بها بعضهم على بعض ؟

فهل هذا إلا من أكبر نزغات الشيطان ، وأعظم مقاصده ،التى كاد بها المسلمين ؟

وهل السعى فى جمع كلمتهم ، وإزالة ما بينهم من الشقاق ، المبنى على ذلك الأصل الباطل ، إلا من أفضل الجهاد فى سبيل الله ، وأفضل الأعمال المقربة إلى الله ؟ " (١)

وفيما يلى أهم الملاحظات على ما جاء فى تفسير الآيتين الكريمتين :

الأولى :

بتدبر ما جاء فى الآيتين الكريمتين نستطيع معرفة أهم مقومات الألفة وأسباب اجتماع المسلمين وهى كالتالى :

السبب الأول .

اختيار الإسلام دينا يقبل عليه المسلم بكليته ، ويخلص فيه مع الله عز وجل ، لأنه هو الدين القويم المستقيم الموافق للفطرة والثبات عليه حتى الممات .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ١٢٨/٦ .

السبب الثاني:

الإهتمام بالعلم النافع الموصل إلى مرضاة الله لأن - الجهل سبب كل بلاء ، ووراء كل انحراف عن سبيل الله القويم .

السبب الثالث :

الإنابة إلى الله تعالى . يقول ابن القيم - رحمه الله - : " المنيب إلى الله : المسرع إلى مرضاته ، الراجع إليه كل وقته المتقدم إلى محابه " (١)

وقد رضى الله عز وجل لهذه الأمة الإجتماع وعدم التفرق ، كما جاء في الحديث " إن الله يرضى لكم ثلاثاً " وذكر منها " وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا " (٢)

السبب الرابع:

التقوى، وبتربية المسلم نفسه على تقوى الله يخرجه من ظلم غيره من المسلمين أو البغي أو العدوان عليهم ، وهي من الأسباب الرئيسة للتفرق والإختلاف .

السبب الخامس:

إقامة الصلاة ، ومن إقامتها أداؤها في جماعة كما نص على ذلك العلماء ولا شك أن التزام المساجد والصلاة فيها جماعة ، هو من أعظم الوسائل لألفة المسلمين واجتماعهم وتحابهم .

السبب السادس:

توحيد الله عز وجل ، ونبذ الشرك بكل صوره وأقسامه ، وهذه هي القاعدة الأساسيه لإجتماع كلمة المسلمين ، كما قال الشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي . " كلمة التوحيد أساس توحيد الكلمة .(٣)

الثانية :

نلاحظ أن ابن كثير - رحمه الله - قد ربط بين الآيتين وحديث الافتراق من جهة ، ثم ربط ذلك بواقع الأمة الإسلامية من جهة أخرى

---

(١) مدارج السالكين ١/٤٣٤
(٢) سيأتي تخريجه في الفصل الثاني من هذا الباب
(٣) مجلة الجامعة الاسلامية العدد ٦٢ السنة ١٦ ص ١٠٢

حيث وقع ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم من تفرق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، ثم اعتبر ابن كثير أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية على الخصوص ، وهذا هو قول جمهور العلماء المحققين المعتد بإمامتهم وعلمهم ، وسيأتى مزيد بيان وتفصيل لهذه المسألة فى الفصل الثالث من هذا الباب .

الثالثة :

اعتبر الشيخ عبد الرحمن السعدى - رحمه الله - السعى فى جمع كلمة المسلمين وإزالة ما بينهم من الشقاق ، من أفضل الجهاد فى سبيل الله ، ومن أفضل القربات . لكن من خلال تقريره لهذه المسألة ذكر ثلاثة ضوابط يجب على المسلمين أخذها فى الإعتبار لكي ترجع الألفة فيما بينهم وهذه الضوابط الثلاثة هى :

الضابط الاول:

مراعاة ما أجمع عليه صدر الأمة من أمور الدين ويتمثل ذلك فى أمور الإعتقاد ، والعبادة والسلوك ، فواجب على المسلمين التمسك بما كان عليه سلفهم الصالح فى مثل هذه الأمور.

الضابط الثانى:

مراعاة الأخوة الإيمانية وحقوقها فهى الرابط الحقيقى والربانى الذى يربط بين أفراد المجتمع المسلم .

الضابط الثالث:

ما كان من الأمور الخفية أو المسائل الإجتهادية التى يسوغ الإختلاف فيها ، فالأمر فيها واسع ، وينبغى على المسلمين ألا يجعلوا منه سببا فى الفرقة والتحزب .

الدليل السادس . قوله تعالى (شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (١)

قال ابن جرير - رحمه الله - : " (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ) أن اعملوا به على ما شرع لكم وفرض "(٢) إلى أن قال: "وقوله (وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) يقول :ولا تختلفوا فى الدين الذى أمرتم بالقيام به ، كما اختلف الأحزاب من قبلكم " (٣) . ثم ذكر بسنده عن قتاده " قوله (وَلَاتَتَفَرَّقُوا فِيهِ) تعلموا أن الفرقة هلكة ، وأن الجماعة نقة " (٤)

وقال ابن كثير - رحمه الله -:" (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) أى:وصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الإفتراق والإختلاف " (٥) .

وقال البغوى - رحمه الله -:" بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة " (٦)

وقال الشوكانى - رحمه الله -:" (أن أَقِيمُوا الدِّينَ) أى:توحيد الله والإيمان بِهِ وطاعة رسله وقبول شرائعه " (٧)
إلى أن قال رحمه الله: " (وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)أى:لا تختلفوا فى التوحيد والإيمان بالله وطاعة رسله وقبول شرائعه ، فإنّ هذه الأمور قد تطابقت عليها الشرائع وتوافقت فيها الأديان ، فلا ينبغى الخلاف فى مثلها وليس من هذا فروع المسائل التى تختلف فيها الأدلة ، وتتعارض فيها

---

(١) الشورى آية ١٣
(٢) جامع البيان ١٥/٢٥
(٣) المصدر نفسه
(٤) المصدر نفسه
(٥) تفسير ابن كثير ١٠٩/٤
(٦) معالم التنزيل ١٢٢/٤
(٧) فتح القدير ٥٣٠/٤

الأمارات وتتباين فيها الأفهام ، فإنها من مطارح الإجتهاد ومواطن الخلاف " (١)

وقال الشيخ السعدى - رحمه الله - : " قال : (انْ أَقِيمُوا الدِّينَ) أى: أمركم أن تقيموا جميع شرائع الدين أصوله وفروعه ، تقيمونه بأنفسكم وتجتهدون فى إقامته على غيركم ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .

(ولا تتفرقوا فيه) أى : ليحصل منكم الإتفاق على أصول الدين وفروعه واحرصوا على أن لا تفرقكم المسائل ، وتحزبكم أحزابا وشيعا ، يعادى بعضكم بعضا ، مع اتفاقكم على أصل دينكم" (٢)

وفيما يلى بعض التعقيبات على ما جاء فى تفسير الآية الكريمة : -

الأول :

القيام بالدين والعمل بشرائعه ، وعدم تجزئته كل هذا من الأسس الرئيسة لوحدة المجتمع المسلم وترابطه ، ولأجل ذلك كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى تمتثل أوامر الله فلا تترك وتجتنب المنهيات فلا يعمل بها ، ولذلك أيضا شرع التواصى بالحق والتواصى بالصبر ، وكان التعاون على البر والتقوى كل ذلك من المبادىء العظيمه لحفظ كيان المجتمع المسلم .

أما إذا أُخِذَ ببعض الدين وَتُرِكَ بعضه ، كان من أول نتائجة حصول الفرقة والإختلاف . وقد سبق الكلام على مسألة عظم أمر الأخذ ببعض الدين وترك البعض الآخر فى الآية السابقة لهذه الآية .

الثانى :

إذا علمنا أن الائتلاف والجماعة هو وصية الله إلى جميع أنبيائه عليهم السلام فعلى اتباع الأنبياء العناية بهذه الوصية والمحافظة عليها لأنهم داخلون فى هذه الوصية من باب أولى .

---

(١) فتح القدير ٤/٥٣٠
(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ٦/٥٩٩

الثالث:

قول الشوكاني - رحمه الله -:" لا تختلفوا في التوحيد والإيمان بالله وطاعة رسله وقبول شرائعه " وقول السعدي - رحمه الله -:" ليحصل منكم الإتفاق على أصول الدين وفروعه " ، يضع القاعدة الأساس لائتلاف المسلمين واجتماعهم ، هذه القاعدة هي الإتفاق بين المسلمين في توحيد الله والإيمان به وما يترتب على ذلك من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وقبول شرائع الاسلام .

يقول شيخ الاسلام - رحمه الله - : " فإن الذي شرع لنا : هو الذي وصى به الرسل وهو الأمر بإقامة الدين والنهي عن التفرق فيه " إلى أن قال . " والدين الذي اتفقوا عليه هو الأصول " (١)

الرابع:

قول الشوكاني في تفسير الآية . " وليس من هذا فروع المسائل التي تختلف فيها الأدلة " إلى آخر كلامه المنقول عنه ، يناقض ما قرره سابقا عند تفسيره للآية (١٠٧) من سورة آل عمران بأنه ليس من الصواب تخصيص بعض مسائل الدين ، بجواز الإختلاف فيها دون البعض الآخر . وكلامه الأخير الذي ورد في تفسير آية الشورى هو الأوفق والأرجح للأخذ بالإعتبار ، وهو الموافق لما عليه جمهور العلماء المحققين من أهل السنة ، وهو الموافق لما ذهب إليه هو في كتبه الأصولية نحو " إرشاد الفحول " و " القول المفيد " وهو الذي طبقه عمليا في كتابه " نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار " .

الخامس:

قد يكون التفرق الواقع بين الأمة سببا في نزول المصائب وحلول الكوارث بها كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:" وهذا

---

(١) مجموع الفتاوى ج ١٢/١

التفريق الذى حصل من الأمة علمائها ومشائخها ، وأمرائها وكبرائها هو الذى أوجب تسلط الاعداء عليها . وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله " (١)

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٢١/٣

الدليل السابع . قوله تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ العِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ) (١)

وقوله تعالى (وَمَا تَفَرَّقُوآ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَ هُمُ العِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) (٢)

وقوله تعالى (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ البَيِّنَةُ) (٣)

يقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسير الآية الأولى: " أي:- بغى بعضهم على بعض فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم فحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله وإن كانت حقا " (٤)

أما الآية الثانية - فيقول ابن جرير - رحمه الله في تفسيرها " يقول تعالى ذكره : وما تفرق المشركون بالله في أديانهم فصاروا أحزابا ، إلا من بعد ما جاءهم العلم بأن الذي أمرهم الله به ،وبعث به نوحا ، هو إقامة الدين الحق ، وأن لا تتفرقوا فيه " (٥) .

ثم ذكر ابن جرير - رحمه الله - بسنده عن قتاده قال : " إياكم والفرقه فإنها هلكة " (٦)

وأما قوله سبحانه (بغيًا بينهم) ، فقال ابن جرير " يقول : بغيا من بعضكم على بعض وحسدا وعداوة على طلب الدنيا " (٧)

---

(١) آل عمران ١٩
(٢) الشورى آية ١٤
(٣) البينة آية ٤
(٤) تفسير القرآن العظيم ٣٥٤/١
(٥) جامع البيان ١٦/٢٥
(٦) المصدر السابق
(٧) المصدر السابق

ويقول ابن كثير - رحمه الله - فى تفسير الآية الثانية: "أي إنما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه إليهم وقيام الحجة عليهم وما حملهم على ذلك إلا البغى والعناد والمشاقة"(١)

وقال الشوكانى - رحمه الله - " أى:وما تفرقوا إلا عن علم بأن الفرقة ضلالة ، ففعلوا ذلك التفرق للبغى بينهم بطلب الرياسة وشدة الحمية " (٢)

وقال الشيخ السعدى - رحمه الله - فى نصيحة جامعة عند تفسيره للآية الثانية : " لما أمر الله تعالى بإجتماع المسلمين على دينهم ، ونهاهم عن التفرق ، أخبرهم أنهم ينبغى لهم أن لا يفترقوا بما أنزل الله عليهم من الكتاب ، فإنّ أهل الكتاب لم يتفرقوا ، حتى أنزل الله عليهم الكتاب الموجب للإجتماع ، ففعلوا ضد ما أمر به كتابهم ، وذلك كله بغيا وعدوانا منهم .

فإنّهم تباغضوا وتحاسدوا ، وحصلت بينهم المشاحنة ، والعداوة ، فوقع الإختلاف . فاحذروا أيها المسلمون أن تكونوا مثلهم"(٣)

وفى تفسير الآية الثالثة يقول الشوكانى - رحمه الله -:" وخص أهل الكتاب ، وإن كان غيرهم مثلهم فى التفرق بعد مجيء البينة لأنهم كانوا أهل علم ، فإذا تفرقوا كان غيرهم ممن لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف"(٤)

وبعد سرد الآيات الكريمه ، وذكر أقوال المفسرين فيها ، أذكر فيما يلى بعض التعقيبات على ما ورد فى شأن هذه الآيات الكريمة :

الأولى :

أخبر سبحانه أن التفرق الذى وقع بين أهل الكتاب إنما كان بعد قيام الحجة عليهم ، وبعد مجيء العلم ، وبعد معرفتهم أن الله عز وجل أمر بإقامة الدين ونهى عن التفرق فيه .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١٠٩/٤
(٢) فتح القدير ٥٣٠/٤
(٣) تيسير الكريم الرحمن ٦٠١/٦
(٤) فتح القدير ٤٧٦/٥

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - في صدد كلامه على هذه الآية - وهي: قوله تعالى: (وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ) -: " فاخبر أن تفرقهم إنما كان بعد مجيء العلم، الذي بين لهم ما يتقون، فإن الله ما كان ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون "(١)

وكذلك الحال في هذه الأمة، فإن التفرق لم يقع بينها إلا بعد قيام حجة الله عليهم بإرسال رسوله صلى الله عليه وسلم، وبعد أمرهم بالائتلاف والإجتماع ونهيهم عن التفرق والإختلاف، وبعد تحذير النبي صلى الله عليه وسلم لأمته من التفرق، وبعد أن قصّ الله علينا تفرق الأمم السابقة واختلافهم وذلك حتى يكون لنا العبرة فيهم، فلا نختلف كما اختلفوا ولا نتفرق كما تفرقوا وفي هذا مخالفة لهم وهو مقصد من مقاصد الشريعة الاسلامية. وهذا من حيث الشرع والأمر أما من حيث الإرادة الكونية القدرية فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن هذه الأمة تتبع سنن من كان قبلها حذو القذة بالقذة، وأخبر أنها تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقه، فوقع الأمر كما أخبر صلى الله عليه وسلم، فيجب التفريق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية لأن في ذلك السلامة والجمع بين النصوص.

أما إذا قال قائل: إذا كان هذا الأمر سيقع قدرًا وكونًا فما فائدة التحذير إذن؟

فالجواب: - أنّ هذا إخبار يحمل في طياته النهي لتقوم به الحجة على الخلق، وليمتثل له من شاء الله له التوفيق والسلامة فيكثر بذلك سواد الفرقة الناجية والطائفة المنصورة.

يقول شيخ الاسلام ابن تيميه - رحمه الله - بعد أن ذكر حديث الافتراق: " وهذا المعنى محفوظ عن النبي صلي الله عليه وسلم من غير

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/١

وجه ، يشير إلى أن التفرقة والإختلاف لابد من وقوعهما فى الأمة ، وكان يحذر أمته ، لينجو من شاء الله له السلامة"(١)

الثانى:

كما أخبر سبحانه وتعالى أن أهل الكتاب ما تفرقوا إلا بغيا بينهم ، والبغى كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" والبغى إما تضييع للحق ، وإما تعد للحد ، فهو إما ترك واجب ، وإما فعل محرم ، فعلم أن موجب التفرق هو ذلك " (٢)
فالبغى والتحاسد والتباغض من أهم أسباب الفرقة ، ودواعى الإختلاف بنص الكتاب العزيز .

واستثنى شيخ الإسلام الخلاف السائغ المبنى على الإجتهاد فإنه لا يدخل فى التفرق إلا مع البغى .
يقول رحمه الله:" وهذا بخلاف التفرق عن اجتهاد وليس فيه علم ، ولا قصد به البغى ، كتنازع العلماء السائغ"(٣)ويقول: " ولكن الإجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغى ، لا لمجرد الإجتهاد إلى أن يقول " فلا يكون فتنة وفرقة مع وجود الإجتهاد السائغ ، بل مع نوع بغى . ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن القتال فى الفتنة ، وكان ذلك من أصول السنة"(٤)

ويقول الشيخ ناصر بن سلطان المشعل : " وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لمختلفين " كلاكما محسن" فدل ذلك على أنه قد يختلف إثنان ويكون كلاهما على حق وخلافهما لا يوجب تفرقا ولا يسبب فسادا وهو الذى يسمى اختلاف تنوع ، يقع غالبا لإختلاف الناس فى إدراكهم ووجهات نظرهم وتفاوت آرائهم

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ج ١ /١٢٢ ، ١٢٣ المحققة .
وانظر المصدر نفسه ١/٦٨ - ٧٠ ، وانظر مقدمة فى اسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ٢٥ - ٢٨
(٢) مجموع الفتاوى ١٤/١
(٣) المصدر السابق
(٤) الاستقامة ١ / ٣١ - ٣٢

و فهومهم . فالإختلاف الذى لا يخرج أصحابه عن دائرة الحق هو فى الحقيقة ليس اختلافا ولا يترتب عليه ذم ولا يفصل أصحابه إلى ناج - وهالك وكثيرا ما يقع الظلم بين المختلفين من بعضهم على بعض بسبب البغى والظن الخاطىء حيث يظن كل من المختلفين أنه هو صاحب الحق الذى لا يحتمل الخطأ وغيره صاحب الباطل الذى لا يحتمل الصواب فيحدث من هذا الخطأ تضليل وتبديع وقد يصل إلى التكفير من بعضهم لبعض"(١)

---

(١) تفسير موضوعى للآيات القرآنية فى الاعتصام وذم التفرق والاختلاف ص ٦٦

الفصل الثانـــــى

" الأدلة من السنة في الحث على الجماعة وذم التفرق "

وفيـه مبحثـان

المبحث الأول : الأدلـــة من السنة في الحث على الجماعة.

المبحث الثاني: الأدلة من السنة في ذم التفرق.

الفصل الثانـــى

" الأدلـــة من السنـــة فى الحث على الجماعة وذم التفـــــرق "

وفيـــه مبحثان : المبحث الأول : الأدلة من السنة فى الحث على الجماعة

المبحث الثانى : الأدلة من السنة فى ذم التفرق .

تمهيـــــد :

مما أجمع العلماء عليـــه، أن السنة شارحة للقـــرآن الكريم ، ومبينـــة لمجملـــه ومفصلة له . ونلاحظ بالدراسة والتـــأمل تحقق هذه القاعدة فيما نحن بصدد دراستـــه .

فلقـــد جاءت الأحاديث الكثيرة التى تحث على الجماعة، وتـــذم التفرق ، وتحذر منه ، وهذا تأكيد لما جاء فى القرآن الكريم بهـــذا الخصوص .

كما جاءت أحاديث تبين المقصود بالجماعة التى على المسلـــــم وجوب لزومهـــا . وما هى صفاتها ومنهجها . وفى المقابل جاءت الأحاديث التى تشير إلى وقوع التفرق بين الأمة الإسلامية ، محذرة من هذا التفرق ، ومبينـــة لصفتـــه وكيفيته . وذلك كله حتى يعرف المسلم الحـــــق فيلتزمه ويتمسك به ، ويعرف الباطل فيتجنبه ويبتعد عنه .

ولقد تكلم العلماء الأجلاء على هذه الأحاديث ، وذلك بالشرح والبيان لما تضمنته من الأصول والاحكام ، وبالجمع بين ما ظاهره التعارض منها ، وبتجلية الإشكالات التى قد ترد عليها .

وسوف أقوم بذكر الأحاديث الواردة فى الحث على الجماعـــة وذم التفرق مع تخريجها وبيان درجتها ، مع ذكر كلام أهل العلم حولهـــا فيما يخص، ويتعلق بموضوع بحثى هذا والله المستعان .

المبحث الاول

" الأدلة من السنة فى الحث على الجماعة والأمر بلزومها "

الحديث الأول :

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إنَّ الله يرضى لكم ثلاثا ، أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم " (١)

يقول النووى - رحمه الله - فى شرح هذا الحديث العظيم : " وأما الإعتصام بحبل الله فهو التمسك بعهده وهو اتباع كتابه العزيز وحدوده والتأدب بأدبه . والحبل يطلق على العهد وعلى الأمان وعلى الوصلة وعلى السبب وأصله من استعمال العرب الحبل فى مثل هذه الأمور لاستمساكهم بالحبل عند شدائد أمورهم ويوصلون بها المتفرق فاستعير اسم الحبل لهذه الأمور .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم (ولا تفرقوا) فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتألف بعضهم ببعض وهذه إحدى قواعد الإسلام " (٢)

لقد اعتبر النووى - رحمه الله - لزوم جماعة المسلمين وتآلف المسلمين فيما بينهم إحدى قواعد الإسلام ، وهذه القاعدة التى يؤصلها النووى بناء على ما جاء فى الحديث الصحيح ، هى قول علماء السلف قاطبة ، وسيأتى ذكر بعض المنقولات عنهم مما يبين ذلك ويؤكده .

الحديث الثانى :

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " نضرالله عبدا سمع مقالتى هذه فحملها فرب حامل الفقه فيه غير فقيه ، ورب حامل الفقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لايغل

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب " الاقضية " باب " النهى عن كثرة المسائل من غير حاجة " وانظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/١٠

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/١١

عليهن صدر مسلم ، إخلاص العمل لله عز وجل ومناصحة أولى الأمر ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم "(١)

الحديث الثالث:

خطب عمر - رضى الله عنه - بالشام فقال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى فيكم . فقال:" استوصوا بأصحابى خيرًا ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشوا الكذب حتى يعجل الرجل بالشهادة قبل أن يسألها وباليمين قبل أن يسألها فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد ومن الإثنين أبعد ، فمن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن "(٢)

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى " مسنده " (١٨٣/٥) والدرامى (٧٥/١)وابن حبان (٧٢و٧٣ - موارد) وابن عبد البر فى " الجامع"(٣٨/١-٣٩ عن شعبة . وأخرجه الحاكم فى " مستدركه " بنحوه وصححه وأقره الذهبى ، ورواه ابن ماجة فى مقدمة سننه بنحوه ، وأخرجه ابن أبى عاصم فى " السنة " (ح : ٩٤) وقال الشيخ الألبانى (إسناده صحيح) ، وأورده الشيخ الألبانى فى " السلسلة الصحيحة " ٦٨٩/١ (ح . ٤٠٤)

(٢) رواه الترمذى فى كتاب (الفتن) الباب السابع ،ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى (١١٤/١) ورواه ابن أبى عاصم فى"السنة" (ح : ٨٦- ٨٨، ٨٩٦، ٨٩٩ ، ٩٠٢) وصححه الشيخ الألبانى ، ورواه اللالكائى فى " شرح أصول الإعتقاد " (ح . ١٥٥) وقال محققه الدكتور احمد سعد حمدان:(سنده حسن) (١٠٦/١) .
ورواه الآجرى فى " الشريعة " (ص ٧ - ٨) ورواه ابن بطة فى " الإبانة " (ح : ١١٣ - ١١٦) ، ورواه أحمد فى مسنده (١٨/١) ، (٢٦/١) ، ورواه ابن منده فى كتابه " الإيمان " رقم(١٠٨٦ ، ١٠٨٨) .
وقد استقصى الدكتور أحمد سعد حمدان طرق الحديث فى تحقيقه لكتاب " شرح أصول الاعتقاد " للالكائى انظر حاشية (١٠٧/١)وقال : " فالحديث بهذه الطرق صحيح " ورواه عبد الرزاق الصنعانى فى " مصنفه " (ح : ٢٠٧١٠)

ففى هذين الحديثين الأمر الصريح بلزوم جماعة المسلمين ، ولقد وقفت على كلام نفيس للإمام الشافعى - رحمه الله - يبين فيه معنى أمر النبى صلي الله عليه وسلم بلزوم جماعة المسلمين . فبعد ذكر الإمام الشافعى - رحمه الله - لحديث عمر السابق قال :

" ١٣١٦ - قال : فما معنى أمر النبى بلزوم جماعتهم ؟

١٣١٧ - قلت : لامعنى له إلا واحد .

١٣١٨ - قال : فكيف لا يحتمل إلا واحدا .

١٣١٩ - قلت : إذا كانت جماعتهم متفرقة فى البلدان فلا يقدر أحد أن يلزم جماعة أبدان - قوم متفرقين ،وقد وجدت الأبدان تكون مجتمعة من المسلمين والكافرين والأتقياء والفجار ، فلم يكن فى لزوم الأبدان معنى ، لأنه لا يمكن ،ولأن اجتماع الأبدان لا يصنع شيئا ، فلم يكن للزوم جماعتهم معنى ، إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما .

١٣٢٠ - ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم ، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التى أمر بلزومها "(١)

ونستخلص من كلام الشافعى - رحمه الله - أن المقصود بلزوم جماعة المسلمين أن يتحقق فى الشخص أمران :

الأول :

أن يتبع ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم . وهذا خاص بأمر الأحكام والمعاملات .

الثانى :

أن يقول بما تقول به جماعتهم . وهذا خاص بأمر الاعتقاد

(١) الرسالة للامام الشافعى بتحقيق أحمد شاكر ص ٤٧٤-٤٧٦

والعبادات والله أعلم .

والمقصود هنا الكلام على المراد بمعنى لزوم جماعة المسلمين. أما من هى الجماعة المراد لزومها فسيأتى له مزيد بيان وتفصيل فى الفصل القادم من هذا البحث إن شاء الله تعالى .

"الحديث الرابع" :

عن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - قال : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى ، فقلت يا رسول الله إنّا كنّا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال:نعم .

قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه دخن ، قلت : وما دخنه ؟ قال : قوم يهدون بغير هدى - تعرف منهم وتنكر، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟

قال : نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها ،قلت : يا رسول الله صفهم لنا .

قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، قلت:فما تأمرنى إن أدركنى ذلك ؟

قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال . فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك "(١)

---

(١) أخرجه البخارى فى:كتاب المناقب:باب علامات النبوة (الفتح ٦/ ٦١٥) وفى كتاب الفتن باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟ (الفتح ٣٥/١٣). وأخرجه مسلم فى كتاب الأمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفى كل حال وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة .
وأخرجه ابو داود فى"الفتن " وابن ماجة فى " الفتن ."
وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده " (٣٨٦/٥)
وأخرجه عبد الرزاق الصنعانى فى:(مصنفه) (ح : ٢٠٧١٠)

قال النووى - رحمه الله - فى شرح هذا الحديث " (دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها) قال العلماء : هؤلاء من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال آخر كالخوارج والقرامطة وأصحاب المحنة وفى حديث حذيفة هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم ووجوب طاعته وإن فسق وعمل المعاصى " (١)

ونلاحظ أنّ النووى - رحمه الله - قد أورد هذا الحديث تحت باب " وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفى كل حال وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة "(١)

وقال ابن حجر - رحمه الله - فى ثنايا شرحه لهذا الحديث " وقال ابن بطال : فيه حجة لجماعة الفقهاء فى وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور "(٢) .

ثم ذكر قول الطبرى بأن الأمر هنا فى الحديث للوجوب ، وساق ما ذكره الطبرى من أقوال فى المراد بالجماعة (٣) ، إلى أن قال : " قال :وفى الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابا فلا يتبع أحدا فى الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع فى الشر"(٢)

ويتبين لنا من كلام العلماء فى شرحهم لحديث حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - أمور :

" الأول " : وجوب ملازمة جماعة المسلمين .

" الثانى" : عدم الخروج على ائمة الجور.

"الثالث" : اعتزال الفرق عندما لا يكون للمسلمين إمام ولاجماعة .(٤)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٣٧/١٢
(٢) فتح البارى ٣٧/١٣
(٣) سيأتى بيان هذه المسألة فى الفصل القادم إن شاء الله تعالى
(٤) سيأتى الكلام على هذه الأمور بالتفصيل عند مبحث" مراحل الجماعة " فى الفصل القادم إن شاء الله تعالى

الحديث الخامس :

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " إن الله لايجمع أمتى على ضلالة ، ويد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ إلى النار " (١)

الحديث السادس:

عن عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يجمع الله هذه الأمة على ضلالة أبدا - قال - يد الله على الجماعة فاتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذ شذ فى النار " (٢)

الحديث السابع:

عن أسامة بن شريك - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يد الله على الجماعة فإذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الشاة ذئب الغنم "(٣)

---

(١) رواه أبو داود فى الفتن والملاحم باب ذكر الفتن ودلائلها ٤/٩٨ ، والترمزى فى " الفتن " باب ما جاء فى لزوم الجماعة ٤/٤٦٦
ورواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر ، وصححه الألبانى انظر تخريج المشكاة ١٧٣
ورواه ابن بطة فى " الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية " (١/٣٤٧-٣٤٨ ح : ٢٢٢).

(٢) رواه الترمذى وقال:" غريب من هذا الوجه " .
ورواه اللالكائى فى " شرح أصول الإعتقاد " (ح : ١٥٤) وقال محققه الدكتور احمد سعد حمدان : (سنده حسن) ١/١٠٦
ورواه ابن أبى عاصم فى " السنة " (ح : ٨٠)

(٣) رواه اللالكائى فى"شرح أصول الاعتقاد" (ح . ١٤٤) وقال محققه " سنده ضعيف " ورواه ابن أبى عاصم فى " السنة " (ح : ٨١) - وقال الشيخ الألبانى " حديث صحيح وإسناده ضعيف جدا " إلى أن قال " لكن الحديث صحيح له شاهد " انظر تخريج السنة (١/٩٩).

"الحديث الثامن :

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن أمتى لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم " (١)

الحديث التاسع :

عن أبى ذر رضى الله عنه - عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إثنان خير من واحد، وثلاث خير من اثنين، وأربعة خير من ثلاثة، فعليكم بالجماعة فإن الله عز وجل لن يجمع أمتى إلا على هدى " (٢)

الحديث العاشر :

عن كعب بن عاصم - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن الله تعالى قد أجار لى على أمتى من ثلاث : لا يجوعوا ، ولا يجتمعوا على ضلالة، ولا يستباح بيضة المسلمين" (٣).

---

(١) رواه ابن ماجة (٣٩٥٠) ، وقال الحافظ العراقى " فى كل طرقه نظر" ، ورواه اللالكائى فى " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " (١٥٣) ، ورواه ابن أبى عاصم فى " السنة " (ح : ٨٤٨٠) ، ورواه ابن بطة فى " الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (ح : ١١٨) ، والشطر الأول من الحديث صحيح وله شواهد، وقد رواه ابن أبى عاصم فى " السنة " (ح : ٨٢ - ٨٣) ، وانظر حاشية مشكاة المصابيح (٦١/١)، ورواه الترمذي (ح : ١٦٧) . ورواه اللالكائى (ح : ١٥٤) وقال محققه " سنده حسن " انظر حاشية (١٠٦/١) . وقال المحقق " ومدار الحديث على المعتمر بن سليمان وقد ساق الحاكم سبعة أسانيد إليه وذيلها بكلام يقوى فيه صحة الحديث وقال : فلا بد أن يكون له أصل بأحد هذه الأسانيد (١١٥/١ - ١١٦) " أ هـ .
ورواه ابن أبى عاصم موقوفا على يسير بن عمرو (٨٥) وقال الشيخ الألبانى " إسناده جيد " .

(٢) أخرجه الامام أحمد فى " مسنده " انظر الفتح الربانى (٤٧/٢٣ ح: ١٠٥) وقال الساعاتى - رحمه الله - " أعله الهيثمى "

(٣) رواه ابن أبى عاصم فى " السنة " (ح : ٩٢) وقال محققه الشيخ الألبانى " حديث حسن " انظر تخريج السنة (٤٤/١) .

نلاحظ أن الأحاديث السبعة السابقة متقاربة الألفاظ ، وقد جعلت التعليق عليها جميعها بعد سردها لهذا السبب ، وهي تدل على أمور منها :

الأول :
ـــــ أن أمة الإسلام لا تجتمع على ضلالة ، والمراد هنا هو إجماع العلماء خاصة .

يقول المباركفوري - رحمه الله - عند شرحة لحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - السابق : " الحديث يدل على أن اجتماع المسلمين حق والمراد إجماع العلماء ولا عبرة بإجماع العوام لأنه لا يكون عن علم " (١)

الثاني :
ـــــ حث النبي صلى الله عليه وسلم أمته على الجماعة ، وعلى اعتبار أن المراد باجتماع الأمة هو اجتماع العلماء ، فإن العوام تبع لهم في ذلك وعليهم متابعة العلماء وعدم الخروج عما أجمعوا عليه من أمور الدين .

الثالث :
ـــــ الوعيد الشديد لمن فارق الجماعة ، ويفهم هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم " ومن شذ شذ إلى النار "

الرابع :
ـــــ قول النبي صلى الله عليه وسلم " فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم " (٢)

الخامس :
ـــــ في الأحاديث بشرى لمن امتثل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن لزم الجماعة ، ويفهم هذا من وجهين .

الوجه الأول :
بصريح العبارة حيث قال صلى الله عليه وسلم : " يد الله مع الجماعة "

---

(١) تحفة الأحوذي ٣٨٦/٦
(٢) سيأتي بيان المراد بهذه الجملة في الفصل القادم إن شاء الله .

الوجه الثانى:

بمفهوم المخالفة حيث قال صلى الله عليه وسلم : " ومن شذ شذ فى النار " فدل هذا على أن من لزم الجماعة فهو فى الجنة وقد جاء التصريح بهذه البشرى فى حديث عمر - رضى الله عنه - حيث جاء فيه : " من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة " (١)

الحديث الحادى عشر:

عن النعمان بن بشير - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الجماعة رحمة والفرقة عذاب" (٢).

وهذا الأمر العظيم الذى قرره الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الشريف هو من الأصول الإعتقادية لأهل السنة والجماعة حيث أدرجه الإمام الطحاوى - رحمه الله - ضمن بيان عقيدة أهل السنة والجماعة بقوله : (ونرى الجماعة حقا وصوابا ، والفرقة زيغا وعذابا) (٣)

الحديث الثانى عشر :

عن الحارث الاشعرى - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله أمر يحى بن زكريا بخمس كلمات فذكر الحديث بطوله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وأنا آمركم بخمس كلمات أمرنى الله بهن : الجماعة ، والسمع والطاعة والهجرة والجهاد فى سبيل الله فمن خرج من الجماعة قيد شبر

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) أخرجه أحمد فى " المسند"وابنه فى " زوائده " (٤/٢٧٨ و ٢٧٥) - (٨/١٨٢) وأخرجه ابن أبى عاصم فى " السنة " (ح : ٨٩٥) وقال الشيخ الألبانى (اسناده حسن) ، وأخرجه ابن بطه فى " الإبانه" (ح : ١١٧) وأورده الألبانى (ح : ٦٦٧) فى السلسلة الصحيحه .
(٣) انظر متن الطحاوية ص ١٥ فقرة ١٠٢ ط المكتب الاسلامى ، وشرح الطحاوية ص ٥١٢ ط ٨ المكتب الإسلامى .

فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع"(١)

فالأمر بالجماعة والائتلاف هو أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين ، وأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته ، والأمر للوجوب كما هو معلوم ومقرر في علم الأصول ، وعلى قدر إمتثال المؤمنين لهذا الأمر تكون سعادتهم في الدنيا ، وحسن العاقبة في الآخره .

وتوجد أحاديث أخرى في الباب تعاضد الأحاديث السابقة وتدل إجمالاً على ما دلت عليه .

فمنها حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " (٢)

ومنها حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " (٣)

---

(١) رواه أحمد (١٣٠/٤ ، ٢٠٢ ، ٣٤٤) والترمذي (٢٨٦٣) و (٢٨٦٤) ، وابن خزيمة (١٨٩٥) ، وأبو يعلى في " مسنده " (١٥٧١) وفي" المفاريد" (رقم : ٨٣) والنسائي في " الكبرى " كما في"تحفة الاشراف" (٣/٣) ، وابن عساكر في الأربعين الجهادية " (رقم : ٦) - والطيالسي (١١٦١ - ١١٦٢) ، والآجري في " الشريعة " (ص ٨) ، ورواه ابن بطه في " الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية " (ح : (١٢٤ - ١٢٥) ، وأخرجه أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني في " مصنفه " (ح : ٢٠٧٠٩) وأورده الشيخ علي حسن علي عبد الحميد - الحلبي الأثري - في كتاب " الأربعون حديثا في الدعوة والدعاة " ص ٨٨ وقال في تخريجه:" سنده صحيح " .

(٢) متفق عليه .. أخرجه البخاري في:كتاب الصلاة :باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره (٤٨١/١) .
وأخرجه مسلم في:كتاب البر والصلة والأدب:باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٥/٤)

(٣) متفق عليه .. أخرجه البخاري في:كتاب الأدب:باب رحمة الناس والبهائم (٦٠١١/٤)
وأخرجه مسلم في:كتاب البر والصلة والأدب:باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٢٥٨٦/٤)

ومن الأحاديث التى رويت مرفوعة بسند ضعيف وصحت موقوفة على ابن مسعود - رضى الله عنه - ما رواه اللالكائى بسنده عن ثابت بن قطبة قال : سمعت ابن مسعود وهو يخطب . وهو يقول : " يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنهما السبيل فى الأصل إلى حبل الله الذى أمر به وإن ما تكرهون فى الجماعة خير مما تحبون فى الفرقة ".(١)

---

(١) رواه اللالكائى فى " شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة " (ح : ١٥٨ - ١٥٩) ورواه الآجرى فى " الشريعة " (١٣)

المبحث الثانى

" الأدلة من السنة فى ذم التفرق والتحذير منه "

الحديث الأول :

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من فارق الجماعة شبرا فكأنما خلع ربقة الاسلام من عنقه "(١)

الحديث الثانى:

وعن الحارث الأشعرى - رضى الله عنه - أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:" إن الله أمرنى بالجماعة وأنه من خرج من الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه "(٢)

الحديث الثالث :

عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من فارق الجماعة ،فإنه يموت ميتة جاهلية " (٣)

---

(١) قال ابن حجر فى الفتح (٧/١٣) : " أخرجه الترمذى وابن خزيمة وابن حبان ومصححًا من حديث الحارث بن الحارث الأشعرى فى أثناء حديث طويل ، وأخرجه البزار والطبرانى فى (الأوسط) من حديث ابن عباس وفى سنده خليد بن دعجل وفيه مقال ، وقال (من رأسه) بدل (عنقه)» أ . هـ .
وأخرجه بلفظ مقارب عن أبى ذر - رضى الله عنه - الإمام أحمد فى "مسنده "(٥/١٨٠) وانظر الفتح الربانى (٢٣/٤٨ - ح : ١٠٦) ،وأخرجه الحاكم فى(المستدرك)(١/١١٧) وأبو داود (٤٧٥٨) وابن أبى عاصم فى " السنة " (٨٩٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤) وقال الشيخ الألبانى "حديث صحيح " .

(٢) أخرجه اللالكائى فى"شرح أصول الإعتقاد " (ح : ١٥٧) ،وأخرجه الإمام أحمد (٤/١٣٠ ، ٢٠٢) وقد استقصى الدكتور أحمد سعد حمدان طرق الحديث ، انظر حاشية " شرح أصول الأعتقاد" (١/١٠٨) ثم قال:" الحديث بهذه الطرق حسن"

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢/١٣٣) وابن أبى عاصم فى " السنة " (ح : ٩١) وقال الشيخ الألبانى (إسناده حسن) وأورده الشيخ الألبانى فى " السلسلة الصحيحه " (ح : ٩٨٤)

المقصود بمفارقة الجماعة هنا ، الجماعة التى لها إمام منتصب ، فلا يجوز الخروج على هذا الإمام ولا نكث بيعته ، ويؤيد هذا أن هذه الأحاديث الثلاثة قد وردت بألفاظ أخرى متقاربة وفيها: " من خرج من السلطان شبرًا " بدل " من خرج من الجماعة شبرا " والحديث مروى عن ابن عباس نفسه - رضى الله عنه - حيث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من كره من أميره شيئا فليصبر ، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية "(١)

وفى رواية عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه ، فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية " (٢)

قال بن حجر - رحمه الله - " وقوله " شبرا " بكسر المعجمة وسكون الموحدة وهى كناية عن معصيته السلطان ومحاربته ، قال ابن أبى جمرة : المراد بالمفارقة السعى فى حل عقد البيعة التى حصلت لذلك الأمير ولو بأدنى شىء ، فكنى عنها بمقدار الشبر ، لأن الأخذ فى ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق "(٣)

---

(١) أخرجه البخارى فى:كتاب الفتن :باب قول النبى صلى الله عليه وسلم " سترون بعدى أمورا تنكرونها " وانظر الفتح "١٣/٥ ح : ٧٠٥٣) .
وأخرجه مسلم فى: كتاب الأمارة: باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وانظر صحيح مسلم بشرح النووى (١٢/٢٤٠)

(٢) أخرجه البخارى فى:كتاب الفتن:باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : " سترون بعدى أمورا تنكرونها " وانظر الفتح (١٣/٥ ح : ٧٠٥٤)
وأخرجه مسلم فى كتاب الامارة :باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وانظر صحيح مسلم بشرح النووى (١٢/٢٤٠)

(٣) فتح البارى(١٣/٦ - ٧)

الى أن قال " والمراد بالميتة الجاهلية وهى بكسر الميم حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له امام مطاع ، لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك ،وليس المراد أنه يموت كافرا بل يموت عاصيا"(١)

وقال أيضا . " فى الحديث حجة فى ترك الخروج على السلطان ولو جار ، وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما فى ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء ، وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده ،ولم يستثنوا من ذلك الا اذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته فى ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها " (٢)

الحديث الرابع .

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى صلى الله عليه وسلم - أنه قال . " من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو الى عصبة أو ينصر عصبة - وفى رواية " يغضب لعصبته ويقاتل لعصبته وينصر عصبته " فقتل فقتله جاهلية ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى لذى عهد عهده فليس منى ولست منه . (٣)

وهذا الحديث مثل الأحاديث السابقة فى الدلالة .

قال النووى - رحمه الله - فى تفسير قوله صلى الله عليه وسلم - " مات ميتة جاهلية) . " هى بكسر الميم أى على صفة موتهم من حيث هم فوضى لا امام لهم " (٤) وقال أيضا . " قوله صلى الله عليه وسلم " ومن قاتل تحت راية عمية " هى بضم العين وكسرها لغتان مشهورتان والميم مكسورة مشددة والياء مشددة أيضا قالوا فى الأمر الأعمى لا يستبين وجهه كذا قاله أحمد بن حنبل والجمهور قال اسحاق بن راهويه هذا كتقاتل الفرم للعصبية "(٥)

---

(١) فتح البارى(٧/١٣)
(٢) نفس المصدر السابق .
(٣) رواه الإمام مسلم فى كتاب الامارة وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن . ورواه الإمام احمد فى " مسنده" انظر الفتح الربانى(٢٣/٥٣/ح : ١٢٢) ،وابن أبى عاصم فى"السنة"(ح: ٩٠،٩٠١) ورواه اللالكائى في"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"(ح:١٤١٠،١٤٢) و عبد الرزاق في" المصنف" ٢٠٧٠٧) ورواه الآجرى فى"الشريعة" (١٠٤٩)وابن بطه فى الابانة(ح : ١٠٨ -١١٢)
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى:٢٣٨/١٢ (٥) المصدر السابق.

وفى معنى قوله صلى الله عليه وسلم (يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة) قال النووى - رحمه الله - : "ومعناه أنما يقاتل عصبية لقومه وهواه " (١)

وحول معنى قوله صلى الله عليه وسلم (ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها) ، قال النووى : " ومعناه لايكترث بما يفعله فيها ولا يخاف وباله " (٢)

الحديث الخامس:

عن عرفجة بن شريح الأشجعى - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إنه ستكون هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان " (٣)وفى رواية " فاقتلوه " (٤)

وفى رواية " من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه " (٥)

وفى روااية للنسائى عن أسامة بن شريك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أيما رجل خرج يفرق بين أمتى فاضربوا عنقه " (٦)

قال النووى - رحمه الله - فى شرح الحديث : " فيه الأمر بقتال من خرج على الإمام او أراد تفريق كلمة المسلمين ونحو ذلك وينهى عن ذلك فإن لم ينته قوتل فإن لم يندفع شره إلا بقتله فقتل كان هدرًا

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (٢٣٩/١٢)
(٢) المصدر السابق .
(٣) أخرجه مسلم فى كتاب الامارة باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع وانظر صحيح مسلم بشرح النووى ٢٤١/١٢ .
وأخرجه الامام أحمد فى " مسنده " (٣٤١/٦) وانظر الفتح الربانى (٨/٢٤/ح . ١٦) ، والنسائى فى المحاربة (٣٧٥٣) وأبو داود فى السنة (٤٧٦٢) ، وأخرجه ابن بطة فى " الأبانة "(ح . ١٣٩) وعبد الرزاق فى " مصنفه " (ح . ٢٠٧١٤) .
(٤) المصدر السابق
(٥) المصدر السابق
(٦) أخرجه النسائى باب قتل من فارق الجماعة (ح . ٣٧٥٦) وصححه الشيخ الألبانى . وأخرجه اللالكائى فى " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " (ح . ١٤٣)

فقوله صلى الله عليه وسلم فاضربوه بالسيف وفى الرواية الأخرى فاقتلوه معناه: إذا لم يندفع إلا بذلك " (١)

الحديث السادس:

عن عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلّا الله وأنيّ رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس والثيب الزانى والمارق من الدين التارك الجماعة "(٢)

قال النووى - رحمه الله -: " وأما قوله صلى الله عليه وسلم: (والتارك لدينه المفارق للجماعة " فهو عام فى كل مرتد عن الإسلام بأى رده كانت فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام قال العلماء ويتناول أيضا كل خارج عن الجماعة ببدعة أو بغى أو غيرهما وكذا الخوارج والله أعلم "(٣)

وقال ابن حجر - رحمه الله -: " والمراد بالجماعة جماعة المسلمين أى فارقهم أو تركهم بالإرتداد ، فهى صفة للتارك أو المفارق لا صفة مستقلة وإلا لكانت الخصال أربعا "(٤)

قلت: - وهذا الذى ذكره العلماء وقع فى تاريخ سلفنا الصالح ما يؤيده كقتال أبى بكر رضى الله عنه للمرتدين ومانعى الزكاة ، وكقتال على رضى الله عنه للخوارج ، وللذين غالوا فيه وألهوه وكقتل بعض الأئمة للمبتدعة: كقتل الجعد بن درهم، والجهم بن صفوان.

الحديث السابع:

ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:" افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٤١/١٢ - ٢٤٢
(٢) أخرجه البخارى فى كتاب (الديات) باب قول الله تعالى (ان - النفس بالنفس ، والعين بالعين) الآية وانظر الفتح (٢٠١/١٢) وأخرجه مسلم " كتاب الاقضية " باب ما يباح به دم المسلم " وأخرجه النسائى (٣٧٥٠ - ٣٧٥٢) وأخرجه ابن أبى عاصم فى " السنة " (ح . ٨٩٣ - ٨٩٤) .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦٥/١١ .
(٤) فتح البارى ٢٠١/١٢ - ٢٠٢ .

وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة ، قيل . من هى يا رسول الله ؟ قال . من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى "(١)

(١) الحديث مشهور محفوظ وصححه كثير من العلماء المحققين واعتنوا به دراية ورواية وقد ورد من طرق كثيرة عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم - وروايتهم ألفاظها متقاربة . ومن الصحابة الذين رووا الحديث : أبو هريرة ، ومعاوية بن أبى سفيان ،وعبد الله بن عمرو ، وعوف بن مالك ، وأنس بن مالك ،وأبو معاوية ، وأبو الدرداء ، وواثلة بن الأسقع ،وابن مسعود ،وسعد بن أبى وقاص - رضى الله عنهم أجمعين . وهذه مواضع أحاديثهم على الإجمال : -

أبو داود : ٣٤ - كتاب السنة ،١- باب شرح السنة ،رقم ٤٥٩٦،٤٥٩٧ ج ٥ ص ٤ .

الترمذى : ٤٤ كتاب الإيمان ،١٨ - باب ما جاء فى افتراق هذه الأمة رقم: ٢٦٤٠ ،٢٦٤١ ج ٥ ص ٢٥ - ٢٦ .

ابن ماجة : ٣٦ - كتاب الفتن ، ١٧ - باب افتراق الأمم ،رقم ٣٩٩١ - ٣٩٩٣ ج ٢ ص ١٣٢١ .

الإمام أحمد : ج ٢/٣٣٢ ، ٣/١٢٠ ، ١٤٥ ،٤/١٢٠ .

الحاكم : فى " المستدرك " فى كتاب العلم ج ١ ص ١٢٨ وقال:صحيح على شرط مسلم وَ ج ٢/ص ٤٨٠ وقال ، صحيح الإسناد .

الدارمي : ١٧- كتاب السير ،٧٥ - باب فى افتراق الأمة ،رقم: ٢٥٢١ ج ٢ ص ١٥٨ .

الطبرانى : فى " الكبير " : ج ٨/٣٢٧ رقم ٨٠٥١، و ص ١٧٨ رقم ٧٦٥٩، و ص ٣٢١ رقم ٨٠٣٥ ،ج ١٠/٢٧١ - ٢٧٢ ، رقم ٢١١ - ٢١٢ وفى "الصغير" : ج ١/٢٢٤ .

الآجرى : فى (الشريعة)ص ١٥ - ١٨ ،وابن أبى عاصم : فى "السنة" ج ١/ص ٣٢ - ٣٥ .

اللالكائى : فى شرح أصول الإعتقاد " ج ١/ص ١٠٠ - ١٠٢،والطبرى ج ٢٧/ص ٢٣٩ .

ورواه ابن بطة فى " الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية " (١/٣٦٧- ٣٧٥ ح : ٢٦٣ - ٢٧٥) . وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيميه " هو حديث صحيح مشهور" انظر " المسائل " (٢/٨٣) و " الفتاوى" ٣/٣٤٥.واعتنى به الشاطبى فى " الإعتصام " وأورده ابن كثير فى تفسيره (١/٣٩٠) ،وأورده الشيخ الألبانى فى " السلسلة الصحيحة " انظر"ج٣/٤٨٠" ،ص١٤ وما بعدها .

وفـــى بعـــض الروايات : " هى الجماعـــة " (١)

---

(١) منها : رواية معاوية - رضى الله عنه - رواها الإمام أحمـــد (١٠٢/٤) ، وأبو داود ، كتاب " السنة " رقم (٤٥٩٧) - ط الدعاس ، والحاكم فى " المستدرك " (١٢٨/١) ، والدار مـــى ١٥٨/٢) برقم (٢٥٢١) - ط اليمانى ، والآجرى فى " الشريعـــة (ص ١٨) ، وابن أبى عاصم (٣٤/١ - ٣٥) ، واللالكائى فـــى شرح السنة (١٠١/١ - ١٠٢) " وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبى ، وحسنه ابن حجر فى تخريج الكشاف (ص ٦٣) ، " ملحق فى آخر الكشاف للزمخشرى " . وجوّد إسناده العراقى - إحياء علـــوم الدين (٢٥٥/٣) ، وقال عنه ابن تيميه : " هذا حديث محفوظ" - اقتضاء الصراط المستقيم (١١٨/١) ، المحققة . وصححه الألبانى . سلسلة الصحيحة رقم (٢٠٤)

ومنها : رواية عوف بن مالك - رضى الله عنه - رواها ابـــن ماجة ،كتاب الفتن ، رقم (٣٩٩٢) ، وابن أبى عاصم (٣٢/١) ، واللالكائى (١٠١/١) ، وإسناده حسن ، وذكره الألبانـــى فـــى الصحيحة رقم (١٤٩٢)

ومنها : رواية أنس بن مالك - رضى الله عنه - رواها الإمـــام أحمد (١٢٠/٣ ، ١٤٥) ، وابن ماجة فى الفتن ، ورقمه (٣٩٩٣)، واللالكائى (١٠٠/١) ، والآجرى فى " الشريعة " (ص ١٦، ١٧) ، والطبرانى فى " الصغير " (٢٥٦/١) ، والعقيلى فى الضعفـــاء الكبير " (٢٦٢/٢) ، ويصح بمجموع طرقه .

انظر رسالة " موقف ابن تيمية من الأشاعرة " رسالة مقدمـــة للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة الامام محمد بن سعـــود الإسلامية للشيخ عبدالرحمن بن صالح المحمود (ج ١١/١/) وهـــى غير مطبوعة .

قال المباركفوري - رحمه الله - عند شرحه للحديث " قال العلقمي: قال شيخنا: ألف الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي في شرح هذا الحديث كتابا قال فيه : قد علم أصحاب المقالات أنه صلى الله عليه وسلم لم يرد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه من أبواب الحلال والحرام وإنما قصد بالذم من خالف أهل الحق في أصول التوحيد وفي تقدير الخير والشر ، وفي شروط النبوة والرسالة وفي موالاة الصحابة ، وما جرى مجرى هذه الأبواب ، لأن المختلفين فيها قد كفر بعضهم بعضا ، بخلاف النوع الأول فانهم اختلفوا فيه من غير تكفير ولا تفسيق للمخالف فيه ، فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الإختلاف . وقد حدث في آخر أيام الصحابة خلاف القدرية من معبد الجهني وأتباعه ، ثم حدث الخلاف بعد ذلك شيئاً فشيئا إلى أن تكاملت الفرق الضالة اثنتين وسبعين فرقة والثالثة والسبعون هم: أهل السنة والجماعة وهي الفرقة الناجية . انتهى باختصار يسير"(١)

وقال ابن أبي العز الحنفي في تعليقه على حديث الإفتراق " في " شرح الطحاوية " "فبين أن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة " (٢)

وهذا ما عليه جمهور علماء السلف من أن المقصود بالفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة . (٣)

وأما الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة فحكمهم مبني على مسألة " تكفير أهل البدع " ، ولعلماء أهل السنة تفصيل طويل في هذه المسألة (٤) وخلاصته :-

---

(١) تحفة الأحوذي للمباركفوري ٣٩٨/٧
وانظر عون المعبود للعظيم آبادي ٣٤٠/١٢ - ٣٤١ .
(٢) انظر شرح الطحاوية صـ ٣٨٣ ،ص ٥١٢ ط الشامنة ، المكتب الاسلامي ، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم ١٢٧/١
(٣) سيأتي بيان هذه المسألة في الفصل القادم ان شاء الله تعالى
(٤) انظر مجموع الفتاوى لابن تيميه ٣٤٨/٣ - ٣٥٤ ، ٢١٧/٧ - ٢١٨ ، والاعتصام للشاطبي ١٩٢/٢ - ٢٠٦ ، ٢٤٦ - ٢٤٩ ، ٢٥٦ - ٢٥٨ .

١ - أن البدع ليست على درجة واحدة ، فمنها البدع المكفرة التى تُخْرِج صاحبها عن دائرة الإسلام ، ومنها البدع التى هى أقل درجة ، ولا تخرج صاحبها عن دائرة الإسلام .

٢ - ونتيجة للتفريق السابق ، فإن المحققين من أهل العلم لا يُدْخِلون غلاة أهل البدع الذين بدعهم مكفرة ضمن الثنتين والسبعين فرقة ، ويجعلون حكم الثنتين والسبعين فرقة - بناء على ذلك - حكم أهل الوعيد من أهل الكبائر والمعاصى من هذه الأمة الذين لهم حكم الإسلام فى الدنيا ، ويدخلون تحت مشيئة الله تعالى فى الآخرة (١) ، فإن شاء غفر لهم ، وإن شاء عذبهم ثم مآلهم إلى الجنة . وهذا هو أمثل الأقوال فى هذه المسألة ،والله أعلم .

وفى حديث الإفتراق فوائد عظيمة أشير إلى بعض منها :

الأولى :

دلّ الحديث على أهمية اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، والإقتداء به ، والتمسك بسنته ، والتزام طريقته . فالإبتداع فى الدين خطره عظيم ، ومخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ضررها جسيم .

ولذلك كان من أهم الضوابط التى وضعها الإسلام للزوم الجماعة : الحث على ملازمة السنة والتمسك بها ، والنهى عن البدعة والتحذير منها .

وقد بين الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - فى حديث الإفتراق أمرين :

أولهما :

البشرى بالجنة لمن اتبع سبيله ، وكان على ما كان عليه هو صلى الله عليه وسلم ، وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين .

الثانى :

الوعيد الشديد لمن خالف هديه وسنته .

---

(١) انظر مبحث العذر بالجهل فى الباب الثانى من هذا البحث . ص١٩٤ .

الثانيـــة :

يستنبط من قوله - صلى الله عليه وسلم - (إلا واحدة) أن - الحق واحد لا يتعدد . وهذه المسألة موضع خلاف بين العلماء ، فمنهم من يرى بأن كل مجتهد مصيب (١) ، وهم الذين يطلق عليهم اسم "المصوبة" ، ومنهم من يرى بأن الحق واحد لا يتعدد ، وهم الذين يطلق عليهـــم اسم " المخطئة " ولا شك أن الأدلة مع الفريق الثانى ، ويعتبر حديث الإفتراق من الأدلة القوية التى توءيد ما ذهبوا إليه .

قال الشاطبى : " إن قوله عليه الصلاة والسلام " (إلا واحدة) قـد أعطى بنصه أن الحق واحد لا يختلف ، إذ لو كان للحق فرق ايضا لم يقل " إلا واحدة " ولأن الإختلاف منفى عن الشريعة بإطلاق ، لأنها الحاكمـــة بين المختلفين لقوله تعالى : (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) (٢) إذ رد التنازع إلى الشريعة ، فلوكانت الشريعـــة تقتضى الخلاف لم يكن فى الرد إليها فائدة " (٣)

الحديث الثامن :

عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال سمعت رجـــلا قرأ آية سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ خلافها ، فأخذت بيـــده فانطلقت به إلى النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فعرفـــت فى وجهه الكراهية ، وقال " (كلاكما محسن ، ولا تختلفوا ، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا) (٤)

قال شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - تعليقا على الحديـــث السابق : " نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الإختلاف الذى فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من الحق ، لأن كلا القارئين كـــان محسنا فيما قرأه ،وعلل ذلك . بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا" (٥)

(١) لشيخ الإسلام ابن تيميه مبحث نفيس حول هذه المسألة فى مجمـــوع الفتاوى ١٩/٢٠٣ - ٢٢٧ ، ٢٠/١٩ - ٣٦
(٢) النساء آية ٥٩
(٣) الإعتصام ٢/٢٤٩
(٤) أخرجه البخارى - كتاب الخصومات - باب ما يذكر فى الأشخاص ، والخصومة بين المسلم واليهود ، انظر فتح البارى (٥/٧٠ ح : ٢٤١٠ وانظر اطرافه (٣٤٧٦ ، ٥٠٦٢) وأخرجه احمد فى " المسند" (١/٤١٢ ، ٤٥٦)
(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ١/١٢٣ ط المحققه .

إلى أن قال " واعلم أن أكثر الإختلاف بين الأمة ، الذى يورث الأهواء ، تجده من هذا الضرب ، وهو : أن يكون كل واحد من المختلفين مصيبا فيما يثبته ، أو فى بعضه ، مخطئا فى نفى ما عليه الآخر "(١)

وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم أن الإختلاف فى الكتاب سبب هلاك من كان قبلنا ، فعن عبدالله بن عمرو قال : " هجّرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، فسمع أصوات رجلين اختلفا فى آية ،فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعرف فى وجهه الغضب ، فقال : " إنما أهلك من كان قبلكم من الأمم بإختلافهم فى الكتاب " (٢)

وفى رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو : أن نفرا كانوا جلوسا ببا ب النبى صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : ألم يقل الله كذا وكذا ؟ وقال بعضهم : ألم يقل الله كذا وكذا ؟ فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج ، فكأنما فقئ فى وجهه حب الرمان ، فقال: " أبهذا أمرتم ؟ أو بهذا بعثتم . أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ؟ إنما ضلت الأمم قبلكم فى مثل هذا ، إنكم لست مما ههنا فى شيئ . انظروا الذى أمرتم به فاعملوا به ، والذى نهيتم عنه فانتهوا عنه "(٣)

وتوجد أحاديث أخرى كثيرة فى ذم الفرقة والتحذير منها ،وفيما يلى أسرد بعضا منها إجمالا .

عن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الشيطان ذئب ابن آدم كذئب الغنم يأتى إليها فياخذ

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١ /١٢٤

(٢) رواه مسلم فى كتاب العلم - باب النهى عن اتباع متشابه القرآن ح : ٢٦٦٦ ج ٤ / ص ٢٠٥٣

(٣) أخرجه أحمد فى " المسند" (١٩٦/٢) وابن ماجه فى المقدمة فى باب القدر (ح : ٨٥) ج ١ ص ٣٣ وقال صاحب الزوائد فى حديث ابن ماجه " هذا إسناد صحيح ورجالة ثقات "

الشاذة والقاصية والناحية " (١)

وعن زكريا بن سلام يحدث عن أبيه عن رجل قال : انتهيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول : " يا أيها الناس عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة ثلاث مرات " قالها اسحق (أحد الرواة) (٢)

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من عمل لله فى الجماعة فأصاب تقبل الله منه وإن - أخطأ غفر الله له ، ومن عمل لله فى الفرقة فإن أصاب لم يقبل الله منه وإن اخطأ فليتبوأ مقعده من النار " (٣)

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : دخلت مع ابن عمر - رضى الله عنهما - على عبدالله بن مطيع فقال : مرحبا بأبى عبدالرحمن ضعوا له وسادة فقال : إنما جئتك لأحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من نزع يدا من طاعة الله فانه يأتى يوم القيامه لا حجة له ، ومن مات وهو مفارق للجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية "(٤)

وعن فضالة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ثلاثة لا تسأل عنهم : رجل فارق الجماعة وعصى إمامة ومات عاصيا ، وأمة أو عبد أبق فمات ، وامرأة غاب عنها زوجها قد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده "(٥)

---

(١) رواه اللالكائى فى " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " (ح: ١٥٦) وقال محققه : " سنده صحيح " ورواه أحمد فى المسند" (٥ / ٢٣٢ - ٢٣٣ ، ٢٤٣) ، والطبرانى وقال الهيثمى : رجال أحمد ثقات " مجمع الزوائد " (٢١٩/٥) ، ورواه ابن بطه فى " الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية " (ح : ١٣٢)

(٢) رواه الإمام أحمد فى " المسند " انظر"الفتح الربانى " (٧/٢٤ ح: ١٥) .

(٣) رواه ابن بطة فى " الابانة " (ح : ١٣٠) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى " المسند " انظر الفتح الربانى (٥٤/٢٣/ح: ١٢٦) .

(٥) أخرجه البخارى فى " الأدب المفرد " (٥٩٠) وابن حبان (٥٠) - والحاكم (١١٩/١) ، واخرجه أحمد (١٩/٦) ، وابن أبى عاصم فى " السنة " (ح : ٨٩ ، ٩٠٠) وقال الشيخ الألبانى " إسناده صحيح " كما أورده فى " سلسلة الأحاديث الصحيحه " (ح : ٥٤٢) .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : " ترك السنة الخروج من الجماعة " (١)

وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" سألت ربى عز وجل ثلاثا فأعطانى ثنتين ومنعنى واحدة سألت أن لايبتلى أمتى بالسنين ففعل وسألت أن لا يظهر عليهم عدوهم ففعل وسألت أن لا يلبسهم شيعا فأبى على " (٢)

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث " (٣)

---

(١) رواه ابن بطه فى "(الابانة عن شريعة الفرقة الناجية " (ح:١٠٧)

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى " المسند" انظر الفتح الربانى (٢٤/٩/ ح: ١٨) وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض حديث رقم (٢٨٨٩ ، ٢٨٩٠) ج ٤ ص ٢٢١٥ ، ٢٢١٦ و
وأخرجه ابن ماجة فى " كتاب الفتن " - باب ما يكون من الفتن (ح : ٣٩٥١ ، ٣٩٥٢)
وصححه الشيخ الألبانى انظر صحيح سنن ابن ماجة (ج : ٣١٩١)
وأخرجه الترمذى فى (كتاب الفتن) باب سؤال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثا فى أمته رقم (٢٢٨٠ - ٢٢٨١) و
وصححه الشيخ الألبانى . انظر صحيح سنن الترمذى . حديث رقم (١٧٦٧ ، ١٧٦٨)

(٣) متفق عليه - أخرجه البخارى فى:كتاب الأدب:باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر (٦٠٦٥/٤)
وأخرجه مسلم فى:كتاب البر والصلة والأدب: باب النهى عن التحاسد والتباغض والتدابر (٢٥٥٩/٤)

وعن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا ثم قال : (هذا سبيل الله) ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : (هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه) ثم تلا قول الله تعالى : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(١) - (٢)

وعن مجاهد: (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) قال : البدع والشبهات "(٣)

وعن النواس بن سمعان - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتى الصراط سوران بينهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا - وفى رواية - (ولا تتفرقوا) ، وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد إنسان فتح شيئ من تلك الأبواب قال له : ويحك لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تلجه ، فالصراط الإسلام ، والستور حدود الله عز وجل ، - والأبواب محارم الله تعالى ، والداعى على الصراط كتاب الله جل وعلا ، والداعى من فوق الصراط : واعظ الله تبارك وتعالى فى قلب كل مسلم " (٤)

---

(١) الأنعام آية ١٥٣

(٢) رواه أحمد (١/٤٣٥) والدارمى فى " السنن " (٦٧/١) ، والآجرى فى " الشريعة " ص ١٠ ، والحاكم وصححه (٣١٨/٢) ، وابن أبى عاصم فى " السنة " (١٧) وحسنه الألبانى ، ورواه أبو داود الطيالسى (رقم : ٢٦) ، ورواه اللالكائى فى " شرح أصول اعتقاد أهل السنة " (ح : ٧١و ٨٠ و ٨١ و ٩٤ و ٩٦) ، ورواه ابن بطة فى " الإبانة " (ح : ١٢٦ - ١٢٨) وروى الحديث عن جابر بن عبد الله، رواه ابن أبى عاصم فى " السنة " (١٦) وصححه الألبانى ،ورواه محمد بن نصر المروزى فى " السنة " (صـ ٥) ، وابن بطة فى " الابانة " (ح ١٢٩) والآجرى فى " الشريعة (ص ١٢) ورواه ابن ماجة (١١)

(٣) رواه ابن بطة فى " الإبانة " (ح : ١٣٤) (٢٩٨/١)

(٤) رواه ابن ابى عاصم فى " السنة " (١٨و ١٩) والحاكم (٧٣/١) ، وأحمد فى المسند " ٤/١٨٢ - ١٨٣) ورواه الترمذى (١٤٠/٢) (٢٨٥٩) وقال : هذ حديث غريب ، ورواه الآجرى فى الشريعة (ص ١١ - ١٣) ورواه ابن بطة فى (الإبانة) (ح : ١٤١) . والحديث صححه الشيخ الألبانى فى تخريج السنة (١٤/١ - ١٥) .

الفصل الثالث

تفسير كلمة (الجماعة) الواردة في الاحاديث

وفيه أربعة فصول

المبحث الأول : أقوال العلماء الواردة في معنى "الجماعة"

المبحث الثاني : خلاصة أقوال العلماء .

المبحث الثالث : تعقيبات الشاطبي على الأقوال الواردة في معنى " الجماعة "

المبحث الرابع : آراء بعض المعاصرين في الموضوع .

* * *

الفصل الثالث

تفسير كلمة (الجماعة) الواردة في الاحاديث

وردت في بعض روايات حديث الإفتراق أن المراد بالفرقة الناجية هي (الجماعة) ، وجاءت الأحاديث الكثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم تأمر بلزوم الجماعة ، وقد مر معنا كثير من هذه النصوص في الفصل السابق . فهذه اللفظة - أعني الجماعة - تحتاج إلى إيضاح وتفسير وبيان لأنها قد تشكل على بعض الناس ، وقد استعملها قوم في غير موضعها ، وجعلوا لها مفهوما ودلالة غير المفهوم والدلالة التي جاء بها الشرع فوجب الكلام عليها وإيضاحها .

ولقد تناول كثير من علماء الإسلام قديما وحديثا هذا الموضوع بالشرح والتحليل ،ووردت آثار وأقوال عن سلفنا الصالح في معنى الجماعة الواردة في الأحاديث ، وهي وإن كانت كثيرة إلا أنها متفرقة ومشتتة ، ولقد قمت بتتبع واستقراء المصادر للوصول إلى نتيجة في هذا الموضوع .

وقد حصر الطبري - رحمه الله - هذه المسألة في أربعة أقوال ، ذكرها عنه ابن حجر (١) - رحمه الله - في كتابه " فتح الباري " عند شرحه لحديث حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - والذي فيه الأمر بلزوم الجماعة ، قال ابن حجر : " قال الطبري : اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة ، فقال قوم : هو للوجوب والجماعة السواد الأعظم " إلى أن قال : " وقال قوم : المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم ، وقال قوم : المراد بهم أهل العلم لأن الله جعلهم حجة على الخلق والناس تبع لهم في أمر الدين .

قال الطبري : " والصواب أن المراد من الخبر بلزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره ، فمن نكث عن بيعته خرج عن الجماعة "(٢)

---

(١) بالرجوع إلى كتب الطبري المطبوعة لم أقف على هذا القول المنسوب إليه ، ولعله قد قاله في أحد كتبه المخطوطة .

(٢) انظر فتح الباري (١٣/٣٧)
وقد ذكرها أيضا العلامة المباركفوري في تحفة الأحوذي ٦/٣٨٤، ٣٨٥ .

أما الشاطبي - رحمه الله - فقد ناقش هذا الموضوع في كتابه النفيس " الإعتصام " (١) وأجاد فيه وأفاد ، كيف لا وهو يقول بأنه ما ألف هذا الكتاب إلا لهذا السبب ، يقول رحمه الله - : " والحاصل أن تعيين الفرقة الناجية في مثل زماننا صعب ، ومع ذلك فلابد من النظر فيه ، وهو نكتة هذا الكتاب " (٢)

وقد توسع - رحمه الله - في هذه المسألة وذكر فيها خمسة أقوال ، وعزا معظم الأقوال إلى قائلها . وفيما يلي استعرض أقواله مع زيادة شرح وبيان لها بما تيسر لي من الوقوف عليه من أقوال الائمة الأعلام ، وهذه الأقوال هي : -

الأول :

أن المقصود بالجماعة السواد الأعظم من أهل الإسلام . وعزا هذا القول إلى أبي مسعود الأنصاري وابن مسعود - رضي الله عنهما - وقد جاء النص على هذا المعنى في بعض روايات الأحاديث التي تحث على الجماعة ولزومها وقد تقدم ذكرها (٣) ثم قال - رحمه الله - بعد ذكره لهذا القول ومن قال به :- " فعلى هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدوا الأمة وعلماؤها وأهل الشريعة العاملون بها ، ومن سواهم داخلون في حكمهم ، لأنهم تابعون لهم ومقتدون بهم ، فكل من خرج عن جماعتهم فهم الذين شذوا وهم نهبة الشيطان ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة ، لم يدخلوا في سوادهم بحال " (٤)

فليس المقصود من تحديد الجماعة بالسواد الأعظم ، اتباع الكثرة في أمور الإعتقاد والدين ، لأن الأكثرين في كل عصر - ما خلا القرون الثلاثة المفضلة - هم على خلاف الحق ، ومجانبون للصراط المستقيم ، وهذا بدلالة حديث الإفتراق نفسه فقد دل الحديث بمنطوقه أن السواد الأعظم عند الإختلاف والإفتراق يكون مباينا للحق ، بعيدا عن الصواب(٥)

(١) الاعتصام ٢/٢٥٨ - ٢٦٥
(٢) الاعتصام ٢/٢٥٥
(٣) راجع الفصل السابق صـ ٦٤
(٤) الاعتصام ٢/٢٦١
(٥) انظر الجماعات الاسلامية على ضوء الكتاب والسنة صـ ٤٢

وما ذكر الله عز وجل الكثرة إلا فى معرض الذم (١) ، كما أنه سبحانه لم يذكر القلة إلا فى معرض المدح . (٢).

فيحمل الأمر اذن على ما ذكره الشاطبى - رحمه الله - من أن المقصود بالسواد من تقدم من الأمة وهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم وسلك سبيلهم من أئمة الهدى ومن اقتدى بهم من سائر الأمة أجمعين .

وقد يحمل السواد الأعظم على معنى آخر ، وهو أن المقصود بذلك لزوم جماعة المسلمين التى لها إمام عند الفتنة ، ويدل على ذلك أن من الذين عزا إليهم الشاطبى هذا القول أبو مسعود الانصارى - رضى الله عنه - فقد قال عندما سئل عن الفتنة لما قتل عثمان رضى الله عنه : " عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة " (٣)

وقد أشار إلى المعنيين السابقين ابن الأثير بقوله : " وفيه « عليكم بالسواد الأعظم » أى:جملة الناس ومعظمهم الذين يجتمعون على طاعة السلطان وسلوك النهج القويم " (٤)

الثانى:

أن المقصود بالجماعة أئمة العلماء المجتهدين ، فمن خرج عما عليه علماء الأمة مات ميتة جاهلية (٥) . قال الشاطبى - رحمه الله : " ومن قال بهذا القول عبدالله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وجماعة من السلف وهو رأى الأصوليين "(٦) والمقصود بالعلماء هنا هم العلماء الأعلام من أئمة الهدى المتبعين للكتاب والسنة والمقتفين الأثر النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم .

---

(١) انظر على سبيل المثال سورة يوسف . ٢١ ، يوسف ١٠٣ ، الانعام ١١٦
(٢) انظر سورة سبأ ١٣٠٠ ، ص . ٢٦ . على سبيل المثال .
(٣) الاعتصام ٢٦١/٢
(٤) النهاية ج ٢ / ص ٤١٩
(٥) الاعتصام ٢٦١/٢
(٦) نفس المصدر السابق .

وغير العلماء على هذا القول يدخل فى مسمى الجماعة بحكم التبع "فمن سار على هدى العلماء الأعلام ، وقال بقولهم ، وسلك سبيلهم فى الإتباع وترك الإبتداع فهو من الجماعة ، وهذا القول - وهو تفسير الجماعة بأنها العلماء المجتهدين العاملين - هو المأثور عن الإمام البخارى - رحمه الله - حيث قال فى صحيحه : " باب (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) (البقرة ١٤٣) وما أمر النبى - صلى الله عليه وسلم - بلزوم الجماعة ، وهم أهل العلم "(١)

وممن قال بهذا القول الإمام الترمذى - رحمه الله - فقد قال فى سننه : " وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث " (٢)

ولذلك نجد التوافق العجيب فى قولى الإمامين الجليلين - الترمذى والشاطبى - رحمهما الله - فنجد الترمذى بعد ذكره للكلام السابق يذكر الأثر التالى : -

" قال وسمعت الجارود بن معاذ يقول سمعت على بن الحسن يقول سألت عبدالله بن المبارك : من الجماعة ؟ فقال : أبو بكر وعمر قيل له : فقد مات أبو بكر وعمر قال فلان وفلان . قيل له : قد مات فلان وفلان فقال عبدالله بن المبارك : أبو حمزة السكرى جماعة .

قال أبو عيسى (٣) : وأبو حمزة هو محمد بن ميمون وكان شيخا صالحا وإنما قال هذا فى حياته عندنا "(٤)

ونجد الإمام الشاطبى - رحمه الله - يذكر الأثر نفسه بعد سياقه للقول السابق فى معنى الجماعة (٥)

وممن قال بهذا القول - الثانى - من العلماء المتأخرين أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى - رحمه الله - فقد قال " (الجماعة) أى أهل القرآن والحديث والفقه والعلم الذين اجتمعوا على اتباع

---

(١) صحيح البخارى . كتاب الاعتصام ، وانظر فتح البارى (١٣/٣١٦
(٢) سنن الترمذى كتاب الفتن باب لزوم الجماعة .
(٣) أى الترمذى .
(٤) صحيح الترمذى كتاب الفتن باب لزوم الجماعة .
(٥) الاعتصام ٢/٢٦٢

آثاره صلى الله عليه وسلم - في جميع الأحوال ولم يبتدعوا بالتحريف والتغيير ولم يبدلوا بالآراء الفاسدة " (١)

ونلاحظ أن تعبيرات العلماء الذين نقلنا أقوالهم متقاربة ، فالشاطبي يقول : هم جماعة أئمة العلماء المجتهدين ، والبخاري يقول : هم أهل العلم ، والترمذي يقول : هم أهل الفقه والعلم والحديث ، والعظيم آبادي يقول : هم أهل القرآن والحديث والفقه والعلم . فنجد أن فحوى هذه الأقوال واحد ومدارها على اعتبار أهل العلم .

ويدخل في القول الثاني من أقوال العلماء في معنى الجماعة ، ويتوافق مع أقوال العلماء الذين قالوا به ، قول من قال من العلماء بأن المراد بالجماعة هم " أهل الحديث وأصحاب الآثار "(٢) وممن ينسب إليه هذا القول : يزيد بن هارون ،وعبدالله بن المبارك ،وأحمد بن حنبل ، وأحمد بن سنان ، وعلي بن المديني ، والإمام البخاري (٣)، وشيخ الإسلام ابن تيميه (٤) والخطيب البغدادي ، ومن المتأخرين الشيخ حافظ الحكمي (٥) - رحمه الله - ، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني(٦).

ونلاحظ أن أول من قال بهذا القول وجلهم من العلماء المعتنين بالسنة النبوية ، والناصرين لها ، والذابين عنها ، والمتبعين للسنن والآثار ، والمنكرين للبدع والمحدثات ، فلا غرابة أن يتبنوا هذا القول وأن يكونوا هم ومن سار على نهجهم أمثل النماذج وأصدق الأمثلة على معنى الجماعة .

وليس مقصود هؤلاء العلماء الحصر عندما قالوا بهذا القول ، وانما قصدهم ضرب المثال ،وأن أهل الحديث والآثار أقرب الناس لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عنهم .

---

(١) عون المعبود ١٢/٣٤٢
(٢) تلبيس ابليس لابن الجوزي ص ٢٤
(٣) ذكر أقوال العلماء المذكورين بسنده الحافظ الخطيب في كتابه " شرف أصحاب الحديث " ص ٢٦ - ٢٧ ط دار إحياء السنة النبوية.
(٤) مجموع الفتاوى ٣/٣٤٧
(٥) معارج القبول ١/١٩ ط المكتبة السلفية .
(٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/١١٦) في شرح الحديث رقم ٢٧٠

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - بعد كلام طويل فى تعيين الفرقة الناجية : " وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هى الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة ، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزا بين صحيحها وسقيمها وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباعا لها . تصديقا وعملا وحبا وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها " (١)

لذلك وُجِدَ من أهل الحديث بعد مرور القرون الفاضلة وانقضاء الفترة الأولى التى عاش فيها المحدثون الأوائل ، من حاد عن المنهج القويم فى قليل أو كثير ، وخالف ما كان عليه السلف الصالح من أمور الإعتقاد والعبادة والسلوك ، فهؤلاء لا يعدون من أهل السنة والجماعة إلا فيما وافقوهم فيه من الأمور .

لذلك نجد القاضى عياض - رحمه الله - يتفطن لهذا الأمر فيقول معقبا على كلام الإمام أحمد - رحمه الله - فى قوله عن الطائفة المنصورة : " إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدرى من هم ؟ " (٢)

يقول القاضى عياض : " أراد أحمد أهل السنة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث " (٣)

وهذا يبين جانبا آخر من الموضوع ، وهو أن لفظة " أهل الحديث والآثار " من الإطلاقات التى يستعملها كثير من العلماء ولا سيما السابقين منهم للدلالة على أهل السنة والجماعة ولو لم يكونوا من علماء الحديث ، بل ولو لم يكونوا من العلماء أصلا ولكن كانوا من أهل الاتباع والسنة ، وهذا الإطلاق استعمله العلماء فى مقابل أهل البدع والأهواء الذين يأخذون الدين بالآراء والأقيسة ، ويعتمدون فى تقرير أصول الدين وعقائده على الكلام والمنطق والفلسفة ولا يلقون بالاً إلى الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح .

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٤٧/٣ وانظر الكلام النفيس بعد الكلام المنقول.
(٢) شرف أصحاب الحديث ص ٢٧
(٣) فتح البارى ١٦٤/١ ، وتحفة الأحوذى للمباركفورى ٤٣٤/٦

الثالث:

" أن الجماعة هي الصحابة على الخصوص " (١)

وذكر الشاطبي - رحمه الله - أن ممن قال بهذا القول عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - .(٢)

ثم قال : " فعلى هذا القول فلفظ الجماعة مطابق للرواية الأخرى في قوله عليه الصلاة والسلام " ما أنا عليه وأصحابي " فكأنه راجع إلى ما قالوه وما سنوه ، واعتمدوا فيه حجة على الإطلاق (٣)

وهذا القول هو الذي قرره الشاطبي نفسه في أول كتابه الإعتصام حيث قال : " الجماعة ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم بإحسان " (٤)

والمقصود من قال بهذا القول من العلماء ،أن أول من تحقق فيهم وصف الجماعة بحق هم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، وأنهم يعتبرون أفضل مثال لمعنى هذه الكلمة .

وأصبح الصحابة - رضوان الله عليهم - الأنموذج الأمثل الذي على كل مسلم يريد الفلاح في الدنيا والنجاة في الآخرة أن يحتذي حذوه ، وأن يسير على نهجه ودربه ، وأن يقتدي به في كل شأنه وأمره .

ولذلك نجد عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - يقول : " من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، كانوا أفضل هذه الأمة ، أبرها قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم " (٥)

---

(١) الإعتصام ٢/٢٦٣
(٢) نفس المصدر .
(٣) نفس المصدر .
(٤) الإعتصام ١/٢٨
(٥) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/٩٧)

وأضحى ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم هو الميزان الصحيح الذي توزن به الفرق على مدى الأزمان ، واختلاف المكان إلى يوم القيامة ، فيعرف بذلك من هي الفرقة الناجية من غيرها ، ويوزن بهذا الميزان أيضا الأشخاص والأعمال والمعتقدات وما إلى ذلك ليتبين الحق من الباطل والصحيح من الفاسد والصواب من الخطأ (١)

يقول الشاطبي - رحمه الله - : " فالمتبع للسنة متبع للقرآن ، والصحابة كانوا أولى الناس بذلك ، فكل من اقتدى بهم فهو من الفرقة الناجية الداخلة للجنة بفضل الله " (٢)

ويقول الشيخ صديق حسن خان علاّمة الهند - رحمه الله - بعد أن ذكر حديث الإفتراق: " وهذه الأحاديث أفادت أن الجماعة عبارة عن جماعة الصحابة رضي الله عنهم والفرقة الناجية هي التي على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وطريقة أصحابه . ودل قيد " اليوم " أن المعتبر من شرائع الدين ما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم "(٣)

وقال في موضع آخر : " والمراد بالجماعة - كما مر فيما سبق - جماعة الصحابة ، ومن على طريقتهم ، وسيرهم في الإتباع ، وترك الإبتداع " (٤)

ويقول الشيخ محمد عبد الهادي المصري - من المعاصرين - : " فما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم فهو الحق الذي يجب الإقتداء بهم فيه وإتباعه ، وكل من جاء بعدهم سالكا سبيلهم مقتفيا آثارهم فهم (الجماعة) سواء كان فردا أم جمعا (٥) "

وهذا المعنى الذي أشار إليه العلماء هو الأصل في اعتبار دلالة لفظ (الجماعة) بالمعنى الشرعي ، وهو أن كل من التزم بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم فقد التزم الجماعة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلزومها .

---

(١) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي - حاشية ص ٨ من كلام الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد بتصرف .
(٢) الاعتصام ٢/٢٥٣
(٣) الدين الخالص ٣/٤٤
(٤) الدين الخالص ٣/٧٢
(٥) معالم الإنطلاقة الكبرى ص (٤٥)

ولقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على معظم أمور الإعتقاد ، وما يتعلق بأصول الدين ، فليس لأحد بعدهم أن يبدل أو يغير ، أو يأتي بقول جديد مخالف لما كانوا عليه ، بل كل مسلم ملزم بالإقتداء بهم والسير على منهجهم بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك نجد أن ابن العربي - رحمه الله - يذكر قولين في مفهوم الجماعة المأمور بلزومها ، وجعل الأول منها قوله : " أن الأمة إذا أجمعت على قول فلا يجوز لمن بعدهم أن يحدث قولا آخر "(١)

الرابع :

أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام ، إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم " . (٢) ولم يعز الشاطبي - رحمه الله - هذا القول إلى أحد. (٣)

قلت : وهذا القول مشكل جدا ، فكيف تفسر الجماعة على أنها جماعة أهل الإسلام ، ونحن نعلم علم اليقين بأن أهل الإسلام يفترقون إلى ثلاث وسبعين فرقة كما في الحديث ؟ ، فهذا تفسير للحديث بما يخالف منطوق وظاهر الحديث نفسه ، وبالتالي لا يصلح أن يعد قولا معتبرًا .

ولذلك نلاحظ أن الشاطبي - رحمه الله - في ذكره لهذا القول لم يكن على عادته في سرد الأقوال السابقة ، بل خالف منهجه في تقرير هذا القول من عدة أوجه :

الوجه الأول :

أنه ذكره بإقتضاب وإيجاز .

الوجه الثاني :

لم يعزه إلى أحد من العلماء .

---

(١) عارضة الأحوذي ٩/١٠
(٢) الإعتصام ٢/٢٦٣
(٣) المصدر السابق .

الوجه الثالث :

إرجاعه هذا القول إلى أحد الأقوال السابقة وذلك عند ما علق عليه بقوله : " وكأن هذا القول يرجع إلى الثاني وهو يقتضي أيضا ما يقتضيه ، أو يرجع إلى القول الأول وهو الأظهر "(١)

قلت : وبذلك تصبح الأقوال التي ذكرها الشاطبي - رحمه الله - في معنى الجماعة هي نفس الأقوال المذكورة عن الإمام الطبري - رحمه الله - التي مرت معنا في بداية هذا الفصل ، والتي ذكرها ابن حجر - رحمه الله - وغيره من العلماء .

الخامس :

" ما اختاره الطبري من أن الجماعة جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير ، فأمر عليه الصلاة والسلام بلزومه ونهي عن فراق الأمة فيما اجتمعوا عليه من تقديمه عليهم "(٢)

وبعد كلام طويل قال الشاطبي : " وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الإجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة وذلك ظاهر في أن الإجتماع على غير سنة خارج عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث المذكورة ، كالخوارج ومن جرى مجراهم "(٣) .

ونلاحظ أن ابن حجر - رحمه الله - ذكر الأقوال المنسوبة إلى الطبري - رحمه الله - في معنى الجماعة عند شرحه لحديث حذيفة بن اليمان ، وحديث حذيفة - رضي الله عنه - يقوّي ما ذهب إليه الطبري - رحمه الله - في مفهوم الجماعة . فيكون بذلك هو الأصل الثاني في اعتبار دلالة لفظ الجماعة بالمعنى الشرعي .

ولا بد من ملاحظة القيد الذي أضافه الشاطبي - رحمه الله - إلى قول الطبري رحمه الله - وهو أن يكون الإمام موافقاً للكتاب والسنة محكما لهما . وذلك لأنه وجد من أهل البدع من كانت لهم تجمعات وجماعات

(١) الاعتصام ٢ / ٢٦٤
(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٦٤ .
(٣) الاعتصام ٢/ ٢٦٥

على إمام لهم فهؤلاء لا يدخلون فى الجماعة التى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بلزومها بحال ، وكذا اجتماع المنتسبين إلى السنة على إمام مبتدع فإنهم وإن كانوا لا يخرجون عليه حفظا لجماعتهم ودرءا للفتنة وحقنا لدماء المسلمين ، إلا أنهم لا يطيعونه فى مخالفته للسنة بل يلتزموا الجماعة بمعناها الأول وهو متابعة النبى صلى الله عليه وسلم والسير على هديه وهدى صحابته رضوان الله عليهم .

وقد حصل مثل هذا الأمر فى التاريخ الإسلامى ، وذلك فى عهد المأمون والمعتصم والواثق حيث كانوا أئمة للمسلمين ولكن تبنوا قول المعتزلة وأرادوا حمل الناس عليه بالقوة فخالفهم الإمام أحمد - رحمه الله وأثابه - وفئة قليلة معه وثبتوا على الحق والسنة مع عدم خروجهم على الأئمة . ثم نصر الله الإمام أحمد ومن معه وأظهرهم على أعدائهم ، وأظهر الله على يد الإمام أحمد سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولقب منذ ذلك اليوم بإمام أهل السنة والجماعة .

وقد قال بهذا القول الخامس من الأقوال فى معنى الجماعة ابن العربى - رحمه الله - حيث جعله القول الثانى (١) فى معنى الجماعة حيث قال : " الثانى إذا اجتمعوا على إمام فلا تحل منازعته ولا خلعه "(٢)

ومن الذين قالوا بهذا القول من المتأخرين المباركفورى - رحمه الله - حيث قال عند شرحه لحديث عمر - رضى الله عنه - الذى فيه " عليكم بالجماعة " قال المباركفورى : " أى المنتظمة بنصب الامامة " (٣)

الخلاصة :

يتبين لنا من استعراض ودراسة الأقوال الواردة عن سلفنا الصالح فى معنى الجماعة الواردة فى الأحاديث ، تقارب أقوالهم ، وهى

---

(١) مر معنا القول الاول فيما سبق .
(٢) عارضة الأحوذى ٩/١٠
(٣) تحفة الأحوذى ٦/٣٨٤

تعتبر من اختلاف التنوع وإن اختلفت في الألفاظ . وهذا مبني على معرفة منهج السلف الصالح في تفسير الألفاظ والنصوص ، وهذا المنهج بالنسبة إلى ما يخص موضوعنا ينحصر في نقطتين :

الأولى :

ما قرره علماء أصول الفقه من أن افراد فرد من العام بالذكر لا يخصصه (١)

الثانية :

ما ذكره ابن تيمية - رحمه الله - من أن السلف الصالح ينقسمون في تفسير الألفاظ إلى قسمين أو صنفين ، والذي يهمنا هنا هو الصنف الثاني حيث وصف ابن تيميه - رحمه الله - منهجهم في بيان وتفسير الألفاظ بقوله : " أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه ،على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع ، لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه " (٢) إلى أن قال : " فان التعريف بالمثال قد يسهل أكثر من التعريف بالحد المطابق "(٣) وذلك لأن الحد كما قال شيخ الاسلام : " وإنما فائدة الحد التمييز بين المحدود وغيره لا تصويره " (٤)

ويقول ابن القيم - رحمه الله - تأكيدا لما ذكره شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - وتقريرا له : " عادة السلف أن يذكر أحدهم في تفسير اللفظ بعض معانيها ولازما من لوازمها ، أو الغاية المقصوده منها ،أومثالا ينبه السامع على نظيره ، وهذا كثير في كلامهم "(٥)

إذا علم هذا عرفنا مدى تقارب أقوال السلف الصالح في معنى الجماعة) ، فمن قال بإنها " الصحابة " فهو يقصد بذلك أنها الجماعة الأولى ، وأنها أصدق من تمثل فيه مسمى الجماعة ،ومن قال:بأنهم

---

(١) انظر اصول الفقه لمحمد ابو النور زهير (٢/٥٠٠) ط المكتبة الفيصلية سنة ١٤٠٥هـ
(٢) مقدمة في أصول التفسير صـ ٤٣ (٣) مقدمة في أصول التفسير ص٤٤
(٤) مجموع الفتاوى ٩/٢٦٣ (٥) مختصر الصواعق المرسله ٢/١٩٩

العلماء المجتهدون فلأنهم تتمثل فيهم صفات الجماعة ، وهم القدوة - لغيرهم ، والعوام تبع لهم ، ومن قال : بانهم أهل الحديث والأثار فلأنهم أقرب مثال تتحقق فيه صفات الجماعة من متابعة النبى صلى الله عليه وسلم ، والإهتداء بهديه وسنته ، ومن قال بإنهم السواد الأعظم فإنما نظر إلى عصره هو حيث كانت السنة هى الغالبة والبدعة مقموعة ، أو على الإعتبار الذى أشار إليه الشاطبى عند ذكره لهذا القول ، ففحوى هذه الأقوال جميعها واحد . هذا إلى جانب القول الخامس الذى فسر الجماعة بالجماعة التى لها امام موافق للشرع.

فيحصل لنا بذلك قولان فى معنى الجماعة التى ولت الأحاديث على وجوب لزومها وهما :

الأولى :

جماعة العقيدة والمنهج . وذلك بأن يلتزم المسلم ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين من أمور الإعتقاد وأصول الدين وهذا هو الأصل والأساس .

الثانية :

الجماعة - بالمعنى الخاص - وذلك بلزوم جماعة المسلمين التى لها إمام موافق للشرع ، وعدم مفارقتها ، وعدم نكث بيعة الإمام فضلا عن الخروج عليه .

وقد عبر الإمام الخطابى (١) عن معنى الجماعة بالمفهومين السابقين بقوله : " الفرقة فرقتان ، فرقة الآراء والأديان ، وفرقة الأشخاص والأبدان . والجماعة جماعتان ، جماعة هى الأئمة والأمراء ، وجماعة هى العامة والدهماء ، فأما الإفتراق فى الآراء والأديان فإنه محظور

---

(١) هو أبو سليمان حمد بن محمد الخطابى البستى ،صاحب التصانيف (ت ٣٨٨) انظر ترجمته فى " سير أعلام النبلاء " للذهبى ٢٣/١٧ - ٣٨ " طبقات الشافعية " للسبكى ٢٨٢/٣ - ٢٩٠ " الاعلام" للزركلى ٣٠٤/٢ .

فى العقول ، محرم فى قضايا الأصول ، لأنه داعية الضلال ، وسبب التعطيل والإهمال ، ولو ترك الناس متفرقين لتفرقت الآراء والنحل ، ولكثرت الأديان والملل ، ولم تكن فائدة فى بعثة الرسول ، وهذا هو الذى عابه الله عز وجل من التفرق فى كتابه ، وذمه فى الآى التى تقدم ذكرها .

وعلى هذه الوتيرة نُجري الأمر أيضا فى الإفتراق على الأئمة والأمراء ، فإن فى مفارقتهم مفارقة الألفة ، وزوال العصمة ،والخروج من كنف الطاعة وظل الأمنة ، وهو الذى نهى النبى صلى الله عليه وسلم عنه وأراده بقوله صلى الله عليه وسلم . " ومن فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية " (١) ، وذلك لأن أهل الجاهلية لم يكن لهم إمام يجمعهم على دين ، ويتألفهم على رأى واحد ، بل كانوا طوائف شتى وفرقا مختلفين ، أمراؤهم متناقضة ، وأديانهم متباينة ، وذلك الذى دعا كثيرا منهم إلى عبادة الأصنام وطاعة الأزلام ، رأيا فاسدا اعتقدوه ، فى أن عندها خيرا ، وأنها تملك لهم نفعا ، أو تدفع عنهم ضرا .

وأما عزلة الأبدان ومفارقة الجماعة التى هى العوام ، فإن من حكمها أن تكون تابعة للحاجة ، وجارية مع المصلحة "(٢)

---

(١) تقدم تخريجه .
(٢) كتاب " العزلة " للخطابى بتحقيق ياسين محمد السواس ص ٥٧/٥٩ ، ط - دار ابن كثير - دمشق - بيروت سنة ١٤٠٧هـ

تعليقات الشاطبي على الأقوال الواردة في معنى الجماعة ..

بعد أن انتهى الامام الشاطبي - رحمه الله - من سرد الاقوال الخمسة الواردة عن السلف الصالح في معنى الجماعة ، ذكر بعض التعليقات ، ولأهميتها اذكرها مع زيادة تعليق وبيان .

التعليق الأول .

قوله - رحمه الله - . " فهذه خمسة أقوال دائرة على اعتبار أهل السنة والاتباع ، وأنهم المرادون بالأحاديث "(١)

وذلك لأن أهل السنة والجماعة هم الأصل ، وهم الفرقة الناجية وهم الجماعة التي أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بلزومها اذا وقعت الفرقة ، وهم السواد الأعظم ، وهم المرافقون لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم ، ولايكون العالم عالما حقا الا اذا كان على منهجهم وطريقتهم ، وكذلك يوزن الجماعة ويحذرون من الفرقة ولا يرون الخروج على الامام الشرعي وان ظلم وجار مادام يقيم شرع الله فيهم ويحكم به .

لذلك نرى أن الأقوال الأربعة المذكورة عن الائمة الأعلام تنطبق عليهم جميعا كما أشار الى ذلك الشاطبي - رحمه الله - .

والذي اريد أن اقرره في هذا المقام هو أن اطلاق وصف أهل السنة والجماعة كان شائعا بين سلفنا الصالح ، وكانوا يستعملونه في مقابل أهل الاهواء والفرقة منذ زمن الصحابة رضوان الله عليهم " والدليل على ذلك . ما ذكره العلماء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى . (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)(٢) قال . " تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة "(٣)

---

(١) الاعتصام ٢/٢٦٥
(٢) آل عمران آية ١٠٦
(٣) تفسير القرآن العظيم ١/٣٩٠ وانظر الاعتصام ١/٥٦ ،وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/٦٣) الى ابن أبي حاتم وأبو نصر في الابانة ،والخطيب في " تاريخه " واللالكائي في " السنة " وانظر درء تعارض العقل والنقل ١/٤٨ ط أولى . وانظر رسالة الدكتور محمد باكريم " وسطية أهل السنة بين الفرق ص ٣٠/٣٣

وها هو سعيد بن جبير - رضى الله عنه - من التابعين ،يقول فى قوله تعالى (وعمل صالحا ثم اهتدى) : لزم السنة والجماعة .(١)

غير أن هذا الوصف لم يكتب له الانتشار والاشتهار الا بعد محنة الامام احمد بن حنبل - رحمه الله - ونلاحظ هنا أن انتشار هذا الاسم أو الوصف مرتبط - بتفشى البدعة وانتشارها - حيث تبناها الخلفاء العباسيون وأجبروا عليها الناس بالقوة فلله فى ذلك حكمة عظيمة - . وهذا يقودنا الى الكلام على سبب التسمية بهذا الاسم . ونلاحظ أن السلف الصالح يقرنون بين السنة والجماعة . وفى المقابل يقرنون بين البدعة والفرقة . فالتزام السنة سبب للجماعة ، كما أن ابتداع البدع سبب للفرقة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : " والبدعة مقرونة بالفرقة ، كما أن السنة مقرونة بالجماعة ، فيقال : أهل السنة والجماعة ، كما يقال : أهل البدعة والفرقة " (٢)

ويقول فى موضع آخر : " ثم من طريقة أهل السنة والجماعة . اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا ، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : " عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ،فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة "،ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ، ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد ، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة . وسموا أهل الجماعة ، لأن الجماعة هى الإجتماع وضدها الفرقة ، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين "(٣).

---

(١) الإبانة (ج : ١٥٦) ، وشرح أصول الاعتقاد (ج: ٧٢).
(٢) الاستقامة ٤٢/١
(٣) مجموع الفتاوى ١٥٧/٣

والذى ينبغى أن يدركه كل مسلم أن مذهب أهل السنة والجماعة وما هم عليه ليس من الأمور التى أحدثت أو ابتدعت ، وإنما هو امتداد لما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم ،يقول شيخ الاسلام ابن تيمية فى تقرير ذلك : " ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم ، معروف ، قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكا والشافعى وأحمد ، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ، ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة "(١)

لذلك فإن نسبة مذهب أهل السنة إلى عالم من العلماء إنما هو باعتبار إحيائه للسنة ودعوته إليها ونصرتها ، وتجديد ما اندرس منها فى زمن هؤلاء العلماء ، لا باعتبار أنهم أتوا بشىء جديد من عند أنفسهم ،أو أنهم ابتدعوا أمرا لم يكن عليه سلف الأمة ، لكن لجهل الناس وتفشى البدع والمحدثات قد يظنون أن هؤلاء العلماء خالفوا ما عليه الناس فى زمن الجهل وأنهم جاءوا بمذهب جديد كما يقول به كثير من الجهلة - لاسيما فى زماننا - عن الإمام أحمد بن حنبل وشيخ الاسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمهم الله - .

يقول الشيخ عبدالرحمن المحمود : " إن مذهب أهل السنة والجماعة امتداد لما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فإذا ما قام إمام من الأئمة فى زمن البدع بالدعوة إلى العقيدة السليمة وإلى منهج أهل السنة ، ومحاربة ما يخالفها فهذا الإمام لم يأت بجديد ، وإنما جدد ما اندرس من مذهب أهل السنة وأحيا ما مات منه ، وإلا فالعقيدة لم تتغير ، فإذا ما نسب - فى بعض الأزمان أو الأمكنه - مذهب أهل السنة إلى عالم من العلماء ،أو مجدد من المجددين فلأنه دعا إليه لا لأنه ابتدعه أو اخترعه "(٢)

ولذلك نرى أن الكثير من العلماء عندما ظهرت البدع وافترقت الفرق ألفوا الكتب التى تثبت عقيدة السلف الصالح عقيدة أهل

---

(١) منهاج السنة النبوية ٤٨٢/٢ - تحقيق محمد رشاد سالم .
(٢) موقف ابن تيمية من الاشاعرة ٣٠/١

السنة والجماعة وذلك بالسند ، فيبدأون بالآيات ثم الأحاديث ثم أقوال الصحابة رضى الله عنهم ثم أقوال التابعين وهكذا فى تقرير كل مسألة من مسائل الإعتقاد ، والأمثلة على ذلك كثيرة ونكتفى بذكر بعض منها للتدليل وهى : السنة لابن أبى عاصم ، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة ، والشريعة للآجرى ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى* .

ويقول الدكتور المحمود : " وبدء التسمية مرتبط بنشأة الفرق ، لأن من الطبيعى أن يتميز أهل السنة عن بقية أهل الأهواء من أهل الفرق الذين انحرفوا عن المنهج السوى والذين ابتدعوا أقوالا وآراء مخالفة لما كان عليه أهل الصدر الأول"(١)

وهذا الكلام صحيح لاغبار عليه ، إلا أن الدكتور المحمود يقول فى آخر المبحث : " أما التحديد الدقيق لنشأة التسمية بأهل السنة والجماعة ، وربط ذلك بزمن محدد ، أو بعلم من أعلام أهل السنة ، أو بنشوء فرقة من الفرق ، فلا أظن أن ذلك ممكن إلا من خلال خطوط عريضة كما أسلفنا - والله أعلم - . " (٢)

وأقول لقد ثبت النص عن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى استعماله لهذا الأسم ، وقد سبق ذكره وذكر من خرجه ، فيكون بذلك تحديدا دقيقا لنشأة هذه التسمية ولا بد من الإشارة إلى التفريق بين نشأة التسمية ونشأة أهل السنة أنفسهم ، إذ أن نشأة مذهب أهل السنة مرتبط مع مجىء الإسلام لأن مذهب أهل السنة والجماعة هو ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته . (٣)

---

(١) موقف ابن تيميه من الأشاعرة ١/٣١
(٢) المصدر السابق ١/٣٨
(٣) المصدر السابق ١/٢٨، ٣٠
* سيأتى بيان هذه المسألة بالتفصيل فى الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

واختم هذا المبحث بكلام طيب فى وصف أهل السنة والجماعة للشيخ محمد عبد الهادى المصرى حيث يقول : " أهل السنة والجماعة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اتبعهم باحسان وسار على دربهم والتزم بأصولهم ومنهجهم العلمى والعملى فهم لايأخذون دينهم علما وعملا إلا من كتاب ربهم وسنة نبيهم فى إطار من فقه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقدمون على ذلك أو يعارضونه بعقل أو راى أو قياس أو ذوق أو وجد أو مكاشفة أو غير ذلك .

فكل من التزم بالقرآن والسنة وإجماع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من أهل السنة والجماعة فهذه هى الأصول المعصومة عندهم وما عدا ذلك فليس معصوما عندهم ، بل كل يوءخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمقالات ائمتهم تابعة لسنة نبيهم وليست مقدمة عليها ، وكل اجتهاد عندهم يعرض أولا على القرآن والسنة وفقه السلف الصالح رضى الله عنهم من الصحابة والتابعين وأئمة العلم والدين قبل أن يقبل أو يرد .

وأهل السنة والجماعة هم أهل التجمع والائتلاف ، وهم الإمتداد الطبيعى والمسار الأصلى لهذا الدين المتلزمون بالجمل الثابتة من الكتاب والسنة والإجماع - البعيدون عن مواطن الشبهات التى تفرق الجمع وتشتت الشمل لأن الجماعة عندهم هى مناط النجاة فى الدنيا والآخرة "(١)

التعليق الثانى للشاطبى - رحمه الله -:

بعد أن ذكر الشاطبى التعليق السابق قال : " فلنأخذ ذلك أصلا وينبنى عليه معنى آخر " (٢)
ثم قال : " وذلك أن الجميع اتفقوا على اعتبار أهل العلم والإجتهاد

---

(١) معالم الانطلاقة الكبرى صـ ١٦٧
(٢) الاعتصام ٢/٢٦٥

سواء ضموا إليهم العوام أم لا ، فإن لم يضموا إليهم فلا إشكال أن الإعتبار إنما هو بالسواد الأعظم من العلماء المعتبر اجتهادهم ،فمن شذ عنهم فمات فميتته جاهلية ، وإن ضموا إليهم العوام فبحكم التبع لأنهم غير عارفين بالشريعة ، فلا بد من رجوعهم فى دينهم إلى العلماء"(١)

ومن هو العالم المعتبر اجتهاده ؟ والذى يعتد بقوله ؟

- يجيب الشاطبى نفسه عن هذا السؤال عند ذكره للقول الثانى فى معنى الجماعة وهى أنها جماعة ائمة العلماء المجتهدين بقوله : " فعلى هذا القول لا مدخل فى السؤال (٢) لمن ليس بعالم مجتهد ،لأنه داخل فى أهل التقليد " إلى أن قال " ولا يدخل أيضا أحد من المبتدعين ، لأن العالم أولاً لا يبتدع ، وإنما يبتدع ، من أدعى لنفسه العلم وليس كذلك ، ولأن البدعة قد أخرجته عن نمط من يعتد بأقواله."(٣)

وتدليلا على القاعدة التى قررها الشاطبى - رحمه الله - فى التعليق السابق ، أعاد ذكر الأثر المنقول عن عبدالله بن المبارك فى معنى الجماعة . ثم ذكر أثرًا آخر عن إسحاق بن راهويه فقال : " روى أبو نعيم عن محمد بن القاسم الطوسى قال : سمعت إسحاق بن راهويه وذكر فى حديث رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال " إن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة ، فإذا رأيتم الإختلاف فعليكم بالسواد الأعظم" فقال رجل : يا أبا يعقوب ! من السواد الأعظم ؟ فقال : محمد أسلم وأصحابه ومن تبعهم - ثم قال : سأل رجل ابن المبارك : من السواد الأعظم ؟ قال : أبو حمزه السكرى - ثم قال إسحاق فى ذلك الزمان (يعنى أبا حمزه) وفى زماننا محمد بن أسلم ، ومن تبعه - ثم قال اسحاق : لوسألت الجهال عن السواد الأعظم لقالوا : جماعة الناس . ولا يعلمون أن الجماعة عالم متمسك بأثر النبى صلى الله عليه وسلم وطريقه فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة - ثم قال إسحاق:

---

(١) المسألة السابعة عشر ، الاعتصام ٢ /٢٦٦

(٢) قال الشاطبى هذا الكلام تعقيبا على الأثر المنقول عن عبدالله بن المبارك حين سئل من الجماعة ؟ وتقدم ذكره .

(٣) الاعتصام ٢/٢٦٢

: لم أسمع عالما منذ خمسين سنة كان أشد تمسكا بأثر النبى صلى الله عليه وسلم من محمد بن أسلم "(١) ثم عقب الشاطبى بقوله " فانظر فى حكايته تتبين غلط من ظن أن الجماعة هى جماعة الناس وإن لم يكن فيهم عالم ، وهو وهمُ العوام لا فهم العلماء ، فليثبت الموفق فى هذه المزلة قدمه لئلا يضل عن سواء السبيل ، ولا توفيق إلا بالله "(٢)

وقد ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - الأثر السابق عن إسحاق بن راهويه ، ووصف مدى تمسك محمد بن أسلم بالسنة ، وعلق عليه بكلام نفيس فقال : " وكان محمد بن أسلم الطوسى ، الإمام المتفق على إمامته ، مع رتبته ، أتبع الناس للسنة فى زمانه ، حتى قال : " ما بلغنى سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عملت بها ، ولقد حرصت على أن أطوف بالبيت راكبا ، فما مكنت من ذلك " فسئل بعض أهل العلم فى زمانه عن السواد الأعظم الذين جاء فيهم الحديث : " إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم " فقال :" محمد بن أسلم الطوسى هو السواد الأعظم " وصدق والله ، فإن العصر إذا كان فيه عارف بالسنة داع إليها فهو الحجة ، وهو الإجماع ، وهو السواد الأعظم ، وهو سبيل المؤمنين التى من فارقها واتبع سواها ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم ، وساءت مصيرا "(٣)

وقال فى موضع آخر : " إن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق ، وإن كان وحده ، وإن خالفه أهل الأرض "(٤) إلى أن قال : " وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الأعظم ، فقال : أتدرى ما السواد الأعظم ؟ هو محمد بن أسلم الطوسى وأصحابه .

فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة هم الجمهور ، وجعلوهم عيارا على السنة ، وجعلوا السنة بدعة ،والمعروف منكرا لقلة أهله وتفردهم فى الاعصار والأمصار ، وقالوا . من شذ شذ الله به فى النار ،وما عرف المختلفون أن الشاذ ما خالف الحق

---

(١) الاعتصام ٢٦٧/٢
(٢) المصدر السابق
(٣) إغاثة اللهفان ٧٠/١ ط دار المعرفة بيروت .
(٤) إعلام الموقعين ٣٩٧/٣ ط دار الجيل / بيروت .

وإن كان الناس كلهم عليه إلا واحدا منهم فهم الشاذون ، وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد ابن حنبل إلا نفرا يسيرا ، فكانوا هم الجماعة ، وكانت القضاة حينئذ والمفتون والخليفة وأتباعه هم الشاذون ،وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة" (١)

فمن كان من العلماء متمسكا بالأثر وسالكا لطريق الأولين من الصحابة والتابعين اعتبره بعض العلماء هو الجماعة ، وأوجبوا على الأمة متابعته وأنه الجماعة التي يجب لزومها ، لأن العلماء يمثلون المنهج ، وهم القدوة للأمة .

وقد جعل الآجرى علامة الهدى والصلاح والإستقامة اتباع الكتاب والسنة ، وسلوك ما كان عليه أئمة الهدى في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء والأعلام ، ولكن ما صفة هؤلاء العلماء ؟ نراه - رحمه الله - قد ذكر أمثلة لأئمة أهل السنة ثم قال:" ومن كان على مثل طريقهم " فهذا هو الضابط وهذه هي الصفة لمن يتابع من العلماء في كل زمان ومكان . وفيما يلي نص كلام الآجرى :

" علامة من أراد الله به خيرًا : سلوك هذه الطريق ، كتاب الله عز وجل ، وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسنن أصحابه رضي الله عنهم - ومن تبعهم بإحسان رحمة الله تعالى عليهم ، وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كان من العلماء ، مثل الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل والقاسم بن سلام ، ومن كان على مثل طريقهم ، ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء" (٢)

ولقد تكلم الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود عن تفسير بعض العلماء للجماعة بأشخاص تمثل فيهم المنهج الحق والإتباع ،ثم ذكر الأثر المنقول عن عبدالله بن المبارك ، وعلق عليه بقوله

(١) اعلام الموقعين ٣٩٧/٣
(٢) الشريعة صـ ١٤

" فأراد ابن المبارك أن يفسر الجماعة بمن اجتمعت فيه صفات الاتباع الكامل للكتاب والسنة " (١)

لذلك فالكثرة ليست مقياسا صحيحا لمعرفة الحق ،لا سيما بعد انقضاء القرون الثلاثة الفاضلة ، لذلك جاء عن السلف الصالح ما يؤيد الكلام السابق الذى ذهب اليه بعض العلماء الأعلام .

فعن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : " الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك " (٢)

وفى رواية عنه - رضى الله عنه - : " إن الجماعة ما وافق طاعة الله " (٣)

وقال نعيم بن حماد : " إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد ، وإن كنت وحدك ،فإنك أنت الجماعة حينئذ"(٤)

وعن الحسن البصرى - رحمه الله - قال : " السنة ، والذى لا إله إلا هو ، بين الغالى والجافى ، فاصبروا عليها رحمكم الله ، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى ، وهم أقل الناس فيما بقى . الذين لم يذهبوا مع أهل الإترافى إترافهم ، ولا مع أهل البدع فى بدعهم ، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم ، فكذلك إن شاء الله فكونوا "(٥)

ويقول أبو شامة - رحمه الله - : " حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه ، وإن كان المتمسك بالحق قليلا والمخالف كثيرا ، لأن الحق الذى كانت عليه الجماعة الأولى من النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه - رضى الله عنهم - ولا تنظر إلى كثرة أهل الباطل بعددهم "(٦)

---

(١) موقف ابن تيميه من الأشاعرة ج ١/"١٨" رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٨هـ (غير مطبوعه)
(٢) الحوادث والبدع لأبى شامه ص ٢٢
(٣) شرح أصول الاعتقاد للالكائى (ح ٠ ١٦٠)
(٤) إعلام الموقعين ٣٩٧/٣ وعزاه الى البيهقى ، وانظر إغاثة اللهفان ٧٠/١
(٥) إغاثة اللهفان ٧٠/١
(٦) الحوادث والبدع (ص ٢٢)

ويقول الدكتور صالح بن سعد السحيمى بعد أن ذكر أقوال الشاطبى فى معنى الجماعة : " ومما تقدم نستطيع القول أن الجماعة أو أهل السنة والجماعة ، أو الفرقة الناجية ، هم الصحابة والتابعون ومن تبعهم باحسان من العلماء المجتهدين السائرين على منهج الكتاب والسنة ومن تبعهم فى ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذه الجماعة موجودة وقائمة بإذن الله تعالى حتى قيام الساعة ، ومن هنا نقول إننا لا نعتبر الجماعة بسواد الناس ودهماء العامة وكثرة الأتباع"(١)

آراء بعض الباحثين المعاصرين حول الموضوع :

وجدت بعض الدراسات المعاصرة التى تناول أصحابها تفسير مفهوم الجماعة اما عرضا وبإيجاز شديد وهذا هو الغالب وإما بنوع من الإهتمام والتفصيل وهذا قليل جدا .

وبمحاولة حصر هذه الدراسات وجدت أنها كانت فى اتجاهين اثنين : -

الإتجاه الاول :

إعتماد الأقوال المذكورة عن الشاطبى - رحمه الله - وذلك بمجرد سردها وذكرها دون تحليل أو دراسة أو ترجيح بين الأقوال . ومن أمثلة ذلك تعليقات الدكتور أحمد سعد حمدان على أحاديث الجماعة الواردة فى كتاب " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " للالكائى وذلك ضمن تحقيقه للكتاب السابق .(٢)

ومن أمثلة ذلك أيضا دراسة الشيخ عبد المجيد الشاذلى لأحاديث الجماعة فى كتابه " حد الأسلام وحقيقة الإيمان "(٣)

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره الشيخ أحمد فريد فى كتابه " خصائص أهل السنة "(٤)

---

(١) تنبيه أولى الأبصار إلى كمال الدين وما فى البدع من الأخطار ص ٢٧٢

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٩٦/١.

(٣) حد الإسلام وحقيقة الإيمان صـ ٥٣٦ - ٥٤٣ ط أولى

(٤) خصائص أهل السنة ص ٣٩ - ٤٠

وإن كان المؤلف قد مال إلى ترجيح تفسير الجماعة " بأهل الحديث" في تحقيقه للمسألة .(١) ومن أمثلة ذلك ما ذكره الدكتور صالح بن سعد السحيمي في مبحث لزوم الجماعة من كتابه القيم " تنبيه أولى الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار " (٢)

وإن كان قد مال - بعد ذكره لأقوال الشاطبي - إلى محاولة جمع الأقوال وردها إلى القول الثالث ، وهو اعتبار الجماعة الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ومن تبعهم بإحسان من العلماء المجتهدين السائرين على منهج الكتاب والسنة ومن تبعهم في ذلك"(٣)

الاتجاه الثاني:

الاتجاه التحليلي للأقوال المذكورة في مفهوم الجماعة عند السلف الصالح ومحاولة الترجيح بين الأقوال ، أو الجمع بينها أو اختصارها .

ومن أمثلة ذلك محاولة الشيخ حسين بن محسن بن علي جابر - رحمه الله - في رسالته " الطريق إلى جماعة المسلمين " وذلك أنه ذكر الأقوال الخمسة التي ذكرها الشاطبي (٤) ثم قال:" وقد جمعت الأقوال الأربعة الأولى في قول واحد هو:-
" أن جماعة المسلمين جماعة أهل العقد والحل إذا اجتمعوا على خليفة للأمة والأمة تبع لهم"(٥)

ولم يتعرض للقول الخامس الذي ينص على أن الجماعة هي الصحابة رضوان الله عليهم ، على وجه الخصوص.واختصاره هذا رحمه الله أوقعه في الخلل والاضطراب .

(١) خصائص أهل السنة ص ٤١ - ٤٦
(٢) تنبيه أولى الأبصار صـ ٢٦٩ - ٢٧٢
(٣) تنبيه أولى الابصار صـ ٢٧٢
(٤) الطريق الى جماعة المسلمين صـ ٢٥ - ٢٦
(٥) الطريق الى جماعة المسلمين ص ٢٦

أما الخلل فإنه رتب على جمعه للأقوال فى قول واحد بأنه:" ليس فى الأرض جماعة المسلمين ، بمفهومها الشرعى "(١) ، وحاول إقامة الأدلة على هذا الإدعاء .(٢) وهذا مخالف لما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى بقاء الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة (٣) وهذا الخلل إنما نتج عن إختصاره المخل للأقوال .

أما الإضطراب والتناقض فهو ناتج عن عدم تعرضه للقول الخامس حيث قال :" ولم أتعرض للقول الخامس الذى هو : أن جماعة المسلمين الصحابة رضى الله عنهم " لأنهم يقصدون به أن الصحابة هى الجماعة الأولى التى يجب الإهتداء بها . ومن سار على هديها فى أى جيل من الأمة فهو جماعة المسلمين "(٤)

فهذا الكلام يناقض النتيجة التى حاول إقامة الأدلة عليها والتى ذكرها مباشرة بعد كلامه هذا وهى أنه لا وجود لجماعة المسلمين بمعناها الشرعى اليوم .

فلو أنه - رحمه الله - أعطى للقول الخامس حقه من النظر والتأمل وأثبته مع القول الأول الذى جمع فيه بين الأقوال الأربعة الأخرى لكان أولى وأحرى بالصواب ، ولما وقع فيما وقع فيه من التناقض والاضطراب .

ومن الذين مالوا إلى اختصار الأقوال الخمسة التى ذكرها الشاطبى - رحمه الله - الدكتور عبدالرحمن بن صالح المحمود فى رسالته القيمة " موقف ابن تيميه من الأشاعرة "(٥) حيث قال بعد ذكره للأقوال الخمسة . " هذه أهم الأقوال فى الجماعة وحاصلها أن الجماعة ترجع إلى أمرين

---

(١) الطريق الى جماعة المسلمين ص ٣٣ ، ٣٦
(٢) الطريق الى جماعة المسلمين ص ٣٣- ٣٨
(٣) سيأتى تخريج الحديث ان شاء الله تعالى فى الفصل القادم .
(٤) الطريق الى جماعة المسلمين ص ٢٧
(٥) موقف ابن تيميه من الاشاعرة ١ / ص ١٧

أحدهما : أن الجماعة هم الذين اجتمعوا على أمير على مقتضى الشرع ، فيجب لزوم هذه الجماعة ، ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها .

الثاني : أن الجماعة ما عليه أهل السنة من الإتباع وترك الإبتداع ، وهو المذهب الحق الواجب اتباعه والسير على منهاجه ، وهذا معنى تفسير الجماعة بالصحابة ، أو أهل العلم والحديث ، أو الإجماع ، أو السواد الأعظم ، فهي كلها ترجع إلى معنى واحد هو : ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيجب الإتباع حينئذ ولو كان المتمسك بهذا قليلا "(١)

وفي رأيي أن هذا اختصار موفق وفيه جمع للأقوال المذكورة بدون إخلال ، وهو ما وافقته فيه من نتيجة عند مناقشة الأقوال الخمسة السابقة .(٢)

وقد ذهب إلى حصر الأقوال في الجماعة بهذه الطريقة ابن العربي - رحمه الله - حيث قال : " قوله عليكم بالجماعة يحتمل معنيين يعني أن الأمة أجمعت على قول فلا يجوز لمن بعدهم أن يحدث قولا آخر الثاني إذا اجتمعوا على إمام فلا تحل منازعته ولا خلعه "(٣)

كما ذهب إلى الحصر السابق نفسه الشيخ رضا بن نعسان معطي في تحقيقه ودراسته لكتاب " الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية " لابن بطة - رحمه الله - حيث قال الشيخ رضا في دراسته للباب الخامس من أبواب الكتاب : " ويزيد هذا الباب التأكيد على لزوم الجماعة وعدم الخروج عليها سواء كانت الجماعة تعبيرا عن إجتماع المسلمين على إمام واحد أو كانت تعبيرا عن إجتماع المسلمين على عقيدة واحدة "(٤)

ومن الذين حاولوا الجمع بين الأقوال الدكتور محمد باكريم محمد باعبدالله في رسالته القيمة " وسطية أهل السنة بين الفرق "

---

(١) موقف ابن تيميه من الاشاعرة ١٦/١ - ١٧
(٢) راجع ص١٠٢ من هذا المبحث .
(٣) عارضة الأحوذي ١٠/٩
(٤) الابانة ٧١/١ - ٧٢

فقد ذكر الأقوال الخمسة التى ذكرها الشاطبى(١)

ثم جعل التعليق الثانى للشاطبى - والذى سبق ذكره - قولا سادسًا منفصلا بقوله : " السادس : أن المراد بالجماعة : موافقة الحق ولزومه " (٢)

ثم عقب على هذه الأقوال قائلا : " وكل هذه المعانى متقاربة ، واختلافها إختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، وأهل السنة هم أهل الجماعة على أى معنى من هذه المعانى "(٣)

ونلاحظ أن الجملة الأخيرة فى هذا التعقيب هو الاستدراك الأول للشاطبى على الأقوال الخمسة .

وقد أحسن وأجاد فى محاولة الجمع بين الأقوال (٤) ، ووفق فى النتيجة التى توصل إليها من أن أهل السنة هم أهل الجماعة على اعتبار كل الأقوال ، ثم ذكر موافقة أهل السنة والجماعة لمفهوم كل قول من هذه الأقوال .

ومن الذين تناولوا موضوع (الجماعة) بالدراسة ، رضوان السيد فى كتابه " الأمة والجماعة والسلطة " (٥)

والكتاب يحتاج إلى الكثير من الدراسة والنظر ، وذلك لأنه طرح كثيرا من القضايا التى لا تخلو من الادعاء القائم على أدلة واهية أصلا ، أو توظيف المعلومات والأخبار توظيفا قاصرا ، وسوف اتكلم على هذا الكتاب فى الجانب الذى يتعلق بموضوع بحثى ، وأترك النقد الموضوعى لباقى الكتاب لأهل الاختصاص لاسيما من لهم عناية ودراية بالتاريخ الاسلامى .

---

(١) وسطية أهل السنة ص ٨٧،٨٨
(٢) وسطية أهل السنة ص ٨٩
(٣) وسطية أهل السنة ٨٩
(٤) المصدر السابق ص ٨٨ - ٨٩
(٥) الأمة والجماعة والسلطة لرضوان السيد الطبعة الأولى - دار اقرأ - بيروت سنة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م .

وأول ما لفت نظري في الكتاب خطأ الكاتب في تحديد مفهوم الجماعة ، حيث اعتبر الجماعة: هي أمة الأجابة (١) وهذا خلاف ما دلت عليه النصوص والأحاديث ، ومخالف لكل أقوال السلف الصالح في معنى الجماعة ، وهذا ناتج في رأيي عن عدم رجوعه للمصادر والمراجع التي تكلمت في هذا الموضوع وسبرته . والكاتب لم يضع فهرسا للمصادر - والمراجع في آخر كتابه - وهو من أخطاء الكتاب كذلك - ولكن حكمي السابق مبني على الرجوع الى الإحالات الهامشية في الكتاب حيث يشير إلى مصادره ومراجعه غالبا .

الموضع الثاني في الكتاب ، والذي له تعلق بموضوعي، إتهام الكاتب لفقهاء وعلماء الأمة من سلفنا الصالح بأنهم اهتموا بقضية " الجماعة" و " الوحدة " على حساب اهتمامهم بـ " الشرعية " و " السلطة " على حد أسلوبه وتعبيره ، ويقصد الكاتب بذلك موقف أهل السنة والجماعة من قضية " تولية الخليفة " و" عقد البيعة له " وطاعته وعدم الخروج عليه حفاظا على الجماعة والأئتلاف .

يقول الكاتب :" والمشكلة أنه منذ النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بدأ الفراق بين الأمرين : أمر الشرعية وأمر الجماعة أو الوحدة ، وكان على المفكرين أن يختاروا بين الأمرين في حالة عدم إمكان الجمع بينهما . وقد تقدمهم الإمام أحمد (-٢٤١هـ) في إيثار الجماعة على الشرعية عند عدم إمكان الجمع بين القضيتين"(٢) ثم نقل عبارة الإمام أحمد في الموضوع وهي قوله :" من غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه عليه إماما عادلا كان أو فاجرا .."(٣) ثم عقب على هذه الكلمة بقوله : " وكانت عبارة الإمام أحمد المتشائمة

---

(١) ص ٥١ من كتاب الامة والجماعة والسلطة
(٢) الأمة والجماعة والسلطة ص ٤٠
(٣) عزاه الى " المعتمد " لأبي يعلى ص ٢٣٨ ،وانظر الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ٢٣ وانظر رسالة الإمامة العظمى ص ٢٢٢ .

فاتحة التركيز على وحدة الأرض والجماعة دون سواهما (١)

وقال في آخر المبحث :" وتعلمنا معاناة المفكرين السياسيين المسلمين الطويلة أن قبول " أهون الشرين " لا يغير من واقع الأمر شيئا ، فُفقد الشرعية يقود إلى فقد الوحدة ، وخسران القضية الإسلام كله على المدى الطويل . فلتبق للوحدة شرعيتها الجماهيرية لكي تبقى هي الوحدة الإسلامية المعروفة "(٢)

والحل الوحيد الذي فكر فيه وطرحه نظريا هو قوله :" إن الإهتمام بالوحدة بحد ذاته ليس كافيا لتحقيقها واستمرارها ، وأنه ضمانا لتحقيق هذا الهدف ، لابد من الاهتمام بطريقة الوصول إليها بالقدر نفسه الذي نهتم به بالفكرة نفسها . وبكلمة أخرى . إن قضية "الوحدة" وهي قضية الإسلام نفسه لا يمكن أن تنفك أو تنفصل عن قضية " الشرعية فيه " وللشرعية شرطها الأوحد الذي يتمثل في " جماهيرية " الإمام (الشورى فالعقد والبيعة). إنّ " الوحدة " يمكن أن تستمر أو تتحقق في غياب " الشرعية " عن طريق القوة والتسلط المجردين ،لكنها حينئذ لا تبقى " وحدة إسلامية " بل تصبح وحدة كسروية أو قيصرية "(٣)

ولي وقفات مع كلام الكاتب السابق ألخصها في النقاط التالية :-

الأولى :-

قوله " وقد تقدمهم الإمام أحمد في إيثار الجماعة على الشرعية" أقول : بأن موقف الإمام أحمد - رحمه الله - هو موقف أهل السنة والجماعة قاطبة من هذه المسألة ، ولم ينفرد هو بهذا الموقف ، بل قال به الصحابة رضوان الله عليهم ، والتابعون من قبله ، ويقول به كل من جاء بعدهم وسلك سبيلهم ، وهو موقف مبني على نصوص صحيحة وثابته عن النبي صلى الله عليه وسلم (٤)

(١) الامة والجماعة والسلطة صـ ١٤١
(٢) المصدر السابق صـ ١٤٣
(٣) نفس المصدر السابق ؛
(٤) كما مر معنا في الفصل السابق ، وفي بداية هذا الفصل .

فهو موقف اتباع واستجابه وامتثال لأوامر النبى صلى الله عليه وسلم

الثانيـــة :

إن الذى يطلع على وقائع التاريخ الإسلامى يرى مدى ما جـــره مخالفة قول أهل السنة والجماعة - فى هذا الموضوع - من ويلات علـــى المسلمين ، وما ترتب عليه من سفك للدماء وانتهاك للأعراض ، ودمـــار للبلاد ، وعداوة وشحناء بين أفراد المجتمع المسلم !

وفى هذا دلالة واضحة على صحة الموقف الذى اتخذه أهل السنـــة إزاء هذه المسألة ، ونادى به وطبقة عمليا الإمام أحمد بن حنبـــل - رحمه الله .

الثالـــث :

إن هذا الموقف الذى وقفه أهل السنة له ضوابطه وأصولـــه ، وشروطه . فمن ذلك أن لا يخرج الحاكم عن الإسلام ، وأن يحكم بـــه بين الناس ، وأنه لا يجوز لأحد طاعته فى المعصية ، ولا فى البدعـــة بل تجب مناصحته فى ذلك ، ويجب على العلماء أمره بالمعروف ونهيـــه عن المنكر كما فعل الإمام أحمد - رحمه الله - نفسه وتعرض بسبب ذلـــك لأصناف العذاب والإيذاء والمحنة .

الرابـــع :

لقد قسم أهل السنة طرق إنعقاد الإمامة إجمالاً إلى طريقيـــن: طريق شرعى صحيح ، وطريق غير شرعى وهو طريق القهر والغلبة ، وهـــذا الطريق الأخير تجب الطاعة بموجبه ، ويحرم الخروج عليه بسببه ، وذلـــك بالشروط والضوابط المعتبرة والتى أشرت اليها سابقا . وقـــد جـــوز أهل السنة الطريق الأخير للضرورة ولأجل مصلحة المسلمين وحقـــــن دمائهم (١) .

---

(١) انظر " الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة " للدميجى صـ ٢٢٢ -٢٢٧. وانظر الشروط والضوابط ومسببات العزل وطرقه ومتى يخرج على الائمة - المصدر السابق صـ ٤٦٨ - ٥٤٦

الخامس :

يجب أن لا ننسى ونحن نقرأ التاريخ الإسلامى وواقع الأمة الإسلامية ، الأمر الكونى القدرى والذى يدل على وقوع الفرقة والإختلاف بين الأمة الإسلامية وذلك بسبب الإعراض عن عقيدة ومنهج السلف الصالح ، وابتداع البدع فى الدين .

السادس :

نلاحظ إساءة الكاتب الأدب مع علماء هذه الأمة لاسيما مع الإمام أحمد - رحمه الله - حيث وصف عبارته التى نقلها عنه بالتشاؤم .

السابع :

إن الكاتب لم يقدم حلاً عمليا للمشكلة ، وإنما طرح حلا نظريا بعيدا عن الواقع ، وإن كانت فكرة الحل معقولة فكريا .

الثامن :

وقوع الكاتب فى الأخطاء إنما هو ناتج لعدم إعطاء هذا الموضوع حقه من الدراسة والتمحيص والتأمل ، ويكفى فى التدليل على ذلك عدم تصحيحه لحديث الافتراق "(١) فضلا عن أن يكون قد رجع إلى من تكلم عن الحديث وشرحه وبسط الكلام عليه ، وقد يكون رأيه ناتجا عن التأثر بموقف المعتزلة والخوارج من الموضوع ، حيث وافقهم فى بعض أصولهم وتصوراتهم ، وهذا أمر يلمسه من يقرأ كتابه .

---

(١) الامة والجماعة والسلطة صـ ٦٦

ومن الذين كانت لهم عناية بموضوع مفهوم الجماعة الشيخ محمد عبد الهادى المصرى فى كتابه " أهل السنة والجماعة معالم الإنطلاقة الكبرى " وقد تكلم عن هذا الموضوع فى كثير من مباحث كتابه ، والذى يهمنا من كلامه فى هذا الفصل والذى يعتبر إضافة جديده للموضوع هو كلامه عن مراحل وأحوال الفرقة الناجية فقد عقد فصلا (١) بهذا العنوان فى الباب الثالث من أبواب كتابه ، تحدث فيه عن المراحل التى تمر بها الفرقة الناجية أو الجماعة على اختلاف الأزمان والبلدان .

وقد قدم للموضوع بأن النصوص التى تأمر بالجماعة وتحث عليها وتذم الفرقة وتحذر منها على ثلاثة أقسام ، فمنها أحاديث تأمر بالجماعة بمعنى التزام مذهب أهل السنة والجماعة ، ومنها أحاديث تأمر بلزوم الجماعة التى لها أمير ، ومنها نصوص وأحاديث تفصل الأمر ، فتأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم إن وجدوا وإلا فإعتزال الفرق كلها (٢)

ثم ذكر الحالات التى تمر بها (الجماعة) بالمفهوم الذى سبق ذكره ، وهى أربع حالات وفيما يلى بيان ذلك .

الحالة الاولى :

" أن يكون الإمام الشرعى موجودا ويكون هذا الإمام إماما لأهل السنة ، متبعا لمذهبهم ، ملتزما به ، داعيا إليه ، محذرا من كل من يخالفه محاربا لأهل الأهواء والبدع "(٣)

واعتبر الكاتب هذه الحالة هى أعلى وأكمل الحالات للجماعة ، وهى كذلك ، ومثّل لذلك بعهد الخلفاء الراشدين ، فقد اجتمع فى عصرهم المعنيان لمفهوم الجماعة ، وهو اجتماع المسلمين على إمام شرعى ، وكذا إلتزامهم بمذهب أهل السنة والجماعة .

وفى الحقيقة أن هذه الحالة تمثلت فى حقبة كبيرة من صدر التاريخ الإسلامى ، وليس فقط فى عهد الخلفاء الراشدين ، فقد امتدت حتى أواخر الدولة العباسية مع بداية العد التنازلى للمفهومين السابقين للجماعة

(١) انظر معالم الانطلاقة الكبرى ص ١٨١
(٢) المصدر السابق .
(٣) معالم الانطلاقة الكبرى ص ١٨١ .

والمقصود الآن معرفة ما ينبغي للمسلم عمله في مثل هذه المرحلة . يذكر الكاتب بأنه يجب على المسلم في هذه الحالة أن يتبع الجماعة فيما هم عليه من الإتباع وترك الإبتداع ، وأن يلزم جماعتهم بأميرها فيطيعه ولا يعصيه ، ولا ينكث بيعته ، فضلا أن يخرج عليه .

الحالة الثانية :

أن يكون الإمام موجودا ، ولكنه على بدعة وعلى غير مذهب أهل السنة والجماعة ، ولكن مع ذلك يوجد في الأمة طائفة - سواء أفراد أو جماعة - تلتزم بمذهب أهل السنة ومتمسكة به وتدعو إليه ، محتسبة كل ما تلاقيه من أذى أو محنة عند الله تعالى .(١)

ومثل الكاتب لهذه المرحلة بعهد المأمون ، الذي اعتنق مذهب الاعتزال ، ودعا الناس اليه ، وحاول إلزامهم به . ومع ذلك وقف الإمام أحمد - رحمه الله - ومن معه ممن ثبتوا على مذهب أهل السنة ، يذبون عن عقيدتهم ، وينافحون عنها ، ويزيلون الشبهات ، فثبتهم الله وأظهرهم ونصرهم ، هذا مع بقائهم على طاعتهم للسلطان الطاعة العامة ، ولم يخرجوا عليه ، ولا نبذوا إمرته .

والذي ينبغي لكل مسلم في هذه الحالة أو المرحلة أن يفعل مثل ما فعله الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - من الثبات على عقيدة ومنهج السلف الصالح ، مع بقاء طاعته للإمام وعدم الخروج عليه .

والمتأمل في التاريخ الإسلامي يجد أن هذه المرحلة كانت هي الغالب والأعم عليه .

الحالة الثالثة :

أن لا يوجد إمام شرعي للمسلمين أصلا ، ولكن مع ذلك يوجد أفراد أو جماعات يلتزمون مذهب أهل السنة والجماعة .

فالواجب على المسلم في هذه الحالة أن يلتزم بما عليه أهل السنة والجماعة ، وأن يتعاون مع من يجده على هذا المذهب لنصرته والدعوة اليه وإظهاره وإبلاغه للناس".(٢)

(١) معالم الانطلاقة الكبرى ص ١٨٢
(٢) المصدر السابق ص ١٨٣

الحالة الرابعة :

أن لا يوجد للمسلمين إمام ، ولا جماعة . ولكن توجد فرق أخرى لأهل البدع والأهواء . وهذه الحالة قد توجد في بعض الأمكنة دون بعض من تاريخ الأمة الاسلامية ، لا سيما أيام الفتن الكبرى(١) . وينبغي الإنتباه إلى أن هذه الحالة أو المرحلة خاصة ببعض الأمكنة دون بعض ، فيكون ذلك في مكان دون مكان بخلاف الزمان فانه لا يخلو زمن من الأزمان من وجود طائفة على الحق - قلوا أو كثروا - تنصر دين الله وتدعو إليه وتقوم بها الحجة على الخلق كما دلت على ذلك أحاديث الطائفة المنصورة

أما ما ينبغي أن يفعله المسلم في هذه الحالة أو المرحلة فهو بحسب حاله . والمسلم حينئذ لا يخلو حاله من أمرين . إما أنه يكون من الذين وفقهم الله لمعرفة مذهب أهل السنة والجماعة والتزامه فهو مأمور بالثبات عليه ، وبإعتزال كل فرق الضلال والبدعة ولو أصبح غريبا وحيدا ، وإذا كان في حال تمكنه من الدعوة إلى ما هو عليه وإظهاره فعل ولو لاقى في سبيل ذلك ما لاقى ، أما إذا خشي الفتنة أو أنه ليس على درجة من العلم تمكنه من إظهار ما هو عليه فعليه حينئذ الثبات على ما هو عليه والصبر على ذلك حتى تأتيه منيته هذا والله أعلم مما يدل عليه حديث حذيفة وكلام العلماء على الحديث .

أما إذا كان المسلم على مذهب آخر غير مذهب أهل السنة فهو مطالب بالبحث عن الحق ما استطاع ، واللجوء إلى الله والإخلاص إليه بالدعاء والإفتقار بأن يريه الحق حقا ويرزقه اتباعه وأن يريه الباطل باطلا ويرزقه اجتنابه .

وبهذا يتبين لنا أن المقصد الشرعي الأساسي في مفهوم الجماعة هو إلتزام الحق والسير على منهج الإتباع وترك الإبتداع وذلك هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

(١) انظر معالم الانطلاقة الكبرى ص ١٨٣

الفصل الرابع

"ما جاء فى شأن الطائفة المنصورة"

الفصل الرابع

ما جاء في شأن الطائفة المنصورة

لقد وردت أحاديث كثيرة في شأن الطائفة المنصورة التي هي الفرقة الناجية المبشرة بالجنة في حديث الإفتراق ، وهذه الفرقة هي التي اصطلح السلف الصالح على تسميتها بأهل السنة والجماعة حيث أصبح هذا الأسم علما عليهم مهما حاولت بعض الفرق الأخرى الإنتساب إليه .

ونظرا للصلة الوثيقة للأحاديث الواردة في شأن الطائفة المنصورة بالأحاديث الواردة في الحث على الجماعة وذم التفرق فإنني أفردت لها هذا الفصل الخاص . وسوف أقوم بسرد الروايات الصحيحة في ذكر الطائفة المنصورة وما يتعلق بها ، ثم أعقب ذلك بذكر كلام العلماء في شرح هذه الأحاديث ، وحل بعض الاشكالات الواردة حولها ، مع ذكر كلامهم في ربط هذه الأحاديث بأحاديث الحث على الجماعة وذم التفرق.

ولقد حان أوان ذكر الاحاديث الواردة في شأن الطائفة المنصورة :

عن عمير بن هانيء أنه سمع معاوية - رضي الله عنه - يقول :"سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك " قال عمير فقال مالك بن يخامر : قال معاذ" وهم بالشام " فقال معاوية : هذا مالك يزعم أنه سمع معاذا يقول : " وهم بالشام" (١)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، ولم يجعل عنوانا للباب، وإنما قال باب ثم ذكر فيه أحاديث الطائفة المنصورة ، انظر فتح الباري (٦/٦٣٢ ح : ٣٦٤١).
وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة ، باب قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم ، انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/٦٧ .

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/١٠١) وأخرجه ابن ماجة بصيغة مقاربه ، انظر صحيح ابن ماجة (١/٧ ح ٩ ٠) .

وأخرجه الطبري في " تهذيب الآثار" (ح : ٢٩٣٠ - ٢٩٣٥)مسند عمر بن الخطاب .

وفى رواية عن معاوية - رضى الله عنه - " من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطى ، ولن تزال هذه الأمـــــة* قائمة على أمر الله لايضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله (١)

وعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : " قال رسول الله صلـــى الله عليه وسلم : " لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حـــتى تقوم الساعة "(٢)

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين (٢٩٣/١٣) انظر الفتح (١٦٤/١) ح : ٧١) وأخرجه فـــى مواضع أخرى انظر الفتح ٢١٧/٦ ح : ٣١١٦ ، ٢٩٣/١٣ ح : ٧٣١٢ - ٤٤٢/١٣ ح : ٧٤٦٤) . وأخرجه أحمد فى المسند (١٠١/٤) ،وابـــن عبد البر فى "الجامع " (٢٠/١) " والطحاوى فى " المشكـــــل" (٢٧٨/٢).

وأخرجه بلفظ مقارب الإمام أحمد فى المسند (٩٣/٤) ، وأورده الالبانى فى السلسلة الصحيحة (١٩٣/٣ ح : ١١٩٥)

* قال ابن حجر : " وقوله " لن تزال هذه الأمة " يعنى بعـــض الأمة كما يجيء مصرحا به " فتح البارى ١٦٥/١

(٢) رواه أبو داود الطيالسى (ص ٩ - الهندية) ، والدارمى(١٣٣/٢) (رقم ٢٤٣٨) ، والحاكم (٤٤٩/٤، ٥٥٠) وقال : " على شرط الشيخين ،ووافقه الذهبى .

ورواه الطبرى فى " تهذيب الآثار" (ح : ٢٩٢٦ - ٢٩٢٩) مسنـد عمر بن الخطاب .

وأورده الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحه رقم (١٩٥٦)، وصححه فى " صحيح الجامع الصغير " (١٤٥/٦ / ح : ٧١٦٤)

وقد جاء ذكر أحاديث الطائفة المنصورة فى صحيح الجامع الصغير من رقم (٧١٦٤ - ٧١٧٣) وكذا الأرقام (٧٥٧٤، ٧٥٧٨، ٧٥٨١)

وعن المغيرة بن شعبه - رضى الله عنه - قال:" سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لا يزال من أمتى قوم ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله " (١)

وعن جابر بن عبدالله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة"(٢) وفى رواية عنه - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول : لا أن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الامة "(٣)

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (إنما قولنا لشىء إذا أردناه) (٦٣٢/٦) . انظرلفتح (٤٤٢/١٣ح: ٧٤٥٩) ، وكذا فى كتاب الإعتصام باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتى الخ ... الفتح (١٣ / ٢٩٣ ح : ٣٧١١)
وأخرجه مسلم فى كتاب الامارة باب قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتى .. الخ . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٣ / ٦٦.
وأخرجه أحمد فى مسنده (٢٤٤/٤) ، (٢٥٢/٤) ، وأخرجه الطبرى فى "تهذيب الآثار" فى مسند عمر بن الخطاب رضى الله عنه (ح : ٢٩٣٧ ، ٢٩٣٨ ، ٢٩٣٩) .

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتى .... (٩٥/١، ٥٣/٦) وانظر صحيح مسلم بشرح النووى (٦٦/١٣) ، وأخرجه أحمد فى مسنده (٣٨٤/٣) .
وأورده الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٦٠٢/٤ ح : ١٩٦١)

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب نزول عيسى بن مريم صلى الله تعالى عليه وسلم حاكما .
انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٩٣/٢ - ١٩٤ ، وأخرجه الطبرى فى " تهذيب الآثار " (ح . ٢٩٤٧).

وعن جابر بن سمرة - رضى الله عنه - عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : - " لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة " (١)

وعن ثوبان - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك " (٢)

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تزال طائفة من أمتى قوامة على أمر الله ، لايضرها من خالفها " (٣)

وعن عمران بن حصين - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ، ظاهرين على من ناواهم ، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال ".(٤)

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه(٦/٥٣) كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم : " لاتزال طائفة من أمتى على الحق الخ .
انظر صحيح مسلم بشرح النووى (١٣/٦٦) ، وأخرجه أحمد فى مسنده (٥/٩٢، ٩٤، ١٠٥) ، وأخرجه الطيالسى (ص ١٠٤ رقم ٧٥٦) ، وأخرجه الخطيب (١٢/٢٥٠ - ٢٥١) ، (أورده الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢/٦٨٨ - ٦٨٩ ح : ٩٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (٦/٥٢ - ٥٣) كتاب الإمارة وانظر شرح النووى (١٣/٦٥) ، وأخرجه الترمذى (٢/٣٦) وابن ماجة (٢/٤٦٤ - ٤٦٥) ، وأحمد (٥/٢٧٨ - ٢٧٩) والحاكم (٤/٤٤٩ - ٤٥٠) وأوردة الألبانى فى السلسلة الصحيحة ح : ١٩٥٧ وانظر السلسلة الصحيحة (٤/٥٩٩ ، ٦٠٠)
وأخرجه الطبرى فى " تهذيب الآثار " (ح : ٢٩٤٠) وانظر صحيح الترمذى (٢/٢٤٦ ح : ١٨١٧) وصحيح ابن ماجة (١/٧ح : ١٠) .

(٣) أخرجه ابن ماجة (١/٧) وحسنه الألبانى انظر السلسلة الصحيحة (٤/٦٠٣ح : ١٩٦٢) ، وانظر صحيح ابن ماجة (١/٦ح : ٧) ، وانظر صحيح الجامع الصغير ٦/١٤٥ وما بعدها ، وأخرجه الطبرى فى تهذيب الآثار (ح : ٢٩٣٦) .

(٤) أخرجه أبو داود :(١/٣٨٨ - ٣٨٩) والحاكم (٤/٤٥٠)وأحمد(٤/٤٢٩، ٤٣٧) وابن ماجه (٢/٢٢٩) وأورده الألبانى فى السلسلة الصحيحة ٤/٦٠٢ ح : ١٩٥٩)....

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة"(١)

وعن معاوية بن قرة عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ،لا تزال طائفة من أمتى منصورين لايضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة" (٢)

وعن جبير بن نفير - رضى الله عنه - أن سلمة بن نفيل الحضرمى أخبرهم أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : " إنى سيّبت (٣) الخيل وألقيت السلاح وقلت : لاقتال . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : " الآن جاء الله بالقتال ، لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الناس يرفع الله بهم قلوب أقوام فيقاتلونهم ويرزقهم الله منه حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك "(٤) وفى رواية زيادة بلفظ " ألا أن عقر دار المؤمنين الشام ، والخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة"(٥)

.....وجاء الحديث عن عمران بن الحصين برواية أخرى ولفظها ."لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة " وقد عزاه الألبانى إلى الرامهرمزى فى " المحدث الفاضل "(١/٦) وأورده - الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٤٧٨/١) ح : ٢٧٠) وله تعليقات على الحديث (صـ ٤٧٨ - ٤٨٦) وذكر حديث عمران بن حصين بطرقه المختلفة الطبرى فى " تهذيب الآثار" (ح : ٢٩٤٢- ٢٩٤٥)

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة (٥٤/٦) وانظر شرح النووى (٦٨/١٣) ، وأورده الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٦٩٠/٢ ح : ٩٦٥) وقال : " رواه مسلم (٥٤/٦) وابن الأعرابى فى " المعجم " (١١٢/١/٣١ /١) والجرجانى (٤٢٤) والدروقى فى " مسند سعد " (٢/١٣٦/٣)وابن منده فى " المعرفة" (١/١٧٩/٢) " أ هـ .

(٢) أخرجه الترمذى (٣٠/٢) وقال : " حديث حسن صحيح " وانظر صحيح الترمذى (٢٣٩/٢ ج : ١٧٨٢) والطيالسى فى " المسند" (صـ ١٤٥ رقم ١٠٧٦) وأخرجه أحمد فى مسنده (٤٣٦/٣، ٣٥/٥) ، وابن ماجبان (٢٣١٣ ،وابن ماجه انظر صحيح ابن ماجة (٦/١ ح ٦) وأورده الألبانى فى سلسلة الاحاديث الصحيحة (٦٨٨/١ ح : ٤٠٣)

(٣) قال الجوهرى : " والخيل المسومة : المرعية " الصحاح(١٩٥٥/٥)

(٤) رواه النسائى (٢١٥/٦) أول كتاب الخيل ،ورواه الإمام أحمد فى " مسنده " (١٠٤/٤) ، والطبرانى فى الكبير (٥٩/٧ -٦١ رقم٦٣٥٧، ٦٣٥٨، ٦٦٠٣)
وأخرجه الطبرى فى " تهذيب الآثار " (ح : ٢٩٤٦) وأورده الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٦٠٣/٤ ح : ١٩٦١) وحسّنه وأورد طرقه وذكر تخريجه الحافظ ابن كثير فى تفسيره " (١٧٣/٤) ط الحلبى

(٥) نفس المصدر السابق .

وعن أبى أمامة الباهلى - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء وهم كالإناء بين الأكلة حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك . قالوا : يارسول الله وأين هم ؟ قال : بيت المقدس وأكناف بيت المقدس .(١)

وعن عبد الرحمن بن شماسه المهرى قال : كنت عند مسلمة بن مخلد وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص فقال عبدالله - لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق هم شر من أهل الجاهلية لا يدعون الله بشىء إلاردّه عليهم فبينما هم على ذلك أقبل عقبة بن عامر فقال له مسلمة : يا عقبة اسمع ما يقول عبدالله فقال عقبة : هو أعلم وأما أنا فسمعت رسول - الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تزال عصابة من أمتى يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم الساعة وهم على ذلك " فقال عبدالله : أجل ثم يبعث الله ريحا كريح المسك مسها مس الحرير فلا تترك نفسا فى قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة " (٢)

وبعد أن ذكرت الروايات الصحيحة المستفيضة التى جاءت فى شأن الطائفة المنصورة ، لا بد من وقفات عند هذه الأحاديث نتبين فيها بعض المعانى ، وأذكر حل بعض الإشكالات والتى ذكرها العلماء فى إزالة التعارض بين هذه الأحاديث وأحاديث أخرى ، وكيف أنهم جمعوا بينها ، وكل هذه الأمور قد تناولها العلماء - رحمهم الله - بالشرح والإيضاح

---

(١) أخرجه الطبرى فى " تهذيب الآثار " (ح . ٢٩٤١) ورواه عبدالله ابن الإمام أحمد فى " المسند" (٢٦٩/٥) وجادة ، ورواه الطبرانى فى"الكبير "(٧٦٤٣) ، وأورده الألبانى فى السلسلة الصحيحة ٥٩٩/٤ - ٦٠٠ انظر تعليقه على (ح : ١٩٥٧).

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتى الخ .. (١٥٢٤/٣ رقم ١٩٢٤) وانظر شرح النووى (٦٧/١٣- ٦٨) ، ورواه الطبرانى فى الكبير (٣٠٤/١٧)

المبحث الاول

بيان معانى بعض الكلمات ، والجمع بين هذه الأحاديث وأحاديث أخرى :

وأول سؤال يقابلنا عند قراءتنا لهذه الأحاديث هو ما المقصود بالساعة ؟ والقيامة ؟ وأمر الله ؟ على اختلاف الروايات . وكيف نجمع بين هذه الأحاديث وبين الحديث الصحيح " لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله " (١) وفى رواية " على أحد يقول لا إله إلا الله "(٢)

قال النووى - رحمه الله - عند شرحه لحديث أبى هريرة :" إن الله يبعث ريحا من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحدا فى قلبه مثقال حبة - وفى رواية مثقال ذرة - من إيمان إلا قبضته "(٣)

قال النووى :" وأما الحديث الآخر " لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة فليس مخالفا لهذه الأحاديث لأن معنى هذا أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللينة قرب القيامة وعند تظاهر أشراطها فأطلق فى هذا الحديث بقاءهم إلى قيام الساعة على أشراطها ودونها المتناهى فى القرب والله أعلم " (٤)

وقال رحمه الله فى موضع آخر : " المراد بقوله صلى الله عليه وسلم " حتى يأتى أمر الله " من الريح التى تأتى فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة وأن المراد برواية من روى " حتى تقوم الساعة " أى تقرب الساعة وهو خروج الريح " (٥)

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب ذهاب الإيمان آخر الزمان(٢٣٤) وانظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٧٨/٢ وأخرجه الترمذى فى الفتن (٣٥) ، والامام أحمد فى " مسنده "١٠٧/٣، ٢٠١ ، ٢٥٩ .

(٢) اخرجه الإمام أحمد ج ٣ ص ١٦٢

(٣) اخرجه مسلم فى كتاب الايمان باب فى الريح التى تكون قرب القيامه وانظر صحيح مسلم بشرح النووى (١٣٢/٢)

(٤) شرح النووى على مسلم ١٣٢/٢

(٥) نفس المصدر ٦٦/١٣

أما الإمام الطبرى - رحمه الله - فقد ذهب مذهبا آخر فى الجمع بين الأحاديث . فبعد أن ذكر الأحاديث التى ظاهرها التعارض مع حديث الطائفة المنصورة قال : " قولنا فى ذلك كله تصحيح جميعه على ما يصح من معانية وأنه لاخبر من ذلك يدفع صحة غيره من الأخبار ، بل يحقق بعضه معنى بعض ويدل بعضه على صحة بعض ، ولكن بعضه خرج على العموم والمراد منه الخصوص فأما الذى خرج من ذلك مخرج العموم والمراد منه الخصوص فقوله ،صلى الله عليه وسلم ،لاتقوم الساعة الاعلى شرار الناس . وقوله لا تقوم الساعة إلا على حثالة من الناس . وقوله : لاتقوم الساعة على أحد يقول الله الله . وقوله لا تقوم الساعة حتى لايعبد الله فى الأرض قبل ذلك بمائة سنة ، فإن معنى كل ذلك الخصوص والمراد منه لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس بموضع كذا دون موضع كذا و إلا على حثالة من الناس فى كل موضع خلا موضع كذا فإن به طائفة من أمتى على الحق ظاهرين على من ناوأهم ، ولا تقوم الساعة حتى لا يعبد الله فى الأرض قبل ذلك مائة سنة إلا فى مكان كذا ، ولا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله إلابمكان كذا فإن به طائفة من أمتى على الحق "(١)

وذكر ابن حجر ما نقله ابن بطال عن الطبرى - رحمه الله - فى الجمع بين الحديثين .(٢)

لكن ابن حجر خالف ما ذهب إليه الطبرى - رحمه الله - وذهب إلى نفس الرأى الذى ذهب إليه النووى - رحمه الله - وقال : " إن المراد بأمر الله : هبوب تلك الريح وإن المراد بقيام الساعة :ساعتهم ، وأن المراد بالذين يكونون ببيت المقدس : الذين يحصرهم الدجال إذا خرج فينزل عيسى اليهم فيقتل الدجال ، ويظهر الدين فى زمن عيسى ، ثم بعد موت عيسى تهب الريح المذكورة ، فهذا هو

---

(١) تهذيب الآثار للطبرى - مسند عمر بن الخطاب - القسم الثانى ص ١٤١ تحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد.

(٢) فتح البارى ٧٦/١٣ ، ٢٩٤

المعتمد فى الجمع والعلم عند الله تعالى (١)

وقال فى موضع آخر : " ولمسلم أيضا " لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله " وهو عند أحمد بلفظ " على أحد يقول لا إله إلا الله" والجمع بينه وبين حديث " لا تزال طائفة " حمل الغاية فى حديث " لا تزال طائفة " على وقت هبوب الريح الطيبة التى تقبض روح كل مؤمن ومسلم فلا يبقى إلا الشرار فتهجم الساعة عليهم بغتة "(٢)

وقال :" فظهر بذلك أن المراد بأمر الله فى حديث " لا تزال طائفة" وقوع الآيات العظام التى يعقبها قيام الساعة ولا يتخلف عنها إلا شيئا يسيرا ، ويؤيده حديث عمران بن حصين رفعه " لا تزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخر هم الدجال" أخرجه أبو داود والحاكم " (٣)

والذى ذهب إليه النووى وابن حجر - رحمهما الله - هو الأرجح والله أعلم وذلك لأن حديث " لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله" يفيد العموم بلفظه ، ولأنه مقرر فى علم الأصول بأن النكرة فى سياق النفى تفيد العموم فهذا الذى يترجح والله أعلم .

المبحث الثانى : ذكر أقوال العلماء فى المراد بهذه الطائفة المنصورة :

قال البخارى : " هم أهل العلم "(٤)

وذكر كثير من العلماء أن المقصود بالطائفة المنصورة هم : أهل الحديث " ، ومن هؤلاء العلماء : على بن المدينى ، والإمام أحمد بن حنبل ، ويزيد بن هارون ، وعبدالله بن المبارك وغيرهم . (٥)

---

(١) فتح البارى ١٣/٣٩٤

(٢) فتح البارى ١٣/١٩

(٣) فتح البارى ١٣/٧٧

(٤) فتح البارى ١٣/٢٩٣

(٥) انظر شرف أصحاب الحديث للبغدادى ص ٢٦، ٢٧ ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى ١/٤٨٠ - ٤٨١

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه عند وصفه لأهل الحديث :" وأما أهل العلم فكانوا يقولون : هم " الأبدال " لأنهم أبدال الانبياء وقائمون مقامهم حقيقة ، ليسوا من المعدمين الذين لا يعرف لهم حقيقة ، كل منهم يقوم مقام الانبياء في القدر الذي ناب عنهم فيه : هذا في العلم والمقال ، وهذا في العبادة والحال ، وهذا في الأمرين جميعا . وكانوا يقولون : هم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة ، الظاهرون على الحق . لأن الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسله معهم وهو الذي وعد الله بظهوره على الدين كله ، وكفى بالله شهيدا "(١)

وأشير هنا إلى ما سبق وأن ذكرته في الفصل السابق ، من منهج العلماء في تفسير الألفاظ بذكر الأمثلة التي يتحقق فيها وصف الشيء . وأن كلامهم ليس مقصودا به الحصر. والألفاظ المذكورة عن العلماء دلالتها واحدة ،فأهل العلم هم أهل الحديث ، والعكس صحيح ويظهر ذلك جليا في كلام شيخ الإسلام عندما ذكر ما ينوب به كل واحد من أهل الحديث عن الأنبياء :" هذا في العلم والمقال ، وهذا في العبادة والحال ، وهذا في الأمرين جميعا " ويؤيده ما ذكره النووي في شأن الطائفة المنصورة حيث قال : " ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين:منهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد ، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أنواع أخرى من الخير"(٢) .

وكلام النووي السابق ذكره ابن حجر بلفظ مقارب فقال : " يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ، ما بين شجاع وبصير بالحرب وفقيه ومحدث ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاهد وعابد"(٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/٩٧ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٣/٦٦ - ٦٧
(٣) فتح الباري ١٣/٢٩٥

ويتبين لنا أن أقوال العلماء لا تخرج عما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الفرقة الناجية " من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي "

ولو عقدنا مقارنة بين حديث الطائفة المنصورة ، وحديث الإفتراق الذي فيه ذكر الفرقة الناجية لوجدنا كثيرا من أوجه التوافق في المعنى ، ومن ذلك .

الأول :

قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من أمتي" فيه دليل على أنها فئة من الأمة وليست كل الأمة ، وفيه إيماءة إلى أن هناك فئات أخرى ، وطوائف أخرى ، وإشارة إلى ما يصيب الأمة من الإختلاف والتفرق والضعف ، وهذا يشابه ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من افتراق أمته في حديث الإفتراق حيث قال : " وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة "

الثاني :

قول النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الطائفة المنصورة : " على الحق ظاهرين " فجعل من صفاتهم أنهم على الحق ، وهذا يوافق قوله صلى الله عليه وسلم في آخر حديث الإفتراق في وصف الفرقة الناجية " من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي"

الثالث :

قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يضرهم من خالفهم " يدل على أن هناك فرقا أخرى تخالف الطائفة المنصورة فيما هم عليه من أمر الدين ، وهذا كذلك يوافق مدلول حديث الإفتراق حيث أن -

الفرق الثنتين والسبعين تخالف الفرقة الناجية فيما هم عليه من الحق .

الرابع :

كلا الحديثين يحمل البشرى لأهل الحق ، فحديث الطائفة المنصورة يبشرهم بالظفر والنصر والظهور فى الدنيا ، وحديث الإفتراق يحمل لهم البشرى بالفوز والنجاة فى الآخرة .

المبحث الثالث : تحديد مكان الطائفة المنصورة :

فهو من الأمور التى تحتاج إلى مناقشة وإيضاح ، فقد ورد فى بعض الروايات " لا يزال أهل الغرب " (١)

وفى رواية أخرى : " قالوا : وأين هم ؟ قال : بيت المقدس وأكناف بيت المقدس " (١)

وفى حديث معاوية : قال مالك بن يخامر : قال معاذ " وهم بالشام " (١)

قال النووى - رحمه الله - :" قوله صلى الله عليه وسلم " لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة" قال على بن المدينى المراد بأهل الغرب :العرب ، والمراد بالغرب الدلو الكبير لإختصاصهم بها غالبا وقال آخرون المراد به الغرب من الأرض وقال معاذ . هم بالشام وجاء فى حديث آخر هم بيت المقدس وقيل هم أهل الشام وما وراء ذلك .

قال القاضى وقيل المراد بأهل الغرب أهل الشدة والجلد وغرب كل شيىء حده "(٢)

وذكر ابن حجر - رحمه الله - الأقوال نفسها وحاول الجمع بينها فقال: " ذكر يعقوب بن شيبة عن على بن المدينى قال : المراد بالغرب ، الدلو أى العرب بفتح المهملتين لأنهم أصحابها لا يستقى بها أحد غيرهم لكن

---

(١) سبق ذكر الروايات وتخريجها فى بداية هذا الفصل .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٦٨/١٣

في حديث معاذ : وهم أهل الشام فالظاهر أن المراد بالغرب البلد لأن الشام غربي الحجاز كذا قال . وليس بواضح، ووقع في بعض طرق الحديث " المغرب " بفتح الميم وسكون المعجمة وهذا يرد تأويل الغرب بالعرب ، لكن يحتمل أن يكون بعض رواته نقله بالمعنى الذي فهمه أن المراد الإقليم لا صفة بعض أهله ، وقيل المراد بالغرب أهل القوة والإجتهاد في الجهاد ، يقال في لسانه غرب بفتح ثم سكون أي - حدة ، ووقع في حديث أبي أمامة عند أحمد أنهم ببيت المقدس ، وأضاف بيت إلى المقدس ، وللطبراني من حديث الهدى نحوه ، وفي حديث أبي هريرة في الأوسط للطبراني " يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها ، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله ، لا يضرهم من خذلهم ظاهرين إلى يوم القيامة" . قلت[1] : ويمكن الجمع بين الأخبار بأن المراد قوم يكونون ببيت المقدس ، وهي شامية ويسقون بالدلو ، وتكون لهم قوة في جهاد العدو وحدة وجد "(٢)

أما شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - فقد جزم بأن هذه الطائفة المنصورة تكون في الشام فقال : " قال أحمد بن حنبل : أهل المغرب هم أهل الشام وهم كما قال لوجهين:

أحدهما :
أن في سائر الحديث بيان أنهم في الشام .

الثاني :
أن لغة النبي صلى الله عليه وسلم وأهل مدينته في " أهل المغرب " هم أهل الشام ، ومن يغرب عنهم . كما

---

(١) أي : ابن حجر .
(٢) فتح الباري ١٣/٢٩٥

أن لغتهم في أهل المشرق هم أهل نجد والعراق ، فإن التغريب والتشريق من الأمور النسبية ، فكل بلد له غرب قد يكون شرقا لغيره ، وله شرق قد يكون غربا لغيره فالإعتبار في كلام النبي صلى الله عليه وسلم بما كان غربا وشرقا له حيث تكلم بهذا الحديث وهي المدينة "(١)

ومما يبين أن شيخ الاسلام يعتبر الطائفة المنصورة في الشام وفي الشام فقط إلى يوم القيامة ماجاء في المجلد الرابع من فتاواه حيث قال : " والنبي صلى الله عليه وسلم ميز أهل الشام بالقيام بأمر الله دائما إلى آخر الدهر ، وبأن الطائفة المنصورة فيهم إلى آخر الدهر ، فهو إخبار عن أمر دائم مستمر فيهم مع الكثرة والقوة ، وهذا الوصف ليس لغير أهل الشام من أرض الإسلام"(٢)

وعند النظر في روايات الحديث نجد أن بعض الروايات عامة وتحمل معنى العموم وليس فيها تحديد لمكان الطائفة المنصورة ، وبعض الروايات الأخرى فيها ذكر المكان وتحديده بأنها تكون في الشام ، لكن يفهم من السياق في بعضها ومن النص في بعضها الآخر بأن هذه حال الطائفة التي تكون في آخر الزمان والتي تقاتل الدجال .

والتحقيق في المسألة إن شاء الله تعالى والمبني على دلالة النصوص وكلام العلماء أن هذه الطائفة ليست محصورة في فئة معينة من الناس كما أنها ليست محددة ببلد معين ، وإن كان آخرها يكون بالشام وتقاتل الدجال

---

(١) مجموع الفتاوى ٥٠٧/٢٧ - ٥٠٨ وانظر ٥٣١/٢٨ - ٥٣٤

(٢) مجموع الفتاوى ٤٤٩/٤

كما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم .

يقول النووى - رحمه الله - : " ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونوا متفرقين فى أقطار الأرض "(١)

وقال ابن حجر - رحمه الله - مفصلا القول فى المسألة : " ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين فى بلد واحد ، بل يجوز اجتماعهم فى قطر واحد وافتراقهم فى أقطار الأرض،ويجوز أن يجتمعوا فى البلد الواحد وأن يكونوا فى بعض منه دون بعض ، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً، إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد فإذا انقرضوا جاء أمر الله " (٢)

المبحث الرابع :

من الأمور المتعلقة بشرح أحاديث الطائفة المنصورة هو تفسير المراد بالظهور فى الأحاديث ؟

يقول ابن حجر - رحمه الله - : " قوله (حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون) : أى على من خالفهم أى غالبون ، أو المراد بالظهور أنهم غير مستترين بل مشهورون والأول أولى "(٣)

واختار ابن الجوزى - رحمه الله - الرأى الثانى الذى ذكره ابن حجر حيث قال : " فقد بان بما ذكرنا أن أهل السنة هم المتبعون وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئا لم يكن قبل ، ولا مستندله ، ولهذا استتروا ببدعتهم .

ولم يكتم أهل السنة مذهبهم ، فكلمتهم ظاهرة ومذهبهم مشهور ،والعاقبة لهم "(٤) ولا مانع من اجتماع الأمرين الذين ذكرهما ابن حجر فى حق أهل السنة والجماعة ، وهو أمر مشاهد ، ومحسوس كما أنه معروف من تاريخ المذاهب والفرق.

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٣/٦٦-٦٧
(٢) فتح البارى ١٣/٢٩٥
(٣) فتح البارى ١٣/٢٩٤
(٤) تلبيس ابليس ص ٢٣

الباب الثاني

" الأسباب المؤدية إلى التفرق "

وفيه سبعة فصول

الفصل الأول : الابتداع .

الفصل الثاني : الجهل .

الفصل الثالث : اتباع الهوى .

الفصل الرابع : تحكيم العقل وتقديمه على النصوص

الفصل الخامس : التعصب والتقليد والتصميم على اتباع العوائد .

الفصل السادس : الدعاية السيئة ضد أهل السنة والجماعة وعقيدتهم .

الفصل السابع : مخالفة أهل الأهواء والبدع لمنهج أهل السنة والجماعة في النظر والاستدلال .

* * * * *

الباب الثاني

الأسباب المؤدية إلى التفرق

تمهيد:

للانحراف عن الصراط المستقيم ، والبعد عن المنهج القويم الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسار عليه الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون من بعدهم ، أسباب كثيرة ، منها أسباب خارجية أجنبية ، وأخرى داخلية ذاتية .

وأهم الأسباب الخارجية الأجنبية (١) ما يلى :

السبب الأول:

اتساع الفتوحات الإسلامية ، واحتكاك المسلمين بالأمم المجاورة نتيجة لذلك ، وتأثرهم بثقافاتها وأفكارها تبعا لذلك .

السبب الثانى:

دخول كثير من أصحاب الديانات الأخرى فى الإسلام ، مع عدم تخلصهم من أفكارهم ومعتقداتهم السابقة ، فأثاروا الشبهات بين المسلمين .

السبب الثالث:

ترجمة كتب الفلسفة والمنطق ، وتشجيع دراستها والتعمق فيها .

السبب الرابع:

دخول بعض المغرضين من اليهود والمجوس وغيرهم من أصحاب الديانات الباطلة فى الإسلام بقصد الكيد له والنيل منه ،

(١) انظر وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد باكريم صـ ٣٣١ - ٣٣٢ ، مقدمة كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة تحقيق الدكتور احمد سعد حمدان صـ ٣٩-٤٣

، وبغية هدمه وتحريفه وتبديله ، وذلك بإبعاد المسلمين عن دينهم الصحيح بالتشكيك وإثارة الشبهات ، وابتداع العقائد المخالفة لما كان عليه سلف الأمة (١)

ومن أمثلة ذلك :

١ - عبدالله بن سبأ اليهودى الذى تظاهر بالإسلام فى خلافة عثمان رضى الله عنه ، وسعى فى أقطار الدولة الاسلامية يدس أفكار الغلو فى على رضى الله عنه ابتداءً بأنه هو وصيي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهاءً بإدعاء الألوهية فيه ، وغير ذلك من الإعتقادات التى كانت أساس الرفض(٢)

٢ - بشر المريسى اليهودى الذى كان له دور كبير فى فتنة القول بخلق القرآن ، وتعطيل صفات رب العالمين .(٣)

٣ - ابراهيم النظام المعتزلى البرهمى ، ورد عن بعض السلف قوله : " كان النظام على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث ويخفى ذلك "(٤)

---

(١) انظر الخطط للمقريزى ٣٦٢/٢، والفصل لابن حزم ١١٥/٢

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٣٧٨/٣ - ٣٧٩ ، مقالات الإسلاميين للأشعرى ٨٦/١ ، الفرق بين الفرق للبغدادى صـ ٢٣٥ .
ابن حزم فى الفصل ١١/٢ ، ١٨٣/٤ .
والشهرستانى فى الملل والنحل ١٥٥/١ ، ١٧٤

(٣) انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء للذهبى ١٩٩/١٠-٢٠٢ ، البداية والنهاية لابن كثير ٢٨١/١٠
ميزان الإعتدال ٣٢٢/١ ، ٣٢٣ ، لسان الميزان ٢٩/٢ - ٣١، وانظر الفرق بين الفرق للبغدادى صـ ١٩٢ - ١٩٥ .

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبى ٥٤٢/١٠

وكان له دور كبير في ظهور الآراء المبتدعة نحو الكلام في الجوهر والعرض، وأنكر اعجاز القرآن في نظمه، وأنكر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، وطعن في خيار الصحابة والتابعين إلى غير ذلك من العظائم .(١)

٤ - عبدالله بن المقفع : الذي كان من مجوس فارس واتهم بالزندقة حتى قال بعض السلف : " ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع "(٢)

ومما يدل على الأثر البالغ للاسباب الخارجية الأجنبية في تفرق المسلمين، وانحرافهم عن عقيدة السلف الصالح، أن أصول كثير من الفرق المبتدعة أصول خارجية .

فأصل الرفض يرجع إلى رجل يهودي وهو عبدالله بن سبأ كما مرمعنا، وأصل القول في القدر يرجع إلى رجل نصراني اسمه سوسن أوسسويه(٣) وأصل مقالة التعطيل والقول بخلق القرآن ترجع إلى يهودي وهو لبيد بن الأعصم (٤)

الأسباب الداخلية الذاتية :

وهي تنقسم في نظري إلى : أسباب عامة (٥) وأسباب منهجية .

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/٥٣-٥٨، والفرق بين الفرق صـ ١٣٢، ١٣٣ ، مقدمة كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي تحقيق الدكتور احمدسعد حمدان ١/٣٤-٣٥ ، وانظر ترجمته في سيرأعلام النبلاء ١٠/٥٤١، ٥٤٢

(٢) سير اعلام النبلاء للذهبي ٦/٢٠٨ - ٢٠٩

(٣) انظر الشريعة للآجري صـ ٢٤٣ ، شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " ١/٤٤٠/٧٥٠ ح ٠ ٧٤٩ ، ح ٠ ١٣٩٨" والخطط للمقريزي ٢/٣٦٢

(٤) انظر البداية والنهاية لابن كثير٩/٣٥٠، ٣٦٤ ،والكامل لابن الاثير ٥/٢٩٤

(٥) نص الشاطبي على أن اسباب الوقوع في الاختلاف ثلاثة امور وهي ٠ الجهل ، واتباع الهوى ٠ والتصميم على اتباع العوائد وان فسدت أو كانت مخالفة للحق " الاعتصام ٢/١٧٢- ١٨٠" وتكلم في موضع آخر عن أسباب الاحداث في الشريعة وحصرها في ثلاثة أمور ايضا وهي الجهل ، وتحسين الظن بالعقل، واتباع الهوى في طلب الحق " الاعتصام٢/٢٩٣" فذكر في المرة الثانية أمرا جديدا وهو تحسين الظن بالعقل،فتحصل = =

وأهم الأسباب العامة هي :

(الاول) : الابتداع

(الثاني) : الجهل .

(الثالث) : اتباع الهوى .

(الرابع) : تحكيم العقل وتقديمه على النصوص.

(الخامس) : التعصب والتقليد والتصميم على اتباع العوائد.

(السادس) : الدعاية السيئة ضد أهل السنة والجماعة وعقيدتهم

وأما الأسباب المنهجية فيجمعها :

مخالفة منهج أهل السنة والجماعة في النظر والاستدلال .

وسوف أتكلم بنوع من التفصيل عن الأسباب الداخلية الذاتية ، وأما الأسباب الخارجية الأجنبية فسأكتفي بما أشرت إليه حولها سابقا وذلك للأمور التالية :

الأول :

أن الأسباب الداخلية هي الأهم لاسيما فيما يتعلق بهذا البحث .

الثاني :

أن الأسباب الخارجية كانت سببًا في ظهور فرق اندثرت ولم يعد لها أثر فيما بعد ، أو كانت سببا في ظهور فرق خارجة عن دائرة الاثنين والسبعين فرقة ، وهذا البحث إنما يتعلق بالفرق الداخلة في دائرة الإسلام ، ولا سيما المنتسبة إلى السنة منها .

= لنا بذلك أربعة أسباب رئيسة " ، مع اضافة الأسباب الأخرى التي ذكرتها والتي أرى في نظري أنها من الاسباب القوية في الاختلاف والتفرق ، والبعد عن الطريق المستقيم ، والتزام الجماعة ، كما سيتبين من عرضها .

الثالث :

أن الأسباب الخارجية من الموضوعات المتشعبة والطويلة والتي تحتاج إلى دراسات متخصصة توفيها حقها ، وقد صدر حولها بعض الرسائل العلمية فعلا (١)

الرابع :

أن الأسباب الخارجية لا يتم تأثيرها إلا بوجود الأسباب الداخلية ، لأن انخداع الناس وتأثرهم بالشبهات والأهواء إنما يكون بواحد من الأسباب الداخلية .

---

(١) انظر مثلا كتاب عبدالله بن سبأ وأثره في احداث الفتنة في صدر الاسلام لسليمان بن حمد العوده ط دار طيبة - الرياض ط أولى سنة ١٤٠٥هـ

الفصل الأول

الإبتداع

تعريف البدعة لغة واصطلاحا :

تطلق البدعة في اللغة على الشيء المخترع على غير مثال سابق ، ويقال لمن أتى بأمر لم يسبقه إليه أحد ،أبدع وابتدع وتبدّع أي:أتى ببدعة .(١)
فهي تطلق إذاً على الأمر المحدث سواء كان محمودا أو مذموما

أما اصطلاحا :

فقد عرفها الشاطبي - رحمه الله - بقوله : " طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه "(٢)

العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي :

يظهر من التعريفات السابقة أن المعنى اللغوي أعم وأشمل من المعنى الشرعي . يقول ابن حجر :" فالبدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة فإن كل شيء أحدث على غير مثال يسمى بدعة سواء كان محمودا أو مذموما "(٣)

الابتداع أعظم أسباب التفرق :

لاشك أن الإبتداع في الدين كان ولا يزال من أعظم اسباب التفرق ، بل هو أعظمها ، وكان من أهم العوامل التي قضت على وحدة الأمة الاسلامية ، وشتت شملها ، وحادت بسببه فرق كثيرة عن الجماعة الأصل والتي أمر كل مسلم بلزومها .

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور (٧/٨) والقاموس المحيط للفيروزآبادي (٣/٣ ، ٤) ، والصحاح للجوهري (١١٨٣/٣).
(٢) الاعتصام ٣٦/١
(٣) فتح الباري ٢٥٣/١٣

يقول الشاطبي : " ثم استمر تزيد الأسلام ﷺ واستقام طريقه على مدة حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن بعد موته ، وأكثر قرن الصحابة رضي الله عنهم ، إلى أن نبغت فيهم نوابغ الخروج عن السنة ، وأصغوا إلى البدع المضلة "(١)

فلم يزل المجتمع المسلم واحدا متآلفا ، حتى أطلت البدع برأسها ، وتفشى أمرها ، يقول الدكتور صالح بن سعد السحيمي : " ومما لاشك فيه أنه لاشيء أعظم فسادًا للدين ، وأشد تقويضا لبنيانه ، وأكثر تفريقا لشمل الأمة من البدع ، فهي تفتك به فتك الذئب بالغنم ، وتنخر فيه نخر السوس في الحب ، وتسري في كيانه سريان السرطان في الدم ، أو النار في الهشيم "(٢)

عناية السلف الصالح بهذا الموضوع :

لقد كانت لسلفنا الصالح عناية خاصة بالتحذير من البدع ، وكانوا يعتبرونه قرين الأمر بالسنة ولزومها . ولذلك لا يخلو كتاب من الكتب التي دونت في السنة من باب كامل ، أو فصل شامل عن هذا الموضوع ، بل لايخلو كتاب من الكتب التي صنفها الأئمة في أي موضوع كان من الحديث عن أهل البدع ، وذمهم والتحذير منهم ، ومن ذم البدع والتنفير منها ، والكلام على مضارها وأخطارها وسوء منقلب أهلها . والناظر في المكتبة الإسلامية يستايع أن يرى بوضوح ،

---

(١) الاعتصام ٢٢/١

(٢) تنبيه أولى الابصار الى كمال الدين فيما في البدع من الأخطار ص ٢٤ دار ابن حزم - الرياض - ط الأولى سنة ١٤١٠هـ

الكتب الكثيرة التى دونها علماء السنة فى خصوص هذا الموضوع ، (١) فى مختلف الأزمنة وشتى العصور.

---

(١) انظر على سبيل المثال : البدع والنهى عنها لابن وضاح ، الحوادث والبدع لأبى بكر الطرطوشى ، الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبى شامه ، المدخل لابن الحاج ، تلبيس إبليس لابن الجوزى ، السنن والمبتدعات للشقيرى ، الإعتصام للشاطبى ، اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيميه ، الأمر بالاتباع و النهى عن الابتداع للسيوطى . (وكلها مطبوعة والحمد لله).

ومن كتب المعاصرين : نصيحة المسلمين عن بدع المبتدعين وعوائد الضالين للشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد ، البدعة أسبابها ومضارها للشيخ محمود شلتوت ، تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع فى الدين لأحمد بن حجر آل بوطامي ، الإبداع فى مضار الإبتداع لعلى محفوظ ، اصلاح المساجد من البدع والعوائد لمحمد جمال الدين القاسمى ، التحذير من البدع للشيخ عبدالعزيز بن باز ، البدعة والمصالح المرسلة للدكتور توفيق يوسف الواعى ، البدعة وأثرها السيىء فى الأمة لسليم الهلالى ، تنبيه أولى الأبصار إلى كمال الدين وما فى البدع من أخطار للدكتور صالح بن سعد السحيمى ، هجر المبتدع للشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد .

كما توجد بعض المقالات الجيدة فى الموضوع فى مجلة البحوث الإسلامية التى تصدرها إدارة الإفتاء بالرياض ومنها :

١ - البدع طعن فى الشريعة وقدح فى كمالها للشيخ صالح آل سعود آل على العدد ١٤/١٤٥ - ٢٠٧

٢ - البدع وأثرها فى انحراف التصور الاسلامى للدكتور صالح بن سعد السحيمى العدد ١٦/١٣٩ - ١٦٩ .

٣ - تعريف البدعة ،أنواعها وأحكامها للدكتور صالح الفوزان العدد ٢٣/٣٤٩ - ٣٦٧

٤ - البدعة وأثرها فى الإنحراف فى الإعتقاد للشيخ عبد الله بن سليمان المنيع العدد ٢٤/١٠٣- ١٢١

خطورة الأبتداع ، والأثر السيىء للبدع :

تكمن خطورة البدع فى ثلاثة أمور (١) :-

الأمر الأول :

القول بلسان المقال أو بلسان الحال أن الدين ناقص ، وأن هناك جوانب ينبغى الأخذ بها تكملة للدين ، وفى هذا معارضة لقوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا) (٢)

الأمر الثانى:

أن الإبتداع يستلزم القدح فى ابلاغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة ربه ، فلقد أرسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ، وأمره بابلاغ الرسالة ، فقال تعالى . (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) (٣)

الأمر الثالث:-

أن الإبتداع مخالفة صريحة لأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه قد حث أمته على ضرورة التمسك بسنته ، وحذرهم من الإحداث والإبتداع فى الدين .

أما ما يترتب عن البدع والإبتداع من نتائج سيئة فهى كثيرة جدا ، وأهمها (٤) :-

---

(١) البدعة واثرها فى الانحراف فى الاعتقاد للشيخ عبدالله بن سليمان المنيع . مقالة بمجلة البحوث الاسلامية العدد ٢٤/١١٧ - ١١٨ .
وانظر الاعتصام للشاطبى ١/٤٦ - ٥٠ ،

(٢) المائدة آية ٣

(٣) المائدة آية ٦٧

(٤) انظر البدعة والمصالح المرسلة للدكتور توفيق يوسف الواعى صـ ٢٠٩ - ٢١٩

الأولى:

اتباع المتشابه ، وإماتة السنة ، والجدل والخصومة .

الثانية:

اتباع الهوى ، ومفارقة الجماعة ، واتباع سبيل المفسدين .

الثالثة:

إضلال الناس ، وصعوبة الرجوع عن البدعة .

أما مضار الابتداع فهى عامة*: منها ما يصيب المبتدع ، ومنها ما يصيبه ويصيب أتباعه فى العمل بالبدعة ، ومنها ما يصيب الدين نفسه ، ومنها ما يصيب الأمة التى وقع الابتداع فى دينها ، هذا إجمالا ، أما تفصيل ذلك فكالتالى :

الأول: ما يصيب المبتدع نفسه : وهو اغتصاب حق التشريع الذى لا يكون إلا لله وحده (١)

الثانى: ما يصيب المبتدع وأتباعه فى العمل بالبدعة : وهو الحرمان من الثواب ، وكون عملهم مردودا ، وصعوبة توبتهم لأنهم يحسبون أنهم على هدى ،(٢) والحرمان من ورود الحوض ، ولا يحظون بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى المبتدع إثم من عمل ببدعته إلى يوم القيامة ، وأنهم متوعدون باللعن ، ولايزدادون من الله إلا بعدا ، وعدم قبول شهادتهم ، وتقولهم على الله بغير علم ، وجواز غيبتهم تحذيرا للأمة

---

* ذكر الشاطبى - رحمه الله - أضرار البدع ،وما يلحق أهلها فى الدنيا والآخرة فى كتابه " الاعتصام " ١٠٦/١ - ١٣٣

(١) انظر الاعتصام ٥٠/١ ، والبدعة أسبابها ومضارها للشيخ محمود شلتوت صـ ٤٥ طـ مكتبة ابن الجوزى - الاحساء طـ الأولى سنة ١٤٠٨هـ .

(٢) انظر فى ذلك،الاعتصام ١٢٤/١ . البدعةأسبابها ومضارها صـ ٥٦ ، والبدعة وأثرها السيء فى الأمة لسليم الهلالى صـ ٤٩- ٥٢ ط المكتبة الاسلامية - عمان - ط الاولى ١٤٠٤هـ، وتنبيه أولى الابصار للدكتور صالح السحيمى ص ١٥٣- ٢٠١.

وغير ذلك من الأمور الشنيعة (١) التى يكفى الواحد منهـا أن يكون رادعا لكل مسلم من أن يقع فى البدع ، ومحرضا لمن وقع فيها على سرعة التوبة والإنابة .

الثالث : ما يصيب الدين نفسه من الإبتداع : وهو خفاء كثير من أحكامه ، وتشويه جماله (٢)

الرابع : ما يصيب الأمة التى دخلت البدع دينها : وهو إلقاء العداوة والبغضاء بين أهل الاسلام . (٣) وهذا هو نكتة هذا الفصل من المبحث .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه : " والبدعة مقرونة بالفرقة كما أن السنة مقرونة بالجماعة " (٤)

ويقول الدكتور توفيق الواعى : " ومن سمات أهل البدع مفارقة الجماعة وشق عصا الطاعة على جماعة المسلمين ، لأن الأهواء نزعات وسبل ، تشرق عن الجادة "(٥)

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيميه ١٠/٩ - ١٠ ، ١١/٦٨٤- ٦٨٥

(٢) البدعة أسبابها ومضارها للشيخ محمود شلتوت ص ٥٧
وانظر تنبيه أولى الابصار للدكتور صالح السحيمى ص ١٩٥

(٣) البدعة أسبابها ومضارها للشيخ محمود شلتوت صـ ٥٨

(٤) الاستقامة ١/٤٢

(٥) البدعة والمصالح المرسلة صـ ٢١٤

ويقول الدكتور صالح بن سعد السحيمى :" من الأخطار الظاهرة البينة لكل ذى عقل سليم أن البدع تفرق الأمة وتشتت شملها وتمزق كيانها حتى تصير شيعا وأحزابا يعادى بعضها بعضا ويقتل بعضهم بعضا ويستحل بعضهم دماء بعض . وتنتشر بينهم العداوة والبغضاء ، ويجد أعداء الإسلام منفذا وثغرة للقضاء عليهم بسبب هذا التفرق " (١)

والأمر الأخير هو من أعظم مساوىء البدع ، إذ لا يقتصر خطرها وضررها على من تبناها وعمل بها ودعا إليها كما مر معنا بل يمتد ليشمل الأمة الإسلامية كلها ، ويصيبها فى أعز مطلب تسعى إليه وهو وحدة صفها واجتماع شملها .

لذلك نجد أن الأدلة تضافرت وتواترت فى ذم البدع، والمبتدعين ، وفى الوعيد الذى يلحقهم ، وفى سوء عاقبتهم ، وفى الأمر بهجرهم وزجرهم . وفيما يلى استعرض بعض الأدلة من الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح فى ذم الابتداع والمبتدعين .

الأدلة من الكتاب :

قال تعالى . "(وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ)".(٢) وقد جاء ما يفسر معنى (السُّبُلَ) عن مجاهد : (ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) ،قال: البدع والشبهات . (٣)

---

(١) تنبيه أولى الأبصار إلى كمال الدين وما فى البدع من الأخطار صـ ١٩٦

(٢) الأنعام آية ١٥٣

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة (ح: ١٣٤) .

وقال تعالى :(وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)(١)

وقال تعالى :(يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) (٢)

وقال ابن عباس :(تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدعة)(٣)

وقال تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)(٤)

قال كثير من السلف : نزلت فى أهل الأهواء والبدع(٥)

الأدلة من السنة :-

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد"(٦)

وفى رواية :" من عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"(٧)

---

(١) النساء آية ١١٥

(٢) آل عمران آية ١٠٦

(٣) الإعتصام ٥٦/١ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٩٠/١

(٤) الأنعام آية ١٥٩

(٥) الإعتصام ٦٠/١

(٦) متفق عليه : رواه البخارى فى كتاب الصلح (باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (رقم ٢٥٥٠) ورواه مسلم فى الأقضية (باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور) رقم ١٧١٨ .

(٧) رواية الإمام مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا . ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الأثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا "(١)

وعن جابر بن عبدالله - رضى الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى خطبته :" أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة "(٢)

من أقوال السلف الصالح :

عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال :

" الأقتصاد فى السنة خير من الإجتهاد فى البدعة "(٣)

وعن عثمان الأزدى قال : دخلت على ابن عباس - رضى الله عنهما - فقلت له : أوصنى فقال : عليك بتقوى الله تعالى والإستقامة اتبع ولا تبتدع "(٤)

وعن أبى حنيفة - رحمه الله - أنه قال : " عليك بالأثر، وطريقة السلف ، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة "(٥)

وقال الشافعى رحمه الله - :" من استحسن - يعنى بدعة - فقد شرع "(٦)

(١) رواه الإمام مسلم (٢/٧٠٤ - ٧٠٥)
(٢) المصدر السابق (رواه الإمام مسلم ٢ / ٥٩٢).
(٣) أخرجه الحاكم (١/١٠٣) وقال على شرط البخارى ومسلم ووافقه الذهبى ، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله (٢/٢٣٠)
(٤) أخرجه الدرامى فى سننه (١/٥٠) وابن بطه فى" الابانة الصغرى " (٢/٢٣٠)
(٥) السنن والمبتدعات للشقيرى صـ ٦
(٦) المصدر السابق .

وقال ابن الماجشون : سمعت مالكا يقول : " من ابتدع فى الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة ، لأن الله يقول .(اليومَ أكملتُ لَكُم دِينَكُمْ) فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا "(١)

وقال أحمد بن حنبل - رحمه الله -: " أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، والإقتداء بهم وترك البدع ، وكل بدعة فهى ضلالة "(٢)

والأدلة كثيرة جدا فى هذا الموضوع ، ولكن فيما ذكرته من الأدلة كفاية إن شاء الله تعالى، نظرًا لطبيعة البحث من جهة ، ولأن المؤلفات كثيرة فى هذا الموضوع من جهة أخرى .

وسوف أقتصر فى الكلام على جانب أثر الابتداع فى التفرق عن الجماعة التى أمر المسلم بلزومها ، وهو الذى له تعلق بموضوع بحثى وطلبه ، وأترك الكلام على بعض الجوانب الأخرى منعا للاستطراد .

---

(١) السنن والمبتدعات للشقيرى صـ ٦
(٢) المصدر السابق . نفسه

انشقاق الفرق عن جماعة المسلمين "(١)

كان المسلمون أمة واحدة ، وجماعة واحدة متآلفة على عقيدة واحدة ، ومنهج واحد ، على أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم فى خلافة أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - . وبعد مقتل الخليفة الثانى بدأت الفتن تطل برأسها ، ولازال أهل الشر يسعون فى الغواية حتى قتل ثالث الخلفاء عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ثم توالت الفتن وتتابعت ، وبدأت فرق الأهواء والبدع فى الظهور ، فتفرقت الكلمة ، وبدأ الإنشقاق عن جماعة المسلمين ، مصداقا لما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم .

وكانت أول الفرق ظهورا الخوارج ، ثم الرافضة ، ثم حدثت فى أواخر عصر الصحابة رضوان الله عليهم القدرية وذلك فى آخر عصر ابن عمر وابن عباس ، وجابر - رضى الله عنهم أجمعين .

---

(١) انظر مبحثا بهذا العنوان فى كتاب " حكم الإنتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية " للشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد صـ ٢٠ - ٢٧ الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ
وانظر الإعتصام للشاطبى ١/١٧ - ١٨ ، سير أعلام النبلاء ١١/٢٣٦ - ٢٣٧ ، الصواعق المرسلة لابن القيم ١/٣٤٧- ٣٥١ ،تهذيب السنن ٧/٦١- ٦٢ ، إغاثة اللهفان ٢/٢٦٩ . أشار اليها الشيخ بكر أبو زيد فى الموضع المذكور .
وانظر مجموع الفتاوى لابن تيميه ٢٠/٣٠٠ - ٣٠٢ ،مجلة البحوث الاسلامية ٢٣/٣٥٣ - ٣٥٤ .
والخطط المقريزية ٢/٣٤٥- ٣٦٢ ، ومقدمة رسالة " شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " للالكائى ١/١٧- ٣٦.
وانظر مجموع الفتاوى ٢٨/٤٨٩ - ٤٩١
وكتاب الصواعق المرسلة ٣/١٠٦٨- ١٠٨٠
رسالة وسطيه أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد بكريم صـ ٣١٩ - ٣٢٩.

ثم حدثت المرجئة قريبا من ذلك .
وأما الجهمية فإنما حدثوا فى أواخر عصر التابعين ،بعد موت عمر بن عبدالعزيز .
هذا من حيث ظهور الفرق زمانيا ، أما من حيث الأمكنة :
" فالكوفة خرج منها التشيع والإرجاء ، وانتشر بعد ذلك فى غيرها .
والبصرة خرج منها القدر والاعتزال والنسك الفاسد، وانتشر بعد ذلك فى غيرها .
والشام كان بها النصب والقدر .
وأما التجهم فإنما ظهر من ناحية خراسان ، وهو شر البدع(١)
ومع ظهور هذه الفرق والأهواء ،إلا أن الظهور كان للسنة وأهلها ، وأعلن السلف الصالح الجهاد على البدع وأهلها بالزجر والهجر ، وباللسان والسنان ،(٢) فماتت بعض البدع فى مهدها ، وبقيت بعض البدع الأخرى لكنها قليلة وكان أصحابها فى ذلة وانكسار . واستمر الأمر كذلك إلى أواخر زمن الخلافة العباسية وبالتحديد فى زمن المأمون حيث عرب كتب الفلسفة اليونانية ، فرفعت فرق الأهواء رؤوسها لا سيما الجهمية والمعتزلة بل والشيعة ، وحمل الأمة على القول بخلق القرآن ، وامتحن العلماء لأجل ذلك (٣)
ثم تتابع ظهور الفرق من أهل البدع والأهواء منذ ذلك الزمان وقد رتب المقريزى - رحمه الله - ظهور الفرق والعقائد منذ ظهور الإسلام وحتى ظهور مذهب الأشعرية وانتشاره (٤)

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/٣٠١
(٢) مثل قتال على بن أبى طالب رضى الله عنه للخوارج ،وكقتل بعض الائمة لرؤوس أهل البدع كالجهم بن صفوان والجعد بن درهم وغيلان الدمشقى وأضرابهم .
(٣) انظر سير أعلام النبلاء للذهبى ١١/٢٣٦ والخطط المقريزيه ٢/٣٥٧ .
(٤) الخطط المقريزيه ٢/٣٥٦ - ٣٥٨

ثم تكلم عن حقيقة مذهب الأشعرى وكيف انتشر فى الأمصار والخلاف بين الأشعرية والماتريديه .(١) ثم تكلم عن حقيقة مذهب السلف فى أسماء الله وصفاته . (٢) ثم ذكر السبب الذى يراه - فى خروج أكثر الطوائف عن دين الإسلام وهو كيد الفرس بعد زوال ملكهم على أيدى المسلمين - لهذا الدين ، فحاولوا عن طريق الحرب فلم يفلحوا ، فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع ، فدخلوا من باب التشيع لهدم هذا الدين. (٣)

يقول الشاطبى :" وقال جماعة من العلماء : أصول البدع أربعة ، وسائر الثنتين والسبعين فرقة عن هؤلاء تفرقوا ، وهم : الخوارج ، والروافض ، والقدرية ، والمرجئة " (٤)

وهذه الفرق إنما فارقت الجماعة لأنها ابتدعت أصولا من عندها خالفت بها أصول الجماعة الأولى جماعة أهل السنة . وبقدر المخالفات كيفاً وكماً يكون القرب والبعد من الجماعة . يقول الشاطبى : " هذه الفرق إنما تصير فرقا بخلافها للفرقة الناجية فى معنى كلى في الدين وقاعدة من قواعد الشريعة "(٥) إلى أن قال . -

" ويجرى مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات "(٦)

فالمقصود من الخلاف والتفرق إنما هو فى أصل الاعتقاد ، وفى توحيد الله عز وجل ، وهذا هو الذى وقع فعلا .

والناظر فى كتب المقالات والفرق يجد الإختلاف العجيب فى أعظم قضية من قضايا الدين ، والتى لأجلها خلق الله الخلق وأنزل الكتب ، وأرسل الرسل .

---

(١) الخطط المقريزيه ٢/٣٥٨- ٣٦٠
(٢) الخطط المقريزيه ٢/٣٦٠- ٣٦١
(٣) الخطط المقريزيه ٢/٣٦٢
(٤) الاعتصام ٢/٢٢٠
(٥) الاعتصام ٢/٢٠٠
(٦) الاعتصام ٢/٢٠١

ونجد أن الطوائف قد تقسمت (التوحيد) وسمت كل طائفة بالها توحيدا (١)

فكان أن جعلت كل طائفة لنفسها أصولا تناقض الحق وتخالفه ، هي عبارة عن آراء وضعها شيوخ كل فرقة ، ففارقوا بذلك الجماعة ، وخالفوا السنة .

يقول شيخ الاسلام :" وأهل البدع ذنوبهم ترك ما أمروا به من اتباع السنة وجماعة المؤمنين "(٢)

وقال في موضع آخر : " وأما أهل البدع من أهل الكلام والفلسفة ونحوهم فهم لم يثبتوا الحق ، بل أصلوا أصولا تناقض الحق . فلم يكفهم أنهم لم يهتدوا ولم يدلوا على الحق حتى أصلوا أصولا تناقض الحق ، ورأوا أنها تناقض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقدموها على ما جاء به الرسول "(٣)

ثم وضح في موضع آخر طريقة أهل البدع في تأصيل ما هم عليه من الضلال فقال : " فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق والاختلاف شيعا . صار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والايمان ، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر والايمان بالرسول وغير ذلك ، ثم ما ظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به ، وما خالفها تأولوه "(٤)

---

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٤٤٧/٣ - ٤٥٠ ، الصواعق المرسلة ٩٢٩/٣ - ٩٣٧ ،شرح الطحاوية صـ ٧٧- ٨٨،٩٦- ٩٨ ، ٥٢٠ - ٥٢٦ .
(٢) مجموع الفتاوى ١٠٤/٢٠
(٣) مجموع الفتاوى ٤٤٠/١٦
(٤) مجموع الفتاوى ٥٨/١٣-٥٩

ولذلك نجد أن كل فرقة جاءت بمفهوم جديد للتوحيد يخالف المفهوم الصحيح الذى جاءت به الرسل عليهم السلام (١)

فالمعتزلة أدرجوا نفى الصفات فى مسمى التوحيد، وقالوا بخلق القرآن، وأنكروا الشفاعة، وأنكروا رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وسموا كل ذلك توحيدا.(٢)

وأما الفلاسفة واتباعهم فالتوحيد عندهم: إثبات وجود مطلق مجرد عن الماهية والصفة (٣).

وأما الإتحادية فالتوحيد عندهم: أنه سبحانه هو عين وجود كل موجود، وأن ليس ثمة خالق ومخلوق (٤)

وأما عامة المتكلمين فالتوحيد عندهم ثلاثة أنواع، ويقررون ذلك بقولهم: هو واحد فى ذاته لا قسيم له، وواحد فى صفاته لا شبيه له، وواحد فى أفعاله لا شريك له (٥)

يقول شيخ الاسلام ابن تيميه - رحمه الله -: " وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث، وهو توحيد الأفعال " وهو أن خالق العالم واحد، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرون من دلالة التمانع (٦) وغيرها، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب، وأن هذا هو معنى قولنا لا إله إلا الله، حتى قد يجعلون معنى الألهية القدرة على الإختراع"(٧) - (٨)

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٥٠/٤

(٢) انظر المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها لعواد بن عبدالله المعتق ص ٨٤- ٨٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٨، ٢٣٥

(٣) مدارج السالكين ٤٤٧/٣

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر مجموع الفتاوى ٩٧/٣- ٩٨

(٦) انظر حول هذه المسألة. شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٠-٨١

(٧) الأله هو المعبود المطاع هذا هو التفسير الصحيح لا أنه القادر على الاختراع كما فسره بذلك المتكلمون انظر المعنى الصحيح للألوهية " تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ ص ٧٣- ٧٦ وانظر الرد على من جعل معنى الأله أنه الخالق أو القادر على الاختراع ص ٧٦ وما بعدها ط المكتب الاسلامى ط الثالثه سنة ١٣٩٧هـ

(٨) مجموع الفتاوى ٩٨/٣

ثم عقب شيخ الاسلام على ذلك الإعتقاد والتوحيد المتوهم بقوله :" ومعلوم أن المشركين من العرب الذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أولا ، لم يكونوا يخالفونه فى هذا ، بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شئ ، حتى إنهم كانوا يقرون بالقدر أيضا ، وهم مع ذلك مشركون "(١)

وغاية ما يقرره هؤلاء المتكلمون إنما هو : توحيد الربوبية ، ومعلوم أن هذا التوحيد لا ينجي صاحبه يوم القيامة من نار جهنم ، بل لابد معه من التوحيد الذى أرسلت به الرسل وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له ، وأن يعبده بما شرع لا بالأهواء والبدع .

أما مفهوم التوحيد عند الصوفية فيقسمه أبو حامد الغزالى(٢) - رحمه الله - إلى أربعة مراتب :-

المرتبة الأولى :

" وهى أن يقول الإنسان بلسانه " لا إله إلا الله " وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافقين "(٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ٩٨/٣

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى المعروف بالغزالى ، ولد بطوس سنة ٤٥٠ هـ كان والده يغزل الصوف ويبيعه - صاحب ذكاء مفرط ، وله تصانيف كثيرة ، برع فى علم الكلام والجدل ، تنقل بين كثير من المذاهب العقديه ،ثم رجع آخر حياته الى معتقد السلف الصالح . توفى سنة ٥٠٥ هـ انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء للذهبى ٣١٢/١٩ - ٣٤٦ ، طبقات الشافعية للسبكى ١٩١/٦- ٢٨٩ - شذرات الذهب ١٠/٤ - ١٣ ، معجم المؤلفين ٢٦٦/١١ - ٢٦٩ .

(٣) احياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى ط دار المعرفة بيروت ٢٤٥/٤ .

المرتبة الثانية :

" أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام "(١)

المرتبة الثالثة

:" أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق (٢) ، وهو مقام المقربين "(٣)

المرتبة الرابعة :

" أن لا يرى في الوجود إلا واحدا ، وهي مشاهدة الصديقين، وتسميه الصوفية : الفناء في التوحيد "(٤)

ثم يقول معقبا على المرتبة الرابعة :" وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد"(٥)

---

(١) إحياء علوم الدين ٢٤٥/٤

(٢) "وهو حضوره - أي القلب - بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمل الدليل" الرسالة القشيرية ص٤ ط دار الكتاب العربي

(٣) إحياء علوم الدين ٢٤٥/٤

(٤) إحياء علوم الدين ٢٤٦/٤ وينبغي أن يعلم أن الغزالي رجع إلى عقيدة السلف الصالح في آخر حياته ، ومات وصحيح البخاري على صدره وألف بعض الكتب التي أيد فيها مذهب أهل السنة والجماعة نحو " الجام العوام عن علم الكلام "

انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٢٥/١٩- ٣٢٦ ، البداية والنهاية لابن كثير ١٧٤/١٢ ، طبقات السبكي ١٠٩/٤ - ١١١

(٥) المصدر السابق .

والفناء الذى هو غاية التصوف له معنيان :

الأول :

فناء توحيد الربوبية (١) ، وهو أن يشهد أن الله رب كل شيء ، ومليكه وخالقه ، ويزعمون أنه إذا شهد ذلك سقط عنه استحسان الحسن ، واستقباح القبيح ، فآل بهم الأمر إلى تعطيل الأمر والنهى ، والوعد والوعيد .

ومعلوم أن توحيد الربوبية قد أقر به المشركون من قبل ، ومع ذلك بقوا مشركين وقاتلهم النبى صلى الله عليه وسلم حتى يقروا بتوحيد الألوهية وعبادة الله وحده .

فنعلم بذلك أن مجرد اعتقاد هذا التوحيد - أى توحيد الربوبية - لايصيّرُ الشخصَ مسلمًا مالم يأت بلازمه الذى هو توحيد الألوهية .

ويسمى النوع السابق أيضا بالفناء عن شهود السّوى" ، يقول ابن القيم - رحمه الله - : "وأما الفناء عن شهود السّوى : فهو الفناء الذى يشير إليه أكثر الصوفية المتأخرين ويعدونه غاية "(٢)

الثانى :

فناء الملاحدة ، القائلين بوحدة الوجود ، بحيث يرون أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق ، بل ليس عندهم فى الحقيقة رب وعبد ، وأنه ما ثم غير ، لذلك يطلقون عليه " الفناء عن وجود السّوى "(٣)

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٣/١٠١-١٠٢ ، ٣/١١٨-١١٩ ، ١٣/١٩٨-٢٠٥ إقتضاء الصراط المستقيم ٢/٨٤٦ ، مدارج السالكين ١/١٥٤-١٦٠ ، ١/٤٦٦ - ٤٦٨ .

(٢) مدارج السالكين ١/١٥٤ - ١٥٥

(٣) انظر مدارج السالكين ١/١٥٤ ،مجموع الفتاوى ٣/١١٩

وثمة " نوع ثالث " من الفناء : وهو الفناء المحمود المطلوب ، ويسميه بعض الأئمة بالفناء الديني الشرعي : بأن يفنى عن عبادة غير الله بعبادته ، وعن طاعة غيره بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعن التوكل على غيره بالتوكل عليه سبحانه ، وعن محبة ما سواه بمحبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعن خوف غيره بخوفه سبحانه وتعالى ، ويسمى هذا النوع أيضا "الفناء عن إرادة السّوى "[(١)] .

ولقد أصبح لأرباب التصوف مصطلحاتهم الخاصة ، وبدّلوا كثيرا من مفاهيم الإسلام ،(٢) لذلك ينبغي للباحث أن يكون على دراية بلغتهم ومصطلحاتهم وأوضاعهم إذا أراد دراسة مذهبهم وفرقهم .

أما الأشاعرة (٣) الذين هم أكثر الفرق انتشارًا في العالم الإسلامي[(٤)] ، لاسيما في وقتنا الحاضر ، فإنهم كانوا أقرب الناس إلى أهل السنة والجماعة ولم يخالفوهم إلا في مسائل يسيرة في الإعتقاد أغلبها في ما يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات ،(٥)

---

(١) انظر مدارج السالكين ١٦٦/١ - ١٦٨ ، مجموع الفتاوى ١١٨/٣

(٢) سبق الكلام عن بعض هذه التحريفات في الفصل السابق ص(١٦٣-١٦٥) وانظر ص(٢٨٩ - ٢٩٠)

(٣) نسبة إلى الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ) .

(٤) انظر الخطط المقريزيه ٣٥٨/٢ ، والصفات الإلهية بين السلف والخلف لعبد الرحمن الوكيل ص ١٣ - ١٧ ط الأولى .

(٥) توجد رسالة ماجستير بعنوان " بين أبي الحسن الاشعري والمنتسبين إليه في العقيدة " قدمها الطالب خليل ابراهيم احمد الموصلي . لنيل درجة الماجستير في شعبة العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٧هـ

وكان هذا في بداية منشأهم . أما بعد مرور الزمن ، يرى الباحث أن مذهب الأشاعرة قد تطور (١) وتعقد ، وتأثر بآراء كثيرة من إعتقادات الفرق الأخرى ، وأصبح المذهب الأشعري خليطا من المذاهب .

يقول شيخ الإسلام : " و " الأشعرية " الأغلب عليهم أنهم مرجئة في " باب الأسماء والأحكام " جبرية في "باب القدر" وأما في الصفات فليسوا جهمية محضة بل فيهم نوع من التجهم" (٢)

فالتوحيد عند الأشاعرة هو نفي التثنية أو التعدد ونفي التبعيض والتركيب والتجزئة ، وبناء على هذا المعنى فسروا الإله بأنه الخالق أو القادر على الإختراع ، وأولوا بعض الصفات لأنها تدل على التركيب والاجزاء عندهم .

أما التوحيد الحقيقي وما يقابله من الشرك ومعرفته والتحذير منه فلا ذكر له في كتب عقيدتهم إطلاقا .

وأما أول واجب عندهم فهو النظر أو القصد إلى النظر ، ويوجبون النظر على كل أحد ، ولا يعطون بناء على ذلك - المعرفة الفطرية حقها من الإعتبار ، ويقولون إن من آمن بالله بغير طريق النظر فإنما هو مقلد ، واختلفوا في تكفيره .

أما في الإيمان فهم مرجئة حيث أجمعت كتبهم على أن الايمان هو التصديق القلبي وهو عندهم لايزيد ولا ينقص .

وأما في القدر فهم جبريه حيث جاءوا بنظرية الكسب التي تنفي أن قدرة للعبد أو تأثير (٣) .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٥٢/٦

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٥٥/٦
وانظر مقالة الدكتور سفر الحوالي " منهج الأشاعرة في العقيدة " بمجلة الجامعة الاسلامية عدد ٦٢ ص ٦٥- ١٠٤

(٣) منهج الاشاعرة في العقيده للدكتور سفر الحوالي مجلة الجامعة الاسلامية العدد ٦٢ انظر ص ٨٠ + ٨٣

أما في باب الأسماء والصفات فعندهم نوع من التجهم إذ يثبتون الأسماء ويثبتون سبع صفات ويؤولون ما سواها (١)

وحتى لا يكون في الكلام السابق والحكم السابق تجنى على الأشاعرة ، سأختار أحد كتبهم وأقوم بتحليله لننظر مدى صدق ما قرره علماء السنة في حقهم .

وسوف أختار كتاب " المواقف في علم الكلام "(٢) لعضد الدين الأيجي الشيرازي (٣) كأنموذج لكتب الأشاعرة في التوحيد ،لاسيما وأن هذا الكتاب معتمد عندهم وقد اعتنوا به عناية فائقة ، حيث شرح عدة مرات (٤) وتوجد حواشي كثيرة على بعض شروحه .

---

(١) انظر كبرى اليقينيات الكونية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي صـ ١١٩ ط دار الفكر ط ٨ سنة ١٩٨٢م .
ومنهم من يثبت ثلاث عشرة صفة انظر تبسيط العقائد الاسلامية لحسن أيوب صـ ٣٥ - ٣٦ طـ دار الندوة الجديدة بيروت ط ٥ سنة ١٤٠٣هـ
وانظر المواقف في علم الكلام للأيجي صـ ٢٧٩ - ٢٩٥

(٢) طبعة عالم الكتب - بيروت - بدون سنة طبع .

(٣) هو عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار بن أحمد الأيجي الشيرازي ولد بأيج من نواحي شيراز سنة ٦٨٠هـ كان قاضيا ، وشيخا من مشايخ الشافعية ، من أشهر تلاميذه الكرماني ، والتفتازاني ، توفي مسجونا سنة ٧٥٦هـ أنظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣٣/٣ .
وانظر ترجمته في الاعلام ٦٦/٤، طبقات الشافعية للسبكي ١٠٨/٦ ، الدرر الكامنة ٣١٢/٢ وشذرات الذهب ١٤٧/٦ومعجم المؤلفين ١١٩/٥

(٤) وأهمها : شرح السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ،وشرح شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني ، وشرح سيف الدين الأبهري ، وشرح المولى علاء الدين علي الطوسي ، وشرح المحقق المولى حيدر الهروي .

وألخص ملاحظاتي على هذا الكتاب في النقاط التالية : -

الملاحظة الأولى :

عندما تكلم على أدلة هذا العلم قال في المقصد الأول من المرصد الأول من الموقف الأول :" ودلائله يقينية يحكم بها صريح العقل ، وقد تأيدت بالنقل "(١)

وهذا مما يبين مصدر التلقي عند الأشاعرة ، وهو العقل ،أما النقل فهو تابع للعقل ، ودوره ثانوي معاضد .

الملاحظة الثانية :

كثرة استخدامه للمصطلحات الفلسفية والمنطقية والكلامية وهذا الأتجاه هو الغالب على كل الكتابه .

الملاحظة الثالثه :

كثرة استشهاده بقول الفلاسفة وتسميتهم بالحكماء ، وهذه التسمية وإن كانت اصطلاحية إلا أنهم في الحقيقة جهلاء لا حكماء

الملاحظة الرابعة :

وهي نتيجة للأمور السابقة، عدم استعماله للأدلة الشرعية من الكتاب والسنة في تقرير الأحكام والمسائل .

الملاحظة الخامسة :

تقريره بأن الأدلة النقلية ظنية ولا تفيد اليقين، وأن العقل مقدم على النقل قطعا ، واعتباره الأدلة العقلية هي الأصل ، والأدلة النقلية هي الفرع (٢)

---

(١) المواقف في علم الكلام صـ ٨

(٢) المواقف في علم الكلام صـ٤٠

الملاحظة السادسة :

يتكون الكتاب من ستة مواقف ، أربعة منها أمور منطقية (المقدمات - الأمور العامة - الأعراض - الجواهر)والموقف الخامس في الإلهيات ، والسادس في السمعيات - فيكون ثلثا الكتاب أمور منطقية كلامية .

الملاحظة السابعة :

يتكون الكتاب من ٤٣٠ صفحة ، حوالى مائتين وثلاثين صفحة في الأمور المنطقية ، ومائة صفحة في الإلهيات . ، ومائة صفحة في السمعيات .

الملاحظة الثامنة "

لم يخط الكلام عن توحيد الله تعالى إلا بصفحة واحدة من كل الكتاب (١) ، وذلك يجعله مرصدا واحدا من مراصد الموقف الخامس .

قال الأيجي :" المرصد الثالث في توحيده تعالى وهو مقصد واحد : وهو أنه يمتنع وجود إلهين "(٢) ثم ابتدأ بذكر قول الحكماء - أن الفلاسفة - ثم ثنى بقول المتكلمين ، ثم ساق أدلة كل فريق ، وكلها أدلة عقلية . فأين الأدلة النقلية في الموضوع ؟ وأين كلام السلف الصالح ؟

وأين توحيد الألوهية الذى أرسل الله به الرسل وأنزل الكتب؟

لا نجد لذلك كله ذكرا في هذا المكان ، ولا في سائر الكتاب من باب أولى هذا هو التوحيد في نظر إمام من أئمة الأشاعرة ، إثبات لتوحيد الربوبية بأدلة عقلية وينتهى الأمر .

---

(١) وهى الصفحة ٢٧٨

(٢) المواقف في علم الكلام صـ ٢٧٨

وهكذا يتبين لنا صدق ما قرره علماء أهل السنة من وصف وتحليل لعقيدة الأشاعرة ،وأنهم لم يتكلموا إلا عن بينة وبرهان .

وليس غرضي هنا استقصاء موقف جميع الفرق المخالفة لمنهج السلف في مباحث العقيدة الإسلامية ومفهوم التوحيد ، فذلك لا يتسع له هذا البحث ، وإنما المقصود التنبيه والإشارة الى أن الإبتداع في الدين كان سببا في ظهور فرق أهل الأهواء الذين خالفوا أهل السنة والجماعة في أصل الإسلام وأسه ألا - وهو توحيد الله عز وجل .

ولا يتم الإيمان الصحيح بما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم إلا بالبراءة من كل ما خالفه

يقول ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - بعد أن ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة ، وانتهى من سردها " فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرا وباطنا ، ونحن براء إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه (١)

والموقف من العقائد والمناهج البدعية واضح ،ولا نقاش فيه ، وهو البراءة منها ومجانبتها كما بينه ابن أبي العز - رحمه الله - .

أما الأشخاص والأفراد فحكمهم والموقف منهم أمر آخر ، ومسألة أخرى فيها تفصيل ، وقد بينت ذلك في الفصل اللاحق .

---

(١) شرح الطحاوية ص ٥٢٠ وانظر بقية الفقرة ففيها زيادة بيان وتأكيد لهذه المسألة .

الفصل الثاني

الجهل

وفيه مبحثان

المبحث الأول : بيان أن الجهل من أسباب الإختلاف والتفرق .

المبحث الثاني : الكلام عن مسألة العذر بالجهل .

الفصل الثاني

" الجهل "

عند قراءتنا لكتاب الله نجد أن الجهل هو السبب في مخالفة الكثير من الأمم لأنبيائهم - عليهم السلام، وإعراضهم عنهم ، قال تعالى : (قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)(١)

وقال تعالى : مخبرا عن نبيه نوح عليه السلام وهو يخاطب قومه : (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ)(٢)

وقال تعالى مخبرا عن نبيه لوط عليه السلام وهو يخاطب قومه : (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) (٣)

وقال تعالى مخبرا عن نبيه صالح عليه السلام وهو يخاطب قومه : (وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ)(٤)

وقال تعالى مخبرا عن نبيه إبراهيم عليه السلام وهو يخاطب قومه : (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ)(٥)

وقال تعالى : (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)(٦)

---

(١) الاعراف آية ١٣٨ (٢) هود آية ٢٩
(٣) النمل آية ٥٥
(٤) الأحقاف آية ٢٣
(٥) الزمر آية ٦٤
(٦) الأنعام آية ١١١

ولقد أمرنا الله عز وجل بمجانبة طريق أهل الجحيم من المغضوب عليهم والضالين ، والمغضوب عليهم " هم الذين فسدت إرادتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه " (١) . والضالون " هم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق"(٢)

ولذلك كان في قوله تعالى (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) رد على جميع أهل البدع والضلال ، لأن الصراط المستقيم هو معرفة الحق والعمل به ، وكل مبتدع وضال فهو مخالف لذلك . (٣)

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه : " فصلاح بني آدم الإيمان والعمل الصالح ، ولا يخرجهم عن ذلك إلا شيئان : -

أحدهما :

الجهل المضاد للعلم فيكونون ضلالا . ،

والثاني :

اتباع الهوى والشهوة اللذين في النفس ، فيكونون غواة مغضوبا عليهم "(٤)

وقد جاء عن السلف الصالح : " من عبد الله بجهل ، أفسد أكثر مما يصلح "(٥)

والجهل من أعظم أسباب الوقوع في المحرمات جميعها من كفر وفسوق وعصيان . (٦)

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٩/١
(٢) نفس المصدر السابق .
(٣) أنظر تيسير الكريم الرحمن ٣٨/١
(٤) الفتاوى ٢٤٢/١٥
(٥) الفتاوى ٢٨١/٢٥
(٦) أنظر الفتاوى ٢٢/١٤

ومن أعظم الجهل القول على الله بغير علم " وقد جعله الله عز وجل أعلى مراتب المحرمات ، وأعلى درجة من الإشراك به سبحانه حيث قال : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (١)

يقول الشيخ السعدي:" (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه "(٢)

ويقول ابن القيم : " وأصل الشرك والكفر : هو القول على الله بلا علم " (٣)

ويقول أيضا في شأن القول على الله بلا علم:" فهذا أعظم المحرمات عند الله وأشدها إثما . فإنه يتضمن الكذب على الله ، ونسبته إلى ما لا يليق به ، وتغيير دينه وتبديله ، ونفي ما أثبته وإثبات ما نفاه ، وتحقيق ما أبطله وإبطال ما حققه ، وعداوة من والاه وموالاة من عاداه ، وحب ما أبغضه وبغض ما أحبه ، ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله .

فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه ، ولا أشد اثما . وهو أصل الشرك والكفر . وعليه أسست البدع والضلالات . فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم .

---

(١) الاعراف آية ٣٣
(٢) تيسير الكريم الرحمن ٢٢/٣
(٣) مدارج السالكين ٣٧٣/١

ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها . وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض . وحذروا فتنتهم أشد التحذير . وبالغوا في ذلك مالم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان . إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد "(١)

ومما يدخل في هذه المسألة ، تقرير مسائل الإعتقاد والكلام فيها إعتمادا على مصدر سوى الكتاب والسنة من منطق وفلسفة وغير ذلك من المصادر الدخيلة التي هي زبالات أذهان اليونان ، وحصائد عقولهم الفاسدة البعيدة عن نور الوحي وهدى الإسلام .

ولذلك كان موقف أئمة السلف من علم الكلام موقفا شديدا مبنيا على رفضه جملة وتفصيلا، وذموه وذموا أهله المشتغلين به ، وحذروا المسلمين منه ونصحوهم بالبعد عنه لعلمهم أنه مفسد للدين ، هادم للعقائد ، وصارف لعقول الأمة إلى غير مجالها . (٢)

وقد نهى الله تعالى عباده أن ينسبوا إلى دينه تحليل شيء أو تحريمه من عند أنفسهم ،ليس لديهم فيه حجة من الله ولا برهان فقال تعالى: (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ)(٣)

---

(١) مدارج السالكين ٣٧٢/١
(٢) سيأتي الكلام على هذا الموضوع مفصلا إن شاء الله .
(٣) النحل آية ١١٦

فافتراء الكذب على الله عز وجل أمر خطير وعظيم ، فهو تعدٍّ على جانب الألوهية ، وتطاول على الله عز وجل ، وفيه إضلال للعباد ، وصدهم عن دين الله الحق ، يقول تعالى : (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ)(١)

وقال تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ)(٢)

وقال تعالى : (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)(٣)

ولذلك جاء الوعيد الشديد لمن افترى على الله الكذب في آيات كثيرة من القرآن الكريم (٤).

كما أننا نلاحظ في كثير من الآيات التي نزلت في محاجة المشركين ودحض ما هم عليه من باطل وضلال ، مطالبتهم بالدليل والبرهان وإقامة البينة على صحة ما يدعونه ويزعمونه .

---

(١) الأنعام ١٤٤
(٢) الأنعام آية ٩٣
(٣) آل عمران آية ٧٨
(٤) انظر الآيات . الانعام ٢١ ، الاعراف ٣٧، ٨٩ ، يونس ١٧، ٦٩ ، هود ١٨ ، الكهف . ١٥ ، العنكبوت . ٦٨

قال تعالى : (قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ)(١)

وقال تعالى : (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ) (٢)

وقال تعالى :(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (٣)

وقال تعالى : (ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)(٤)

وهذا تربية للمرء منين ودعوة للناس أجمعين بأن يأخذوا الحق ويبحثوا عنه من مصدره الصحيح وهو الوحي فقط لا غير ، وأن أى شيء لم يقم عليه دليل ولا برهان من وحى الله فإنه باطل مرفوض .

وإذا انتقلنا إلى السنة النبوية ، وجدنا إخبارَ النبى صلى الله عليه وسلم أن من أشراط الساعة قبض العلم وظهور الجهل ، فعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من أشراط الساعة

---

(١) يونس آية ٥٩
(٢) الشورى آية ٢١
(٣) البقرة آية ١١١ وانظر الآيات : النمل : ٦٤ الانبياء : ٢٤ ، القصص : ٧٥
(٤) الأحقاف آية ٤

أن يرفع العلم ويثبت الجهل " (١)

وعن أبي وائل قال : كنت جالسا مع عبد الله وأبي موسى فقالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن بين يدى الساعة أياما يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل ويكثر فيها الهرج والمرج "(٢)

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا: وما الهرج قال القتل"(٣)

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب العلم باب رفع العلم وظهور الجهل ١٧٨/١ وأخرجه مسلم فى كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن فى آخر الزمان ٢٢٢/١٦ وانظر شرح النووى ٢٢١/١٦
وأخرجه الامام أحمد فى المسند انظر الفتح الربانى(ج. ٧٧ كتاب العلم - باب ١٣ - فيما جاء فى رفع العلم ١٨٢/١
وأخرجه ابن ماجه فى سننه وصححه الالبانى أنظر صحيح سنن ابن ماجة كتاب الفتن ٢٥ - باب أشراط الساعة ج . ٣٢٦٩ ج ٣٧٧/٢

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الفتن باب ظهور الفتن ١٣/١٣
وأخرجه مسلم فى كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن فى آخر الزمان انظر شرح النووى ٢٢٢/١٦

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب العلم باب رفع العلم ٢١٢/١٦-٢٢٣من شرح النووى .
وأخرجه ابن ماجة وصححه الألبانى انظر كتاب الفتن - ٢٦ - باب ذهاب القرآن والعلم ، صحيح سنن ابن ماجة (ح ٣٢٧٥ ،ح : ٣٢٧٦) ج ٢ / ٣٧٨

قال ابن حجر :" والمراد من الحديث استحكام ذلك حتى لا يبقى مما يقابله إلا النادر وإليه الإشارة بالتعبير بقبض العلم فلا يبقى إلا الجهل الصرف ولا يمنع من ذلك وجود طائفة من أهل العلم لأنهم يكونون حينئذ مغمورين في أولئك " (١)

وقد بين صلى الله عليه وسلم في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص المقصود بقبض العلم ، وكيفية وقوع ذلك حيث قال صلى الله عليه وسلم : " إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا "(٢)

---

(١) فتح الباري ١٣/١٦

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب كيف يقبض العلم (ح: ١٠٠) انظر الفتح ١٩٤/١ وفي كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس (ح : ٧٣٠٧) انظر الفتح ٢٨٢/١٣
وأخرجه مسلم في كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان انظر شرح النووي لمسلم ٢٢٣/١٦ - ٢٢٤ .
وأخرجه الإمام أحمد في مسنده انظر الفتح الرباني (ح : ٧٦ كتاب العلم:باب ١٣ - فيما جاء في رفع العلم ١٨١/١)
وأخرجه الترمذي في سننه وصححه الشيخ الألباني انظر صحيح سنن الترمذي (أبواب العلم - ٥ - باب ذهاب العلم ح : ٢١٣٦ ج ٢ / ص ٣٣٦ - ٣٣٧) .
وأخرجه ابن ماجه في مقدمة سننه:٨ - باب اجتناب الرأي والقياس .
وصححه الشيخ الألباني انظر صحيح سنن ابن ماجه (ح : ٤٦/ ١٥/١)

قال ابن حجر : " قوله (لا يقبض العلم انتزاعا " أى محوا من الصدور ، وكان تحديث النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فى حجة الوداع كما رواه أحمد والطبرانى من حديث أبى أمامة " (١)

وقال النووى : " هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم فى الأحاديث السابقة المطلقة ليس هو محوه من صدور حفاظه ، ولكن معناه أن يموت حملته ويتخذ الناس جهالا يحكمون بجهالاتهم فيضلون ويضلون "(٢)

أما فوائد الحديث فيلخصها ابن حجر بقوله : " وفى هذا الحديث الحث على حفظ العلم ، والتحذير من ترئيس الجهلة " (٣)

والمراد بالعلم فى الحديث هو العلم الشرعى المأخوذ من الكتاب والسنة ، لا علم الدنيا ، يقول الشيخ يوسف الوابل : " والمراد بالعلم هنا علم الكتاب والسنة وهو العلم الموروث عن الأنبياء عليهم السلام فإن العلماء هم ورثة الأنبياء وبذهابهم يذهب العلم وتموت السنن وتظهر البدع ويعم الجهل " وأما علم الدنيا فإنه فى زيادة وليس هو المراد فى الأحاديث"(٤)

---

(١) فتح البارى ١/١٩٥

(٢) شرح النووى ١٦/٢٢٤

(٣) فتح البارى ١/١٩٥

(٤) اشراط الساعة ص "١٠٣" رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى سنة ١٤٠٤ ليوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل ط دار طيبة ومكتبة ابن الجوزى ط أولى سنة ١٤٠٩ هـ

وعن زياد بن لبيد رضى الله عنه قال : ذكر النبى صلى الله عليه وسلم شيئا فقال : وذاك عند أوان ذهاب العلم . قال : قلنا : يارسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبنائنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة ؟ قال : ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد ، إنْ كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة أوليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل لا ينتفعون مما فيهما بشيء"(١)

وعن أبى أمامة الباهلى - رضى الله عنه - قال : لما كان فى حجة الوداع قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ مردف الفضل بن عباس على جمل آدم فقال: يا أيها الناس خذوا من العلم قبل أن يقبض العلم وقبل أن يرفع العلم ، وقد كان أنزل الله عز وجل (يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عن أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُم تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ) قال : فكنا نذكرها كثيرا من مسألته واتقينا ذلك حين أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قال . فأتينا أعرابيا فرشوناه * بردائنا قال فاعتم به

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى " مسنده " انظر الفتح الربانى كتاب العلم باب ١٣ - باب فيما جاء فى رفع العلم (ح : ٧٩ ، ٨٠) (ج ١ /١٨٢).
وأخرجه الترمذى فى سننه وصححه الشيخ الألبانى انظر صحيح سنن الترمذى أبواب العلم ٥ - باب ذهاب العلم (ح : ٢١٣٧) (ج ١/٢٣٧) من حديث أبى الدرداء .
وأخرجه ابن ماجة فى سننه وصححه الشيخ الألبانى انظر صحيح سنن ابن ماجه كتاب الفتن - ٢٦ - باب ذهاب القرآن والعلم (ح : ٣٢٧٢) (ج ٢ / ص ٣٧٧)

* "الرشوة والرُشوة الوصلة الى الحاجة بالمصانعة" انظر النهاية فى غريب الحديث ٢/٢٢٦

حتى رأيت حاشية البرد خارجة من حاجيه الأيمن قال ثم قلنا له سل النبى صلى الله عليه وسلم قال فقال له يا نبى الله كيف يرفع العلم منا وبين أظهرنا المصاحف وقد تعلمنا ما فيها وعلمناها نساءنا وذرارينا ؟ وخدمنا قال : فرفع النبى صلى الله عليه وسلم رأسه وقد علت وجهه حمرة من الغضب ، قال فقال أى ثكلتك أمك ، وهذه اليهود والنصارى بين أظهرهم المصاحف لم يصبحوا يتعلقوا بحرف مما جاء تهم به أنبياؤهم ، ألا وإن من ذهاب العلم أن يذهب حملته ثلاث مرار " (١)

قال ابن حجر : " وفى حديث أبى أمامة من الفائدة الزائدة أن بقاء الكتب بعد رفع العلم بموت العلماء لا يغنى من ليس بعالم شيئا "(٢)

وفى هذا أهمية تلقى العلم عن العلماء وأخذه عنهم ، لا كما يفعله كثير من طلبة العلم اليوم من الاكتفاء بقراءة الكتب ثم الخروج بالآراء الشاذة ، والأفكار المنحرفة ، والتصورات المشوهة .

قال ابن حجر : " واستدل بهذا الحديث على جواز خلو الزمان عن مجتهد ، وهو قول الجمهور خلافا لأكثر الحنابلة ، وبعض من غيرهم "(٣)

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده انظر الفتح الربانى كتاب العلم - باب فيما جاء فى رفع العلم (ج : ٨١/ ١٨٣/١ - ١٨٤) .

(٢) فتح البارى ٢٨٦/١٣

(٣) فتح البارى ٢٨٦/١٣

إلى أن قال : " وعورض هذا بحديث " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله " " (١)

إلى أن قال : " وأجيب بأنه ظاهر في عدم الخلو لا في نفي الجواز ، وثانيا بأن الدليل للأول أظهر للتصريح بقبض العلم تارة وبرفعه أخرى بخلاف الثاني ، وعلى تقدير التعارض فيبقى أن الأصل عدم المانع "(٢)

إلى أن قال : " ويؤيده ما أخرجه الإمام أحمد وصححه الحاكم عن حذيفة رفعه " يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب " إلى غير ذلك من الأحاديث "(٣)

ثم ذكر منهج الطبري في محاولة الجمع بين الحديثين ، ، وقد تقدم ذكر ذلك في الفصل الرابع من الباب الأول .

ثم ذكر ابن حجر رأيه هو في طريقة الجمع بين الحديثين فقال : " ويمكن أن تنزل هذه الأحاديث على الترتيب في الواقع فيكون أولاً : رفع العلم بقبض العلماء المجتهدين الإجتهاد المطلق ثم المقيد ، ثانيا : فإذا لم يبق مجتهد استووا في التقليد لكن ربما كان بعض المقلدين أقرب إلى بلوغ درجة الإجتهاد المقيد من بعض ، ولا سيما إن قرّعنا على جواز تجزئ الإجتهاد ولكن لغلبة الجهل يقدم أهل الجهل أمثالهم ، وإليه الإشارة بقوله " اتخذ الناس رؤسا جهالا " وهذا لا ينفي ترئيس

---

(١) فتح الباري ٢٨٦/١٣
(٢) المصدر السابق .
(٣) فتح الباري ٢٨٧/١٣

بعض من لم يتصف بالجهل التام ، كما لا يمتنع ترئيس من ينسب إلى الجهل في الجملة في زمن أهل الإجتهاد"(١)

إلى أن قال : " فيحمل على أن المراد الأغلب الأكثر في الحالين ، وقد وجد هذا مشاهدا ثم يجوز أن يقبض أهل تلك الصفة ولا يبقى إلا المقلد الصرف ، وحينئذ يتصور خلو الزمان من مجتهد حتى في بعض الأبواب بل في بعض المسائل ، ولكن يبقى من له نسبة إلى العلم في الجملة ، ثم يزداد حينئذ غلبة الجهل وترئيس أهله ، ثم يجوز أن يقبض أولئك حتى لا يبقى منهم أحد ، وذلك جدير بأن يكون عند خروج الدجال أو بعد موت عيسى عليه السلام ، وحينئذ يتصور خلو الزمان عمن ينسب إلى العلم أصلا ، ثم تهب الريح فتقبض كل مؤمن ، وهناك يتحقق خلو الأرض عن مسلم فضلا عن عالم فضلا عن مجتهد ويبقى شرار الناس ، فعليهم تقوم الساعة ، والعلم عند الله تعالى "(٢)

والذي ذكره ابن حجر في الجمع بين الحديثين من أن - ذلك النقص في العلم المشار إليه في الحديث يكون بالتدرج وعلى مراحل حتى يفشو الجهل فلا يعرف الناس فرائض الإسلام ، حتى يصل بهم الأمر إلى الجهل التام بالإسلام فلا يعرفون منه إلا التلفظ بكلمة التوحيد ،

---

(١) فتح الباري ١٣/٢٨٧

(٢) نفس المصدر السابق .

هذا كلـــه جاء منصوص عليـــه فى حديث حذيفـــة بن اليمـــان رضـــى الله عنـــه ، وقـــد أشار إليه ابن حجر أثناء كلامه السابـــق . ولفظ الحديث كما يرويه حذيفـــة قال : قال رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم : " يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثـــوب . حتى لا يدرى ما صيـــام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقـــــة وليسرى على كتاب الله ، عز وجل ، فى ليلـــة فلا يبقـــى فـــى الأرض منه آيـــة . وتبقـــى طوائف من الناس الشيـــخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هـــذه الكلمـــة . لا إلـــه إلا اللـــه . فنحن نقولها " فقال له صلة : مـــا تغنى عنهم . لا إله إلا الله ، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيـــام ولا نسك ولا صدقـــة ؟ فأعرض عنه حذيفـــه . ثم ردها عليـــه ثلاثا . كل ذلك يعرض عنه حذيفه . ثم أقبـــل عليه فى الثالثة فقال : يا صلة . تنجيهم من النار ثلاثا . (١)

فالجهل من الأسباب الرئيسة فى الإنصـــراف عن الحـــق ورده والبعـــد عنه ، وهو من أعظـــم الأسباب المؤدية إلى الإختلاف والتفرق .

---

(١) أخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب الفتن ٢٦ - باب ذهـــاب القرآن والعلـــم وصححه الشيخ الألبانى انظـــر صحيـــح سنن ابن ماجه (ح . ٣٢٧٣ / ٣٧٨/٢) وذكره الشيـــخ الالبانى فى السلسلة الصحيحة (ح : ١٢٧/١/٨٧).
وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٤٧٣/٤) وقال . صحيح علـــى شرط مسلم ووافقه الذهبى .
وانظر صحيح الجامع الصغير ٣٣٩/٦ (ح : ٧٩٣٢)

فالظلم والجهل أصل كل شر ، كما أن العلم والعدل أصل كل خير . (١)

والجهل أقسام وأنواع ، وللعلماء مسالك كثيرة ومتباينة في تقسيمه وتفريعه ، فمنهم من يقسمه إلى جهل بسيط ومركب وهذا بإعتبار حال الجاهل ، ومنهم من أدخل عدم العمل بالعلم في مسمى الجهل كابن القيم حيث قال : " الجهل نوعان : عدم العلم بالحق النافع ، وعدم العمل بموجبه ومقتضاه فكلاهما جهل لغة وعرفا وشرعا وحقيقة "(٢)

ثم بين سبب إدخال عدم العمل بالعلم في مسمى الجهل بقوله : " وسمي عدم مراعاة العلم جهلا ، إما لأنه لم ينتفع به . فنزل منزلة الجهل . وإما لجهله بسوء ما تجني عواقب فعله "(٣)

واستدل لذلك بما ورد من إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على أن كل من عصى الله فهو جاهل .(٤)

وقد ينشأ الجهل والضلال بسبب التحاكم إلى شيء آخر غير الشرع ، أو أن يجعل سوى الكتاب والسنة مصدرا لتلقي الأحكام الشرعية من إعتقاد أو سلوك أو غير ذلك .

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ج ١ / ص١٢٨ ، وانظر مدارج السالكين ٥٢٣/٣ .
(٢) مدارج السالكين ٤٦٩/١
(٣) انظر مدارج السالكين ٤٧٠/١
(٤) انظر تفسير الآيات التالية . النساء ١٧ و الانعام . ٥٤ ، النحل . ١١٩ حيث ورد ذكر الأقوال المنسوبة الى الصحابة رضوان الله عليهم في هذه المسألة .

ومعلوم أن ما سوى الشرع موزون وليس بميزان ، ومحكوم وليس بحاكم ، ولذلك وقع الكثير من المتصوفة فى التخبط والبدع والضلال عندما تحاكموا إلى الذوق والوجدان والمكاشفه والمنامات ، إلى غير ذلك من مصطلحاتهم .

يقول ابن القيم : " فهذا منشأ ضلال من ضل من المفسدين لطريق القوم الصحيحة . حيث جعلوه - أى الذوق - حاكما . فتحاكموا إليه فيما يسوغ ويمتنع ، وفيما هو صحيح وفاسد ، وجعلوه محكا للحق والباطل .

فنبذوا لذلك موجب العلم والنصوص . وحكموا فيها الأذواق والأحوال والمواجيد "(١)

وقد ينشأ الجهل عن سوء الفهم ، وهذا ما ذهب إليه شارح العقيدة الطحاوية حيث قال : " بل سوء الفهم عن الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - أصل كل بدعة وضلالة نشأت فى الإسلام ، وهو أصل كل خطأ فى الفروع والأصول ، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد "(٢)
وهذا كما قال الشاعر .

وكم من عائب قولا صحيحا . وآفته من الفهم السقيم

وقد يكون سوء الفهم بسبب التقصير فى طلب العلم النافع ، وقد يكون بسبب الشبهات . فعند كلام شيخ الإسلام ابن تيميه عن سبب رواج البدع وانتشارها بين كثير من الناس ممن ليس من المنافقين ولا من أصحاب القصد السيء قال: " لكن راج كثير -

---

(١) مدارج السالكين ١/٤٩٤
(٢) شرح العقيدة الطحاوية صـ ٣٩٢

منها على من ليس من المنافقين الملحدين ، لنوع من الشبهة والجهالة المخلوطة بهوى ، فقبل معه الضلالة ، وهذا أصل كل باطل" (١)

وقال في وصف البكري الذي ناظره في مسألة الإستغاثة : " فإنه لجهله ليس له خبرة بالأدلة الشرعية التي تتلقى منها الأحكام ، ولا خبرة بأقوال أهل العلم الذين هم أئمة أهل الإسلام" (٢)

وقد يكون الجهل جهلا بمقاصد الشريعة ، أو جهلا بالأدوات التي تفهم بها مقاصد الشريعة كما أشار إلى ذلك الشاطبي .(٣)

ولقد ركز الشاطبي على أهمية اللغة العربية واللسان العربي ، وأن الشريعة الإسلامية جاءت بلغة العرب فعليها تتنزل وبها تفهم .(٤)

وذكر الشاطبي أن من أسباب خروج الخوارج وضلالهم هو جهلهم بمقاصد الشريعة ، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت ، والأخذ فيها بالنظر الأول ، ولذلك وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم (٥)

---

(١) منهاج السنة النبوية ١٨/١
(٢) الرد على البكري ٢/١
(٣) الإعتصام ١٨٢/٢ ، ٢٩٣.
(٤) الإعتصام ٢٩٣/٢ - ٣٠٤ ، الموافقات ٦٤/٢ - ١٠٣
(٥) انظر الإعتصام ١٨٢/٢

ومن الجهل بالأدوات التى تفهم بها المقاصد الجهل بعلم مصالح الحديث ، والجهل بدرجات الحديث ، والتمييز بين الصحيح والضعيف ، وما يصلح للاستشهاد أو الإعتماد أو الإعتقاد وما لا يصلح .

ولذلك وقع الكثير من أهل الضلال والبدع فيما وقعوا فيه نتيجة اعتمادهم على الأحاديث الموضوعة والواهيه والضعيفة فى تقرير عقيدة أو عبادة أو غير ذلك من الأحكام الشرعية .

ومن المعاصرين من سلك مسلكا آخر فى تقسيم الجهل ، وذلك من حيث الكيف والكم ، فقال مؤلفا

" مقدمة فى أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ":-

" والجهل قد يكون لنقص العلم ، وقد يكون لعدم وجود العلم النافع ، وكلاهما حذر الله ورسوله منهما "(١)

ثم عقبا على هذا التقسيم بالقول :" والحق أنَّ مجرد فقد العلم ليس محلا للذم فى كل حال إلا أن يكون علما مطلوبا طلب عين على كل مسلم "(٢)

وهذا الكلام الأخير يجب التنبه إليه ، فعلى كل مسلم أن يتعلم من أمر دينه ما هو مكلف به وما يتعين فى حقه من أمور الإسلام .

وأكثر المسلمين اليوم يعتنون أشد العناية بأمور الدنيا وعلومها ، ويغفلون عن الآخرة وما يوصل إليها من علم نافع .

---

(١) مقدمة فى أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم لمحمد العبده وطارق عبد الحليم صـ (١٠٣) طـ الاولى . وهذا التقسيم قريب من التقسيم الذى ذكره ابن القيم .

(٢) مقدمة فى أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم صـ ١٠٣

وقد ذم الله تعالى من هذه حاله فقال : (وَعْدَ اللَّهِ لاَيُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ . يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) (١)

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله تعالى يبغض كل عالم بالدنيا ، جاهل بالآخرة "(٢)

والعلم ضد الجهل ، وهو دواؤه الناجع ، وقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة فى الحث على طلبه والثناء على أهله ، وذكر فضله ، وحسن عاقبته ، ولقد أفردت فصلا خاصا فى الباب الثالث من هذا البحث لهذا الموضوع .

---

(١) سورة الروم : ٦ ، ٧

(٢) صحيح الجامع الصغير (ح : ١٨٧٥) (٢/١٤٤) .

المبحث الثانى : مسألة العذر بالجهل :

فى هذا الفصل أجدنى ملزما بالكتابة حول موضوع له صلة وثيقة به ، وكثر فيه الكلام والخوض لاسيما فى أيامنا هذه . ولا يكاد يمر شهر واحد إلا ونجد كتابا قد ألف فيه ، أو رسالة صنفت فى الكلام عليه ، وهذا الموضوع هو : هل يعذر المسلم بجهله (١) إذا أتى بما يخالف أمرًا من أمور الشريعه فى الجانب الإعتقادى أولا يعذر ؟

وهذا الموضوع سبب اللبس عند كثير من الناس ، وأشاع الفوضى بين صفوف الشباب المسلم ، والدعاة منهم على وجه الخصوص ، وترتب على عدم إحكام أصوله وفروعه على منهج أهل السنة والجماعة ، ظهور جماعات تكفر المجتمعات المسلمة ، وترتب على ذلك أحكاما خاصة تعامل على ضوئها من حولها من الناس .

وهو مزلق خطير قد يؤدى إلى جر المصائب والويلات على المسلمين إذا لم يقم العلماء ، وطلبة العلم بالتصدى لهذه الظاهرة وعلاجها العلاج الناجع الذى يشفى العليل ، ويروى الغليل ، ويقضى على الشبهات .

ولو رجعنا إلى تراث سلفنا الصالح ، لوجدنا من الأئمة الأعلام من تكلم فى هذا الموضوع وبيّنه غاية البيان ، وإن كان يحتاج إلى الجمع والإستقراء والتتبع للمصادر التى هى مظنته وسوف اقتصر فى كتابة هذا المبحث وتحقيق هذه المسألة ،على أهم ما ورد حولها فى كتب شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله

---

(١) يدخل فى المقصود بالجاهل هنا . العامي ، والعالم الذى اجتهد ثم أخطأ الحق أو جهله .

للأسباب التالية :-

الأول :
ـــــ أنه أشبع هذا الموضوع بحثا في جل مؤلفاته ، وأكثر من الكلام حوله مما سيتضح عند عرض أقواله ، ولا شك أنه من أئمة وأعلام أهل السنة ، وله من الباع في العلم النافع المستنبط من الكتاب والسنة ، والإلمام بأقوال السلف الصالح ممن قبله ، والخبرة بأحوال وأقوال شتى الفرق والمذاهب ، مما يعطي لأقواله قيمة عالية ، ومزية خاصة ، وإن كان من جملة البشر يخطيء ويصيب ، ويؤخذ من قوله ويترك .

الثاني :
ـــــ لوجود التشابه الشديد بين عصره ، وعصرنا الحاضر من حيث إنتشار الأهواء والبدع ، وكثرة الفرق والنحل ، وابتعاد كثير من الناس عن هدى النبي صلى الله عليه وسلم وما كان عليه هو وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

الثالث :
ـــــ لبيان مدى الإنصاف الذي كان عند هذا العالم الجليل ، وعدله مع خصومه ومخالفيه ، وإشفاقه عليهم ومحبة الخير والهدى لهم ، والتماس الأعذار لهم ما وجد إلى ذلك سبيلا ، وأنه من أشد الناس تورعا وحيطة في تكفير المسلمين ولو كانوا يخالفونه في الرأي والإعتقاد ، ومهما بلغت مخالفة خصومه في بعض المسائل الشرعية .

وهذا كله بخلاف ما يزعمه خصومه ، ويدعيه مخالفوه في القديم والحديث .

ويتبين لنا من كلام شيخ الإسلام في المسألة أن الجواب على السؤال الذي سبق ذكره لا يكون بالإثبات المطلق أو النفي المطلق ، كما يقع من بعض الذين يتكلمون في هذه المسألة ، بل

لابد من التفصيل والبيان ، ولا بد من رد الجزئيات إلى القواعد العامة ، ورد الفرعيات إلى الأصول الكلية حتى يتكلم الإنسان بعلم وعدل .

يقول شيخ الإسلام في بداية كلامه على جزئية من جزئيات المسألة التي أنا بصدد دراستها : " لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل ، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت ؟ وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات وجهل وظلم في الكليات ، فيتولد فساد عظيم "(١)

وبناء على ما تقدم فسوف يكون عرضي لكلام شيخ الإسلام في هذه المسألة على شكل أصول عامة اجتهد ما استطعت في ترتيبها حسب الأهمية والأولوية .

فأقول وبالله التوفيق :

الأصل الأول :

يبين شيخ الإسلام الموقف الصحيح العادل لأهل السنة والجماعة من الخلق عموما ، ومن مخالفيهم على وجه الخصوص ، بأنه العدل والرحمة القائم على العلم النافع فيقول . " وأئمة السنة والجماعة وأهل العلم والإيمان فيهم العلم والعدل والرحمة ، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة ، ويعدلون على من خرج منها ولو ظلم كما قال تعالى :"(كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا ، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) (٢)

(١) مجموع الفتاوى ج ١٩/٢٠٣

(٢) المائدة الآية : ٩ .

ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير والهدى والعلم ، لا يقصدون الشر لهم ابتداء ، بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هى العليا " (١)

الاصل الثانى :

التكفير حكم شرعى وهو حق لله تعالى ، وبناء على ذلك لا يكفر إلا من كفره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذا الأصل مما خالف فيه أهل السنة والجماعة أهل البدعة والفرقة ، فأهل السنة لا يكفرون من خالفهم لمجرد المخالفة ، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم ، لأن الكفر حكم شرعى كما تقدم . (٢)

وقد طبق شيخ الإسلام هذه القاعدة مع خصومه فى عصره . وهم الجهمية النفاة حيث قال : "ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش لما وقعت محنتهم . أنا لو وافقتكم كنت كافرا لأنى أعلم أن قولكم كفر ، وأنتم عندى لا تكفرون لأنكم جهال ، وكان هذا خطابا لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم "(٣)

أما أهل البدع والفرقة فقد اضطربوا اضطرابا كبيرا فى هذا الباب ، وهم على قسمين : قسم منهم يكفر بالكبائر والمعاصى ، ويعتقدون إعتقادا هو ضلال يرونه هو الحق ،

---

(١) الرد على البكرى ص ٢٥٦ - ٢٥٧
(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٥٧ - ٢٥٨
(٣) المرجع السابق ص ٢٥٩

وكفروا من خالفهم فى ذلك ، بل قد يصل بهم الأمر إلى تكفير الناس فى المسائل الدقيقة التى لا تفهم حقيقتها ولا تعرف حجتها ، وأصبحوا كما وصفهم شيخ الإسلام فيهم شوب قوى من أهل الكتاب فى كفرهم بالحق وظلمهم للخلق ، وهذه حال الخوارج ، والروافض والقدرية ، والجهمية ونحوهم .

وقسم آخر أقوام لا يعرفون إعتقاد أهل السنة والجماعة ، كما يجب ، أو يعرفون بعضه ويجهلون بعضه ، وما عرفوه منه قد يكتمونه ولا يبينونه للناس ، ولا ينهون عن البدع ، ولايذمون أهل البدع ويعاقبونهم ، بل لعلهم يذمون الكلام فى السنة وأصول الدين مطلقا ، وقد لا يفرقون بين ما يقوله أهل السنة والجماعة وما يقوله أهل البدعة والفرقة ، أو يقرون الجميع على مذاهبهم المختلفة ، كما يُقر العلماء فى مواضع الإجتهاد التى يسوغ فيها النزاع ، وهذه حال كثير من المرجئة ،وبعض المتفقهة ، والمتصوفة ، والمتفلسفة" .(١)

والطريق الصحيح هو الطريق الذى سلكه أهل السنة والجماعة ، والذى سبق إيضاحه .

الأصل الثالث :

اختلاف الأزمنة والأمكنة بإعتبار غلبة الجهل وقلة العلم : يقول شيخ الإسلام بعد كلام له عن بعض طوائف أهل البدع " وهؤلاء الاجناس وإن كانوا قد كثروا فى هذا الزمان ، فلقلة دعاة العلم والإيمان ، وفتور آثار الرسالة فى أكثر البلدان ، وأكثر هؤلاء ليس عندهم من آثار الرسالة وميراث النبوة ما يعرفون به الهدى ، وكثير منهم لم يبلغهم ذلك .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٤٦٦/١٢ - ٤٦٧

وفى أوقات الفترات ، وأمكنة الفترات . يثاب الرجل على ما معه من الإيمان القليل ، ويغفر الله فيه لمن لم تقم الحجة عليه ما لا يغفر به لمن قامت الحجة عليه "(١)

ويقول فى موضع آخر : " لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة فى كثير من المتأخرين لم يكن تكفيرهم بذلك - أن بدعاء الأموات من الأنبياء والصالحين - حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم مما يخالفه "(٢)

الأصل الرابع :

وجوب التفرقة بين الإطلاق والتعيين ، وهى قاعدة عظيمة ، وأصل أصيل إمتاز به منهج أهل السنة والجماعة فى هذا الباب .

فقد يكون الفعل أو المقالة كفرا ، ويطلق القول بتكفير من قال تلك المقالة أو فعل ذلك الفعل ، ويقال : من قال كذا فهو كافر ، أو من فعل كذا فهو كافر ، لكن الشخص المعين الذى قال ذلك القول أو فعل ذلك الفعل لا يحكم بكفره ، حتى تقوم عليه الحجة التى يكفر تاركها .

وهذا الأمر مطرد فى نصوص الوعيد عند أهل السنة والجماعة ، فلا يشهد على معين من أهل القبلة بأنه من أهل النار ، لجواز أن لا يلحقه الوعيد ، لفوات شرط ، أو بثبوت مانع .(٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/١٦٥ - ١٦٦
(٢) الرد على البكرى ص ٣٧٦
(٣) انظر المسائل الماردينية ، وانظر مجموع الفتاوى ٣٥/١٦٥ - ١٦٦ ، ١٠/٣٧٠ - ٣٧٢ .

ويتفرع عن هذا الأصل فروع كثيرة أهمها : -

الفرع الأول :

اختلاف التكفير باختلاف حال الأشخاص ، يقول شيخ الإسلام :

" فـ " التكفير " يختلف بحسب إختلاف حال الشخص ، فليس كل مخالىء ولا مبتدع ، ولا جاهل ولا ضال ، يكون كافرا ، بل ولا فاسقا ، بل ولا عاصيا "(١)

ولقد طابق شيخ الإسلام هذه القاعدة عمليا مع خصومه ومخالفيه فقال - منصفا - بعد أن ذكر اعتقاد الفرقة الناجية :" وليس كل من خالف في شيء من هذا الإعتقاد يجب أن يكون هالكا ، فإن المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا يغفر الله خطأه ، وقد لايكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة ، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته ، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول ، والقانت ، وذو - الحسنات الماحية ، والمغفور له وغير ذلك . فهذا أولى ، بل موجب هذا الكلام أن من إعتقد ذلك نجا في هذا الإعتقاد ، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا ، وقد لا يكون ناجيا "(٢)

الفرع الثاني :

أن المعين إذا ثبت إسلامه ، لم يكفر بفعل أو قول صدر منه إلا بعد إقامة الحجة عليه ، وإزالة الشبهة عنه .

يقول شيخ الاسلام : " وليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة ،وتبين له المحجة ، ومن

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/١٨٠ وكلام شيخ الاسلام هذا ذكره عند مناقشة اختلاف الفرق في " مسألة القرآن " وانظر مبحثا جيدا حول التفريق بين الأشخاص في مسألة التكفير كتاب " طريق الهجرتين " لابن القيم ص٤١٢-٤١٤ط دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الاولى سنة ١٤٠٢هـ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣/١٧٩

ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك ، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة ، وإزالة الشبهة "(١)

وقال في موضع آخر :" تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها ، وإلا فليس كل من جهل شيئا من الدين يكفر "(٢)

ثم ذكر أمثلة لتطبيق هذه القاعدة ، ومنها قصة الرجل من بني اسرائيل الذي أمر أولاده أن يحرقوه إذا مات ثم يسحقوه ويذروه في اليم (٣) ، ثم قال معقبا على ذلك : " فهذا اعتقد أنه إذا فعل ذلك لا يقدر الله على إعادته وأنه لا يعيده أو جوّز ذلك وكلاهما كفر ، ولكن كان جاهلا لم يتبين له الحق بيانا يكفر بمخالفته فغفر الله له "(٤)

الفرع الثالث :

ذكر شيخ الإسلام موانع كثيرة يكفى كل واحد منها أن يكون سببا في عدم لحوق الوعيد بالشخص المعين ، ومن ذلك قوله : " فإن المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا يغفر الله خطأه ، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة ، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته "(٥)

وقال في موضع آخر : " إن ما ثبت قبحه من البدع وغير البدع من المنهي عنه في الكتاب والسنة ، أو المخالف للكتاب والسنة إذا صدر عن شخص من الأشخاص فقد يكون على وجه يعذر فيه ، إما لاجتهاد أو تقليد يعذر فيه ، وإما لعدم قدرته "(٦).

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٦٥/١٢ - ٤٦٦
(٢) الرد على البكري ص ٢٥٨
(٣) الحديث أخرجه البخاري في : ٩٧-كتاب التوحيد . انظر الفتح (٤٦٦/١٣ ، ح : ٧٥٠٨) .
(٤) الرد على البكري ص ٢٥٩
(٥) مجموع الفتاوى ١٧٩/٣
(٦) مجموع الفتاوى ٣٧٠/١٠-٣٧٢

وقال بعد أن ذكر أصلا من أصول العقيدة ، وهو أنه قد يقترن بالحسنات سيئات إما مغفورة ، أو غير مغفورة : " وإنما قررت هذه "القاعدة " ليحمل ذم السلف والعلماء للشيء على موضعه ، ويعرف أن العدول عن كمال خلافة النبوة المأمور به شرعا ، تارة يكون لتقصير بترك الحسنات علما وعملا ، وتارة بعدوان بفعل السيئات علما وعملا ، وكل من الأمرين قد يكون عن غلبة ، وقد يكون مع قدرة .

فا " الأول " : قد يكون لعجز وقصور ، وقد يكون مع قدرة وامكان و" الثاني" : قد يكون مع حاجة وضرورة ، وقد يكون مع غنى وسعة ، وكل واحد من العاجز عن كمال الحسنات ، والمضطر إلى بعض السيئات معذور" (١)

وسوف أقدم بعرض ما توسع فيه شيخ الإسلام من الأمور السابقة في الفروع التالية :

الفرع الرابع :

أن أهل البدع إذا لم يعلموا أن ما هم عليه مخالف لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولو علموا ذلك لرجعوا ، كان خطؤهم مغفورا لهم ، وإن كانوا بذلك ناقصي الإيمان مبتدعين .

قال شيخ الإسلام في معرض كلامه عن أهل البدع : " وإن كان هؤلاء لهم من الإيمان نصيب وافر من اتباع السنة ، لكن فيهم من النفاق والبدعة بحسب ما تقدموا فيه بين يدي الله ورسوله ، وخالفوا الله ورسوله ، ثم إن لم يعلموا أن ذلك يخالف الرسول ، ولو علموا لما قالوه لم يكونوا منافقين ، بل ناقصي الإيمان مبتدعين ، وخطؤهم مغفور لهم لا يعاقبون عليه وإن نقصوا به " (٢)

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٣٦٤ - ٣٦٥
(٢) مجموع الفتاوى ١٣/٦٢-٦٣

الفرع الخامس :

وحول مانع العجز واعتبار القدرة العلمية فى مسائل الإعتقاد يقول شيخ الإسلام : " ينبغى أن يعلم أن للقلوب قدرة فى باب العلم والإعتقاد العلمى ، وفى باب الإرادة والقصد ، وفى الحركة البدنية أيضا .

فالخطأ والنسيان هو من باب العلم يكون : إما مع تعذر العلم عليه ، أو تعسره عليه "(١)

ثم ذكر الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة على أن الشريعة جاءت للتيسير على العباد ورفع الحرج عنهم . ثم قال : " وإذا كان كذلك فما عجز الإنسان عن علمه واعتقاده حتى يعتقد ويقول ضده خطأ أو نسيانا ، فذلك مغفور له "(٢)

وقال فى موضع آخر : " والحجة على العباد إنما تقوم بشيئين : بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله ، والقدرة على العمل به .

فأما العاجز عن العلم كالمجنون أو العاجز عن العمل فلا أمر عليه ولا نهى ، وإذا انقطع العلم ببعض الدين ،أو حصل العجز عن بعضه : كان ذلك فى حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله كمن انقطع عن العلم بجميع الدين أو عجز عن جميعه كالمجنون مثلا ، وهذه أوقات الفترات "(٣)

الفرع السادس :

أن العذر فى الأمور الدقيقة والخفية هو آكد فى حق الأمة الإسلامية لاسيما مع الإجتهاد فى طلب الحق وحسن القصد

---

(١) الاستقامة ١/٣٨
(٢) الاستقامة ١/٢٩
(٣) مجموع الفتاوى ٢٠/٥٩.

يقول شيخ الإسلام : " ولا ريب أن الخطأ في دقيق العلم مغفور للأمة وإن كان ذلك في المسائل العلمية ، ولولا ذلك لهلك أكثر فضلاء الأمة . وإذا كان الله يغفر لمن جهل تحريم الخمر لكونه نشأ بأرض جهل ، مع كونه لم يطلب العلم ، فالفاضل المجتهد في طلب العلم بحسب ما أدركه في زمانه ومكانه إذا كان مقصوده متابعة الرسول بحسب إمكانه هو أحق بأن يتقبل الله حسناته ، ويثيبه على اجتهاداته ، ولا يؤاخذه بما أخطأ ، تحقيقا لقوله . (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)(١)(٢)

الأصل الخامس :

أن الجلاء والخفاء في المسائل الإعتقادية من الأمور النسبية ، فقد يكون الأمر ظاهرا جليا في زمن ما أو في مكان ما ، ويكون خفيا دقيقا في زمن آخر ، أو في مكان آخر .

ذكر شيخ الإسلام أنه وقعت بعض المخالفات في بعض المسائل الدقيقة الخفية في القرون الأولى الفاضلة ، مع استفراغ من وقعت منهم المخالفة الوسع في طلب الحق ، ثم قال : " ولم يكن منهم مثل هذا في جلي الأمور وجليلها ، لأن بيان هذا من الرسول كان ظاهرا بينهم فلا يخالفه إلا من يخالف الرسول وهم معتصمون بحبل الله يحكمون الرسول فيما شجر بينهم ، لا يتقدمون بين يدي الله ورسوله ، فضلا عن تعمد مخالفة الله ورسوله .

فلما طال الزمان خفي على كثير من الناس ما كان ظاهرا لهم ، ودق على كثير من الناس ما كان جليا لهم ، فكثر في المتأخرين مخالفة الكتاب والسنة مالم يكن مثل هذا في السلف

---

(١) البقرة آية : ٢٨٦
(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/١٦٥- ١٦٦ وانظر ١٣/٦٤

وإن كانوا مع هذا مجتهدين معذورين يغفر لهم خطاياهم ،ويثيبهم على اجتهادهم "(١)

الأصل السادس :

من الأصول العظيمة التى أشار إليها شيخ الإسلام فى موضوع العذر بالجهل للشخص المعين ، أنه قد يتعذر على شخص ما سلوك الطريق المشروعة إلا بنوع من البدعة ، فإنه فى هذه الحالة لا يلام ولا يعاب عليه ، إلا إذا أمكنه أن يسلك الطريق الصحيح بلا ابتداع .

يقول رحمه الله : " وقد يتعذر أو يتعسر على السالك سلوك الطريق المشروعة المحضة إلا بنوع من المحدث لعدم القائم بالطريق المشروعة علما وعملا " فإذا لم يحصل النور الصافى ،بأن لم يوجد إلا النور الذى ليس بصاف ، وإلا بقى الإنسان فى الظلمة ، فلا ينبغى أن يعيب الرجل وينهى عن نور فيه ظلمة ، إلا إذا حصل نور لا ظلمة فيه ، وإلا فكم ممن عدل عن ذلك يخرج عن النور بالكلية ، إذا خرج غيره عن ذلك ، لما رآه فى طرق الناس من الظلمة "(٢)

الأصل السابع :

ومن أصول أهل السنة والجماعة فى هذا الباب ، والذى عليه سلف الأمة ، وهو قول الفقهاء والأئمة أنهم لا يكفرون ولا يفسقون ولا يؤثمون أحدا من المجتهدين المخطئين ،لا فى مسألة عملية ولا علمية ، ولا يفرقون فى ذلك بين مسائل الفروع والأصول ، وإنما أحدث هذا التقسيم المبتدع أهل الكلام والمعتزلة ، والجهمية ومن سلك سبيلهم (٣).

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/٦٤-٦٥

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/٣٦٤-٣٦٥ ومن امثلة ذلك الاحوال التى ترد على بعض العباد مما توجب زوال عقل احدهم وعلمه مما قد يوجب ،عجزه عن أداء واجبه أو وقوع فى محرم ،بشرط أن يكون السبب غير محرم . انظر مجموع الفتاوى ١٠/٣٤٩

(٣) مجموع الفتاوى ١٩/٢٠٧وانظر ١٠/٣٧٠ - ٣٧٢

ويتفرع عن ذلك الأصل أنه ليس كل من اجتهد واستدل يتمكن من معرفة الحق(١) ، وهذا بخلاف منهج أهل البدع في هذه المسألة حيث يجعلون الخطأ والإثم متلازمين .

وهم على قسمين في هذه المسألة : أحدهما : قول القدرية والمعتزلة وطائفة من أهل الكلام الذين يقولون : إن الله قد نصب على الحق في كل مسألة دليلا يعرف به ، يتمكن كل من اجتهد واستفرغ وسعه أن يعرف الحق ، وكل من لم يعرف الحق في مسألة أصلية أو فروعية فإنما هو التفريط فيما يجب عليه لا لعجزه .(٢)

والثاني : قول الجهمية والأشعرية ، وكثير من الفقهاء ، واتباع الائمة الأربعة وغيرهم ، الذين يقولون إن المجتهد المستدل قد يمكنه أن يعرف الحق وقد يعجز عن ذلك ، لكن إذا عجز عن ذلك فقد يعاقبه الله تعالى وقد لا يعاقبه ، فإن له أن يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء بلا سبب أصلا ، بل لمحض المشيئة .(٣)

ويتفرع عن هذا الأصل فروع أهمها (٤) : -

الفرع الأول :

أن المجتهد إذا اجتهد في مسألة ما ، واتقى الله ما استطاع ، كان ما توصل إليه هو الذي كلفه الله إياه ، وإن أخطأ فخطؤه مغفور له ، ولا يعاقبه الله على ذلك الخطأ خلافا لأهل البدع .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٩/٢١٣ وانظر ٢٠/١٩-٣٣ لمزيد من التفصيل حيث بسط الكلام عن المسألة أكثر . وانظر الاستقامة ١/٢٦ - ٢٧

(٢) انظر مجموع الفتاوى ١٩/٢٠٤

(٣) المصدر السابق ١٩/٢٠٦

(٤) مما ذكره شيخ الإسلام في بعض مصنفاته ووقفت عليه .

يقول شيخ الاسلام : - " فالمجتهد المستدل من إمام وحاكم وعالم وناظر ومفت وغير ذلك ، إذا اجتهد واستدل فاتقى الله ما استطاع كان هذا هو الذى كلفه الله إياه ، وهو مطيع لله مستحق للثواب إذا اتقاه ما استطاع ،

ولا يعاقبه الله ألبتة خلافا للجهمية المجبرة وهو مصيب ،بمعنى أنه مطيع لله لكن قد يعلم الحق فى نفس الأمر وقد لا يعلمه ، خلافا للقدرية والمعتزلة "(١)

الفرع الثانى :

أن الخطأ المغفور فى الإجتهاد هو فى المسائل العلمية والعملية على حدٍ سواء ، يقول شيخ الاسلام : " والخطأ المغفور فى الإجتهاد هو فى نوعي المسائل الخبرية والعلمية كما قد بسط فى غير موضع ، كمن اعتقد ثبوت شيء لدلالة آية أو حديث ، وكان لذلك ما يعارضه ويبين المراد ولم يعرفه " (٢)

الفرع الثالث:

أن الصديقين ، والشهداء ، والصالحين ليسوا بمعصومين عند أهل السنة والجماعة ، ولا يشترط أن تكون كل أقوالهم صحيحة ، ولا كل اعمالهم سنة ، وما اجتهدوا فيه فهم بشر قد يصيبون وقد يخطئون ، وما أخطأوا فيه فخطؤهم مغفور .

يقول شيخ الاسلام : " فأما الصديقون ، والشهداء والصالحون فليسوا بمعصومين . وهذا فى الذنوب المحققة . وأما ما اجتهدوا فيه : فتارة يصيبون ، وتارة يخطئون . فإذا اجتهدوا فأصابوا فلهم أجران ، وإذا اجتهدوا وأخطئوا فلهم أجر على اجتهادهم وخطؤهم مغفور لهم ."(٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩/٢١٦ - ٢١٧

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/٣٣ وقد ضرب شيخ الاسلام امثلة كثيرة جدا لهذه المسألة انظر صـ ٣٣ - ٣٦ وانظر الاستقامة ١/٢٦-٢٧ حول هذه المسألة .ومن امثلة ذلك من اعتقد ان الميت لايعذب ببكاء الحى ، لاعتقاده ان قوله تعالى(ولا تزر وازرة وزر أخرى) يدل على ذلك .

(٣) مجموع الفتاوى ٣٥/٦٩ - ٧٠

ويقول في موضع آخر : " فالغرض أن يعرف الدليل الصحيح ، وإن كان التارك له : قد يكون معذورا لاجتهاده ، بل قد يكون صديقا عليما ، فليس من شرط الصديق أن يكون قوله كله صحيحا ، وعمله كله سنة ، إذ كان يكون بمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم " (١)

الفرع الرابع :

أهمية التفريق بين من اجتهد في مسألة ما وكان قصده الحق وإن أخطأ ، وبين غيره كمن عاند بعد ما تبين له الحق في المسألة وأصر على مخالفة الأدلة والنصوص أو قصر في طلب الحق ، أو أعرض عن طلبه لسبب من الأسباب فالأول معذور ومغفور خطؤه بخلاف الحالات الأخرى فإنهم من أهل الوعيد .

يقول شيخ الاسلام - رحمه الله - : " وأما " التكفير" فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقصد الحق ، فاخطأ . لم يكفر ، بل يغفر له خطأه . ومن تبين له ما جاء به الرسول ، فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، واتبع غير سبيل المؤمنين : فهو كافر . ومن اتبع هواه ، وقصر في طلب الحق ، وتكلم بلا علم : فهو عاص مذنب . ثم قد يكون فاسقا ، وقد تكون له حسنات ترجح على سيئاته "(٢)

وقال في موضع آخر : " فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله أو اوجبه بقوله أو بفعله ، من غير أن يشرعه الله - فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله . ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذ شريكا لله شرع من الدين مالم يأذن به الله . نعم ،قد يكون

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٥٩٩
(٢) مجموع الفتاوى ١٢/١٨٠

متأولا فى هذا الشرع ، فيغفر له لأجل تأويله ، إذا كان مجتهدا الإجتهاد الذى يعفى معه عن المخطىء ، ويثاب أيضا على اجتهاده ، لكن لا يجوز إتباعه فى ذلك ، كما لا يجوز اتباع سائر من قال أو عمل ، قولا أو عملا ، وقد علم الصواب فى خلافه ، وإن كان القائل أو الفاعل مأجورا أو معذورا "(١)

وقال : " فمن أطاع أحدا فى دين لم يأذن الله به . من تحليل ، أو تحريم ، أو استحباب أو إيجاب . فقد لحقه من هذا الذم(٢) نصيب ، كما يلحق الآمر الناهى . ثم قد يكون كل منهما معفوا عنه فيتخلف الذم لفوات شرطه ، أو وجود ما نعه وإن كان المقتضى له قائما ، ويلحق الذم من تبين له الحق ، فتركه أو قصر فى طلبه فلم يتبين له ، أو أعرض عن طلبه ، لهوى أو كسل ونحو ذلك "(٣)

وقال : " فمن كان خطوءه لتفريطه فيما يجب عليه من اتباع القرآن والإيمان مثلا ، أو لتعديه حدود الله بسلوك السبيل التى نهى عنها ، أو لاتباع هواه بغير هدى من الله فهو الظالم لنفسه ، وهو من أهل الوعيد ، بخلاف المجتهد فى طاعة الله ورسوله بالنا وظاهرا ، الذى يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله ، فهذا مغفور له خطوءه "(٤)

وفى كلامه (٥) عن المواسم من تخصيص وقت بصوم ، أو بصلاة ، قال شيخ الاسلام : " لا ريب أن من فعلها متأولا مجتهدا أو مقلدا كان له أجر على حسن قصده وعلى علمه ، من حيث ما فيه من المشروع

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٥٨٠
(٢) يقصد الذم المذكور فى الآية (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) .
(٣) مجموع الفتاوى ٤/١٩٤ - ١٩٦
(٤) درء تعارض العقل والنقل ١/٥٩
(٥) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٦٠٦

وكان ما فيه من المبتدع مغفور له ، وإذا كان في اجتهاده أو تقليده من المعذورين ، وكذلك ما ذكر فيها من الفوائد كلها ، إنما حصلت لما اشتملت عليه من المشروع في جنسه ،كالصوم والذكر ، والقراءة ، والركوع ، والسجود ، وحسن القصد في عبادة الله وطاعته ودعائه ، وما اشتملت عليه من المكروه ، انتفى بموجبه بعفو الله عنه ، لاجتهاد صاحبها أو تقليده "(١)

---

(١) إقتضاء الصراط المستقيم ٦٠٩/٢

ويمكن تلخيص كلام شيخ الإسلام ابن تيميه فى هذه المسألة فى النقاط التالية : -

الأولى :
أهل السنة والجماعة أهل علم ورحمة وعدل ، يعلمون الحق ، ويرحمون الخلق ، ويعدلون مع من خالفهم ، ولا يكفرونه بمجرد المخالفة ، لأن التكفير حكم شرعى وهو حق لله تعالى .

الثانية :
يجب على المسلم أن لا يطيع أحدا من الخلق فى أمر من الأمور التعبدية التى لا دليل عليها ، لا سيما إذا صادمت نصا من النصوص الشرعية ،بل الواجب عليه أن يعبد الله بما شرع لا بالمحدثات والبدع .

الثالثة :
اختلاف الأزمنة والأمكنة بحسب ظهور السنة وآثار الرسالة من عدمه ،وأن الرجل يثاب بما معه من الإيمان وإن قل وذلك فى أوقات الفترات وأمكنة الفترات .

وتبعا لذلك فإن الجلاء والخفاء فى المسائل العلمية هو من الأمور النسبية ، فقد تكون المسألة ظاهرة جلية فى زمن ما أو فى مكان ما ، وتكون خفية ودقيقة فى زمن آخر أو فى مكان آخر .

الرابعة :
وجوب التفريق بين الإطلاق والتعيين فى مسألة "الأسماء والأحكام " ، فقد يكون الفعل أو المقالة كفرا ، ويطلق القول بتكفير من قال بها أو فعلها ، ولكن لا يحكم بالكفر على الشخص المعين الذى صدر منه الفعل أو القول إلا باستيفاء الشروط ، وانتفاء الموانع ، وفى هذه الحالة ينبغى مراعاة الامور التالية :-

الأول :
- - - التفريق بين من كان قصده طلب الحق ، ونيته حسنة ، لكنه لم يتبين له الحق فاخطأ لعجزه عن العلم أو العمل وبين من تبين له الحق فعاند وتركه ،أو قصر في طلبه للعلم فلم يتبين له الحق بسبب ذلك ، أو أعرض عن طلب الحق لسبب ما كالهوى والكسل وغير ذلك .

الثاني :
- - - - - أن المعين إذا ثبت اسلامه بيقين لم يكفر بفعل أو قول صدر عنه إلا بعد إقامة الحجة عليه ، وإزالة الشبهة عنه .

الخامسة :
- - - - - من أصول أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون ولا يفسقون ولا يؤثمون أحدا من المجتهدين المخطئين ، ويقولون : إنه ليس كل من اجتهد واستدل يتمكن من معرفة الحق ولذلك يجب مراعاة الأمور التالية في حق المجتهدين في طلب الحق :

الأول :
إذا اجتهد المجتهد في مسألة ما ، واتقى الله ما استطاع فاخطأ ، فخطؤه مغفور .

الثاني :
إن الخطأ المغفور في الاجتهاد هو في المسائل العلمية والعملية على حد سواء .

الثالث :
أن البشر ليسوا بمعصومين ، وما اجتهدوا فيه فقد يصيبون وقد يخطئون ،وما أخطأوا فيه فخطؤهم مغفور.
يقول تعالى : (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)(١)
ويقول سبحانه (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) (٢)

(١) البقرة آية ٢٨٦
(٢) التغابن آية ١٦

الفصل الثالث

اتباع الهوى

الفصل الثالث

اتباع الهوى

عرّف أهل اللغة الهوى بأنه : " محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه "(١) أما في الإصطلاح فقد عرفه الجرجاني بقوله : " ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع "(٢)

ويعتبر اتباع الهوى من أهم الأسباب في نشأة الكثير من الفرق الضالة والطوائف المنحرفة ، لأن أصحاب هذه الفرق قدموا أهواءهم على الشرع أولا ، ثم حاولوا جاهدين أن يستدلوا بالشريعة على أهوائهم ، وحرّفوا النصوص والأدلة لتوافق ما هم عليه من البدع ،فلم يأخذوا الأدلة الشرعية ماخُذ الافتقار إليها ، بل اعتمدوا على آرائهم وعقولهم في تقرير ما هم عليه ، ثم جعلوا الشريعة مصدرا ثانويا ، نظروا فيها بناء على ما قرروه وأصلوه ، ولأجل ذلك كان علماء السلف الصالح يطلقون على أهل البدع وفرق الضلال لفظة " أهل الأهواء "(٣) بل كانوا يطلقونها على كل من خرج عن موجب الكتاب والسنة من العلماء والعباد .(٤)

وجميع البدع والمعاصي إنما تنشأ من تقديم هوى النفوس على ما يحبه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم (٥)

---

(١) لسان العرب ٣٧١/١٥

(٢) التعريفات ص ٢٥٧ ط دار الكتب العلمية .

(٣) انظر الإعتصام ١٧٦/٢

(٤) انظر مجموع الفتاوى ١٣٣/٢٨

(٥) انظر جامع العلوم والحكم ص ٣٦

ولذلك فكل مخالف لما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من الأوامر والمناهي ، والعبادات . والطاعات إنما يكون متبعا لهواه ، ولا يكون متبعا لدين شرعه الله تبارك وتعالى (١)

والهوى من الأسباب التي لأجلها خالفت كثير من الأمم أنبياءها ، فاستكبروا ولم يقبلوا الحق والهدى والنور الذي جاءتهم به أنبياؤهم عليهم السلام .

قال تعالى : (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ) (٢)

وقال تعالى : (كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ) (٣)

وكل من أعرض عن الهدى والحق الذي جاءت به الرسل عليهم السلام فقد اتبع الهوى ، يقول تعالى . (إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ) (٤) .

وقال تعالى : (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ) (٥)

ثم بين سبحانه وتعالى ضلال من كانت هذه حاله من الإعراض عن الهدى والوحي وعدم اتباع الحق ، واتباع هواه بغير حجة مأخوذه من كتاب الله فقال سبحانه :(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (٦)

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٠/١٧٠ - ١٧١
(٢) البقرة : ٨٧
(٣) المائدة : ٧٠
(٤) النجم : ٢٣ وانظر سورة الروم : ٢٩ ، والقمر: ٣
(٥)،(٦) سورة القصص آية: ٥٠

يقول الشيخ السعدى - رحمه الله -: " فهذا من أضل الناس ، حيث عرض عليه الهدى ، والصراط المستقيم ، الموصل إلى الله وإلى دار كرامته ، فلم يلتفت إليه ، ولم يقبل عليه . ودعاه هواه إلى سلوك الدارق الموصلة إلى الهلاك والشقاء ، فاتبعه ، وترك الهدى" (١)

ومن أطاع هواه فسلك طريق الباطل والضلال ،وأعرض عن طريق الحق والهدى فقد اتخذ إلهه هواه ، يقول سبحانه : (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً) (٢)

وقال سبحانه : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) (٣)

يقول ابن كثير - رحمه الله - : " وقوله (وأضله على علم) يحتمل قولين: ((أحدهما)) وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك ((والآخر)) وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه "(٤)

ولقد نهى الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم عن اتباع أهواء المشركين الضالين المكذبين فى آيات كثيرة من القرآن الكريم.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٣٢/٦
(٢) سورة الفرقان : ٤٣
(٣) الجاثية : ٢٣
(٤) تفسير القرآن العظيم ١٥٠/٤

قال سبحانه : (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا)(١) .
وقال سبحانه : (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (٢)

ولقد نزّه الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن النطق بالهوى أو أن يقول شيئا من عند نفسه في أمر الدين فقال سبحانه: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)(٣)

قال ابن كثير : " وقوله تعالى (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ) هذا هو المقسم عليه ، وهو الشهادة للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه راشد تابع للحق ليس بضال ، وهو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم ، والغاوي هو العالم بالحق العادل عنه قصدا إلى غيره ، فنزّه الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود ، وهي علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه ، بل هو صلاة الله وسلامه عليه وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ولهذا قال تعالى (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) أي ما يقول قولا عن هوى وغرض (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) أي إنما يقول ما أُمر به يبلغه إلى الناس كاملا موفرا من غير زيادة ولا نقصان "(٤)

---

(١) الأنعام آية ١٥٠
(٢) الجاثية آية ١٨ وانظر الآيات: البقرة ١٢٠ ، ١٤٥ .
المائدة : ٤٨ ، ٤٩ ، الأنعام : ٥٦ ، الرعد ٣٧، الشورى: ١٥ .
(٣) سورة النجم آية ١ – ٣ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/٢٤٦ – ٢٤٧

وقال الشيخ السعدى . " (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ) أى : ليس نطقه صادرا عن هوى نفسه . (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) أى : لا يتبع الا ما أوحى اليه ، من الهدى والتقوى ، فى نفسه ، وفى غيره .

ودل هذا ، على أن السنة وحى من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى (وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) وأنه معصوم فيما يخبر عن الله تعالى وعن شرعه ، لأن كلامه لا يصدر عن هوى ، وإنما يصدر عن وحى يوحى"(١)

ولقد نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن اتباع الهوى فقال سبحانه : (فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ) (٢)

وأمر نبيه داود عليه السلام بأن يحكم بين الناس بالحق ونهاه عن اتباع الهوى فقال سبحانه : (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) (٣)

يقول شيخ الاسلام : " ونفس الهوى - وهو الحب والبغض الذى فى النفس - لا يلام عليه ، فان ذلك قد لا يملك ، وإنما يلام على اتباعه "(٤)

وقال فى موضع آخر :" ومجرد الحب والبغض هوى ، لكن المحرم اتباع حبه وبغضه بغير هدى من الله "(٥)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٢٠٤/٧
(٢) النساء: آية ١٣٥
(٣) سورة ص: آية ٢٦
(٤) الفتاوى ١٣١/٢٨
(٥) الفتاوى ١٣٣/٢٨

ولذلك كان عدم اتباع الهوى شرطا من شروط دخول الجنة ، حيث قال تعالى : (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ)(١)

ونهى النفس عن الهوى يمثل الحجر الأساسي للعبودية والطاعة والامتثال . فالهوى هو الباعث القوى وراء كل معصية وتجاوز للحدود التي نهى العبد عن تعديها ، فيقع بسبب ذلك في الطغيان .

والهوى هو أصل كل شر ، وأساس كل بلوى ومعتمد كل بدعة وإحداث في الدين . ولذلك فهو أشد وطأة من الجهل ، لأن الجهل ميسور علاجه وفي استطاعة من تلبس به ، وذلك بطلب العلم والتفقه في الدين ، أما الهوى في أثناء طلب العلم أو بعد تحصيله فهو الآفة الخطيرة التي تحتاج إلى مجاهدة النفس ، وعلاج طويل الأمد . ولم يؤاخذ الله عز وجل الإنسان على ذات الهوى الذي هو مجرد الحب والبغض ، فهو سبحانه يعلم أن هذا ليس مقدور هذا المخلوق الضعيف ولا وسعه . ولكنه سبحانه يؤاخذه ويحاسبه على اتباعه الهوى ومخالفته للحق إذا تبين ، وللحجة إذا قامت دلائلها فان ذلك يقوده إلى مهاوي الضلال . قال تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ)(٢) وقال سبحانه :(وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ)(٣) ولذلك أمر الله تعالى عباده بنهي النفس عن الهوى وكبحها عن شهواتها ومجاهدتها وأن يستعينوا في تحقيق ذلك

(١) النازعات آية ٤٠
(٢) الصف آية ٥
(٣) الانعام آية ١١٠

بالخوف والخشية من ربهم الجليل ، وكتب لهم الجنة مثابة ومأوى بهذا الجهاد الشاق (١)

ومن التمس الهدى في غير الوحي المنزل من عند الله فقد ضل ضلالا مبينا ، ومن كانت أقواله وأفعاله مبنية على أخذ ما يحبه هو ، وترك ما يكرهه ويبغضه بلا حجة ولا برهان فقد اتبع هواه " فإن اتباع الإنسان لما يهواه هو أخذ القول والفعل الذي يحبه ، ورد القول والفعل الذي يبغضه بلا هدى من الله " (٢) ، قال تعالى . (وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ)(٣)

وكما جاء ذم الهوى والنهي عنه في القرآن الكريم ،جاء ذلك أيضا في السنة النبوية ، فعن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ثلاث منجيات : خشية الله تعالى في السر والعلانية ، والعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الفقر والغنى ، وثلاث مهلكات : هوى متبع ، وشح مطاع ، وإعجاب المرء بنفسه "(٤)

---

(١) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب ٣٨١٩/٦ ط دار الشروق.

(٢) الفتاوى ١٨٩/٤ .

(٣) الأنعام : ١١٩

(٤) قال المنذري : " رواه البزار والبيهقي وغيرهما ،وهو مروي عن جماعة من الصحابة ، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال ، فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى " الترغيب ١٦٢/١" وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (ح ١٨٠٢/٤/٤١٢ - ٤١٦) واستقصى طرقه ، كما صححه في " صحيح الجامع الصغير "(ح : ٣٠٣٥ ،٣٠٤١ /٣/٦٥، ٦٧).

وقد كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من منكرات الأخلاق ، والأعمال والأهواء كما ثبت في الحديث الذي رواه زياد بن علاقة عن عمه قال : كان صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق ، والأعمال والأهواء"(١) وكان مما تخوفه النبي صلى الله عليه وسلم على أمته مضلات الأهواء ، كما جاء في حديث أبي برزة الأسلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن مما أخشى عليكم بعدي بطونكم وفروجكم ومضلات الأهواء " (٢)

ولذلك حذر أمته صلى الله عليه وسلم من أهل الأهواء وفرق الضلال فقد جاء في بعض روايات حديث الإفتراق التحذير من أهل الأهواء ، وذكر وصفهم من حديث معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا وإنه يخرج في أمتي قوم يهوون هوى يتجارى بهم ذلك الهوى كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يدع منه عرقا ولا مفصلا إلا دخله " (٣)

---

(١) أخرجه الترمذي وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح : ٢٨٤٠/٣/١٨٤)
وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة وقال الألباني إسناده صحيح (ح : ١٣ / ١/١٢)

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (ح : ١٤) وقال الشيخ الألباني : إسناده صحيح (١/١٢) وعزاه إلى الإمام أحمد ، والطبراني في " الصغير "

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (رقم : ٤٥٩٧)
وأحمد في " المسند " (٤/١٠٢)
وابن أبي عاصم في " السنة " (ح ١ ، ٢) وصححه الشيخ الألباني ، انظر تخريج السنة (١/٧) .

ويقول الشاطبي في بيان التشبيه الذي ورد في هذا الحديث : " وبيان ذلك أن داء الكلب فيه ما يشبه العدوى ، فإن أصل الكلب واقع بالكلب . ثم إذا عض ذلك الكلب أحدا صار مثله ولم يقدر على الإنفصال منه في الغالب إلا بالهلكة فكذلك المبتدع إذا أورد على أحد رأيه وإشكاله فقلما يسلم من غائلته ، بل إما أن يقع معه في مذهبه ويصير من شيعته ، وإما أن يثبت في قلبه شكا يطمع في الانفصال عنه فلا يقدر "(١)

ولذلك جاءت النصوص الكثيرة عن السلف الصالح في النهي عن مجالسة أهل البدع ، ومجادلتهم ، وفي ذلك مصلحتان:

الأولى : هجرهم الهجر الشرعي ، الذي يترتب عليه زجرهم وردعهم عن غيهم وضلالهم ، لعل في ذلك سبب لرجوعهم إلى الحق ، وعدم تماديهم في الباطل .

الثانية : حفظ دين المسلم الذي يعتزلهم ، ووقايته من التأثر ببدعهم وشبهاتهم التي يلقونها إلى الناس .

---

(١) الإعتصام ٢/٢٧٧

فالواجب على كل مسلم اتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك بتقديم محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وما فيه رضا الله ورسوله على هوى النفس ومراداتها كلها (١)

ولقد جاءت آثار كثيرة عن السلف الصالح فى ذم الهوى ، وفيما يلى أذكر بعضها .

عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : " ما فرحت بشيء من الإسلام أشد فرحا بأن قلبى لم يدخله شيء من هذه الاهواء "(٢)

ونعلم قيمة هذه الكلمة إذا عرفنا أن ابن عمر - رضى الله عنهما كان ممن عاصر ظهور بعض فرق الأهواء كالخوارج والرافضة والقدرية .

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : " أنتم فى زمان يقود الحق الهوى ، وسيأتى زمان يقود الهوى الحق ، فنعوذ بالله من ذلك الزمان "(٣)

وعن محمد بن سيرين من التابعين قال : " لو خرج الدجال لرأيت أنه سيتبعه أهل الأهواء "(٤)

وذلك لأن الدجال يلبس على الناس بما يلقيه عليهم من الشبهات ، وأهل الأهواء أسرع الناس انقيادا للشبهات .

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ٣٦٧
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ح : ٢٢٧)
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٠٨/١٩
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ح : ٢٣٥)

ولقد تكلم العلماء قديما وحديثا عن هذا الداء الخطير الذى هو اتباع المرء لهواه ، ومن ثم وقوعه فى الشبهات والشهوات إذا هو أطاع هوى نفسه ، ولم ينهها عن غيها ، ولم يجاهدها .

وتكلم العلماء كذلك عن علاج هذه الآفة ، مستنيرين فى ذلك بهدى الكتاب والسنة .

وقد مر معنا أن اتباع الهوى يكون فى الشهوات والشبهات. ولقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم أمته من اتباع الشهوات والوقوع فيها . فى أحاديث كثيرة أذكر بعضها .

فعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، وجلسنا حوله فقال " إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها "(١)

وعن كعب بن مالك الأنصارى - رضى الله عنه - عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه "(٢)

---

(١) متفق عليه أخرجه البخارى فى:كتاب الجنائز :(٧٢ - باب الصلاة على الشهيد) وانظر فتح البارى (٣/٢٠٩ / ح : ١٣٤٤) وأخرجه مسلم فى كتاب الزكاة - باب التحذير من الاغترار بزينة الدنيا انظر صحيح مسلم بشرح النووى (٧/١٤١) .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٣٧٦) وقال " حسن صحيح " والإمام أحمد (٣/٤٥٦ ، ٤٦٠) وابن حبان (٢٤٧٢ - موارد) ، والبغوى فى " شرح السنة " (١٤/٢٥٨) وقد شرح الحديث الحافظ بن رجب فى رسالة مستقلة مفيده وشافعة .

وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بأن الدنيا لا تسوى عند الله جناح بعوضه ، وأنها أهون على الله من الجدى الأسك الميت علينا ، وحذر أمته من فتنة النساء ،ومن فتنة المال ، وأخبر أمته بأن الجنة محفوفة بالمكاره وبأن النار محفوفة بالشهوات إلى غير ذلك من الاحاديث الكثيرة التى يذكرها العلماء فى كتب الزهد والورع.

وقد أشار بعض العلماء إلى أن التنافس على الدنيا من شرف وجاه ونحوه هو من الأسباب التى دعت أصحاب الأهواء إلى أن يتجادلوا فيما بينهم بالباطل ويؤلفوا كتب الضلال والأهواء والشبهات حيث قال بعضهم :

لولا التنافس فى الدنيا لما وضعت ∴ كتب التناظر لا المغنى(١) ولا العمد(١)

يحللون بزعم منهم عقدا ∴ وبالذى وضعوه زادت العقد.(٢)

وإذا كان هذا حال الشهوات فإن حال الشبهات أشد نسأل الله العافية .

يقول شيخ الاسلام : " واتباع الأهواء فى الديانات أعظم من اتباع الأهواء فى الشهوات "(٣)

ويكون اتباع الهوى فى الديانات بالإعراض عن العلم النافع ، والإعراض عن الهدى الذى جاءت به الرسل عليهم السلام .

---

(١) كتابان فى علم الكلام الأول:للقاضى عبد الجبار المعتزلى، والثانى:لأبى الحسن الأشعرى .

(٢) ذكرها شارح الطحاوية انظر صـ ٢٠٦ طـ المكتب الاسلامى الطبعة الثامنة .

(٣) مجموع الفتاوى ج ٢٨ /١٣٢

واتباع الهوى ، والخروج عن موجب الكتاب والسنة مخالف لمقاصد الشريعة " فإن المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه ، حتى يكون عبدا لله اختيارا ، كما هو عبد لله اضطرارا "(١)

وقد ذكر (٢) الإمام الشاطبي ثلاثة أدلة على المقصد الشرعي المذكور آنفا ، وهي على سبيل الاجمال :

الأول :

النص الصريح الدال على أن العباد خلقوا للتعبد لله ، والدخول تحت أمرة ونهيه .

الثاني :

ما دل على ذم مخالفة هذا القصد ، .

الثالث:

ما علم بالتجارب والعادات من أن المصالح الدينية والدنيوية لا تحصل مع الاسترسال في اتباع الهوى ، والمشي مع الأغراض .

ثم ذكر الشاطبي ثلاث قواعد تنبني على الأصل السابق وهي إجمالا : (٣)

الأولى

أن كل عمل كان المتّبعُ فيه الهوى بإطلاق ، من غير التفات إلى الأمر أو النهي أو التخيير ، فهو باطل بإطلاق .

---

(١) الموافقات ١٦٨/٢ وانظر الاعتصام ٣٣٧/٢ .
(٢) انظر الموافقات ١٦٩/٢ - ١٧٢
(٣) الموافقات ١٧٣/٢ - ١٧٦

الثانى :

أن اتباع الهوى طريق إلى المذموم ، وإن جاء فى ضمن المحمود ، لأنه إذا تبين أنه مضاد بوصفه لوضع الشريعة ، فحيثما زاحم مقتضاها فى العمل كان مخوفا .

الثالث :

إن اتباع الهوى فى الأحكام الشرعية مظنة لأن يحتال بها على أغراضه ، فتصير كالآلة المعدة لاقتناص أغراضه .

ومسالك الهوى كثيرة (١) ومداخله النفسية عديدة ، ولو تتبعنا نشأة كثير من فرق الأهواء ، لتبين لنا أن نشأتها إنما كان بسبب مسلك من مسالك الهوى الخفية ، ثم حاول أصحاب هذه الفرق البحث عن دليل شرعى ليبرروا لأنفسهم ولغيرهم صحة ما هم عليه (٢)

يقول الشاطبى : " المبتدع لابد له من تعلق بشبهة دليل ينسبها إلى الشارع ، ويدعى أن ما ذكره هو مقصود الشارع ، فصار هواه مقصودا بدليل شرعى فى زعمه "(٣)

وتنقسم الشبهات التى يتبع فيها الهوى بالنسبة للدليل الشرعى إلى ثلاثة أقسام (٤)

القسم الأول :

شبهة لا دليل عليها ألبتة فى الشريعة وهى تقرب صاحبها

---

(١) أشار إلى بعض هذه المسالك الشيخ عبدالرحمن بن يحيى اليمانى فى كتابه " القائد إلى تصحيح العقائد" انظر صـ ٢٦ .

(٢) انظر مقدمة فى أسباب الإختلاف صـ ٦٠

(٣) الإعتصام ١/١٢٤

(٤) انظر مقدمة فى أسباب الإختلاف صـ ٥٢ - ٥٣

للوقوع فى البدعة الحقيقية (١) ، وهى أخطر الأنواع ، ومن أمثلتها صوم الدهر وترك الطيبات التى أحلها الله تعبدا ونحو ذلك .

القسم الثانى :

شبهة عليها دليل مجمل ولكن ليس عليها دليل مخصوص ، وهى تجر صاحبها إلى الوقوع فى " البدعة الإضافية " فهى من جهة لها تعلق بالسنة لأنها مستندة إلى دليل عام مجمل ، ومن جهة أخرى لها تعلق بالبدعة لكونها لم تستند إلى دليل مخصوص . وأمثلتها كثيرة ومنها تخصيص الأيام الفاضلة بأنواع من العبادات التى لم يدل عليها دليل شرعى كصوم النصف من شعبان ، ومنها تخصيص هيئة معينة لعبادة شرعية مع عدم الدليل الشرعى لتلك الهيئة كالذكر والدعاء على هيئة الإجتماع .

القسم الثالث :

الشبهة التى تعرض من قبل المناط لا من قبل الدليل ، ويقع هذا الأمر عند إرادة تطبيق الحكم الشرعى على الواقع . وهذا يقع ممن يكون جاهلا بمقاصد الشريعة الإسلامية ، وليس عنده المقدرة الكافية لاستقصاء الأدلة وتمحيصها والنظر فيها ثم الترجيح بينها ، وبالتالى يقدم أمرا شرعيا على أمر شرعى آخر هو أولى منه بالتقدمه . ومن أمثلته الواضحة بدعة الخوارج قديما وحديثا ، الذين استغلوا بعض النصوص فى الوعيد - والتى وافقت هوى فى نفوسهم

---

(١) يعرف الشاطبى البدعة الحقيقية بقوله ." هى التى لم يدل عليها دليل شرعى لا من كتابٍ ولا سنةٍ ولا إجماعٍ ولا استدلالٍ معتبرٍ عند أهل العلم لا فى الجملةِ ولا فى التفصيلِ " الإعتصام ٢٨٦/١

فكفروا مخالفيهم ، ومن لم ينضم إليهم من المسلمين أفرادا وجماعات ، وقالوا بكفر مرتكب الكبيرة في الدنيا وبأنه خالد مخلد في النار في الآخرة .

ويقابل هذه البدعة بدعة المرجئة - قديما وحديثا (١) أيضا - الذين تمسكوا بنصوص الوعد دون النظر إلى نصوص الوعيد ، وقالوا بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب ولا معصية ولو كان هذا الذنب كفرا أو شركا ، وأن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ابتداءً ولو كان تاركا لفرائض الإسلام وأركانه .

وكالصوفية الذين يحتجون بالقدر فيتركون الأوامر الشرعية ، ويحتجون بالتوكل فيتركون الأخذ بالاسباب ، وكادعائهم أن - مجرد محبة النبي صلى الله عليه وسلم والتي لا عمل معها ولا متابعة كافية في نيل شفاعته صلى الله عليه وسلم .

وكالرافضة الذين يقدمون أقوال أئمتهم ولو خالفت الكتاب والسنة لادعائهم العصمة فيهم ، وكالمعتزلة الذين يحكمون العقل في النصوص والأدلة ، ويقدمون العقل على الشرع ، ويحرفون النصوص لتوافق أهواءهم وما هم عليه من ضلال وباطل ، كنفيهم للشفاعة والرؤية ونفيهم للصفات عموما وغير ذلك من أصولهم البدعية .

وهكذا بقية الفرق الضالة المنحرفة .

---

(١) من المعلوم أن فرقة المرجئة قد اندثرت ولكن بقي فكرها وآراؤها متغلغلا في عقائد المسلمين وتصوراتهم إلى يومنا هذا .
انظر " ظاهرة الارجاء في الفكر الاسلامي " للدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي رسالة دكتوراه : مقدمة لجامعة أم القرى سنة ١٤٠٥ - ١٤٠٦ هـ

والآن أعرض للجانب العلاجي لموضوع الهوى ، كما قدمه بعض علماء السلف رحمهم الله ، أو من تكلم في الموضوع من المتأخرين .

وأقول ابتداء إن في اتباع الكتاب والسنة وجعلهما المصدر الوحيد لتلقي أحكام الشرع ، ونبذ ما سواهما من الآراء والأهواء والمعقولات والمنامات والكشوفات والمواجيد ونحو ذلك ، يمثل العلاج الناجع لهذا الداء الخطير .

أما بالنسبة لما ذكره العلماء في هذا الباب فنجد الإمام الشاطبي - رحمه الله - يربط الموضوع بحجية الشريعة الإسلامية على الخلق أجمعين ، وأن الله عز وجل قد جعلها حجة عليهم بما فيهم الأنبياء والرسل عليهم السلام ، وأن الشرف إنما يكون باتباع أحكام هذه الشريعة ، وتحكيمها في الصغيرة والكبيرة من شئون الحياة كلها ، والاستنارة بنور الحق علما وعملا ظاهرا وباطنا ، وتحكيم الوحي على النفس وتلبية نداءه والانقياد والإذعان له حتى يصير العبد في علمه و عمله على وفقه ، وأن يجعله دالاً له على الصراط المستقيم .

وقد تمثلت هذه الصفات جميعها على أفضل وجه وأتمه في خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، ونال بذلك شرف العبودية الحقيقية لله عز وجل ، وامتدحه الله بهذه الصفة في أشرف المقامات وأرفعها كمقام الإسراء ، ومقام الإيحاء ، ومقام الدعاء ومقام التحدي .

وكان من شدة امتثاله صلى الله عليه وسلم وانقياده لأوامر ربه عز وجل بأن وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله

عنهـا بأن خلقـه القرآن ، وأنـزل الله عـز وجل فى شـأنه (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)(١)

والرسول صلى الله عليه وسلم قدوة لامته وأسوة طيبـة لها ، فقد أخبـر الله تعالى عباده بأن نبيه صلى الله عليه وسلم أسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر منهم ، وحـث سبحانه وتعالى عباده المؤمنين على اتباعه صلى الله عليه وسلم وأن ذلك سبب فى حصول محبة الله ومغفرته ،وحذرهـم من مخالفة أمره وسنته تحذيرا شديدا . (٢)

فحرى بالخلـق أجمعين : " أن تكون الشريعـة حجة حاكمـة عليهم ، ومنارا يهتدون بها إلى الحق ، وشرفهم إنما يثبـت بحسب ما اتصفوا به من الدخول تحت أحكامها والعمل بهـا قولا واعتقادا وعملا ، لا بحسب عقولهم فقـط ، ولا بحسب شرفهم فـى قومهم فقـط ،لأن الله تعالى انما أثبت الشرف بالتقوى لاغيرها لقوله تعالى . (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ "(٣) -(٤)

أما شيخ الاسلام ابن تيميه فيرى أن وقوع السيئات لا يكـون بسبب الهوى وحده ، وإنما إذا أضاف معه الجهل . وعـلل ذلك بأن صاحب الهوى إذا علم قطعا ضرر شىء ما وترجح لديه ، كان ذلك سببا فى انصراف نفسه عنه لأن الله عز وجل فطـر النفس على حب ما ينفعها ، وبغض ما يضرها .(٥)

وتبعا للتفصيل السابق فى أسباب اتباع الهوى ، يرى شيـخ الاسلام أن العلاج يكون بالتذكر والعلم والخشية فيقول : "وذلـك

---

(١) سورة ن آية ٣
(٢) انظر الاعتصام ٢/٣٣٧ - ٣٤١
(٣) الحجرات آية ١٣
(٤) الاعتصام ٢ /٣٤٠
(٥) انظر مجموع الفتاوى ١٤/١٨٩

لما ذكرناه من أن كل واحد من العلم بالحق الذي يتضمنه التذكر ، والذكر الذي يحدثه القرآن ، ومن الخشية المانعة من اتباع الهوى سبب لصلاح حال الإنسان ، وهو مستلزم للآخر إذا قوي على ضده ، فإذا قوي العلم والتذكر دفع الهوى ، وإذا اندفع الهوى بالخشية أبصر القلب وعلم "(١)

أما ابن القيم - رحمه الله- فقد أفرد باباً كاملا في الكلام عن معالجة هذا الداء وذلك في الباب الأخير من كتابه " روضة المحبين ونزهة المشتاقين "(٢)

وذكر خمسين طريقا للتخلص من داء الهوى لمن وقع فيه . منها العزيمة ، والصبر ، وشجاعة النفس ، والنظر في العواقب ، وإيثار لذة العفة وعزتها وحلاوتها على لذة المعصية ،والتفكر في أنه خلق لأمر عظيم لا يناله إلا بمخالفة الهوى ، وأنه إنما أعطي العقل ليميز بين النافع فيختاره والضار فيتركه وهذا هو الذي يميزه عن الحيوان البهيم ، وأن يأنف لنفسه من ذل طاعة الهوى ، وأن يأنف لنفسه أيضا أن يكون تحت قهر عدوه ، وأن يعلم أن الهوى ما خالط شيئا إلا أفسده ،وأن يعلم أن الشيطان ليس له مدخل على ابن آدم إلا من باب هواه ، وأن - اتباع الهوى من المهلكات ، وأنّ الهوى داء ، ودواؤه مخالفته ، وأن جهاد الهوى هو من أعظم أنواع الجهاد ، وأن من نصر هواه فسد عليه عقله ورأيه ، وان اتباع الهوى يوهن العزائم ومخالفته تقويها ، وأن مخالفة الهوى مطردة للداء عن القلب والبدن ، وأن مخالفة الهوى توجب شرف الدنيا وشرف الآخرة وعز الظاهر وعز الباطن(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٤٣/١٥

(٢) وقد طبع هذا الباب في كتاب خاص بعنوان " ذم الهوى واتباعه ضبط وتعليق وتخريج على حسن عبدالحميد ط المكتبة الإسلامية بالأردن ط اولى ١٤٠٨ هـ

(٣) ذم الهوى واتباعه ص ١٤ - ٤٠ بتصرف .

واتباع الهوى هو السبب المباشر فى مرض القلب ، ومرض القلب نوعان : مرض شهوة ، ومرض شبهة ، وأشدها ضررا مرض الشبهة ، وقد يشتد مرض القلب إلى أن يموت ، فلا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا ، وتنقلب موازينه فلا يميز بين السنة والبدعة ، بل لا يميز بين الحلال والحرام . ويموت إحساسه فلا يؤثر فيه قبح القبائح ، ولا يرى لمه الجهل بالحق ، ويعدل عن النافع المفيد إلى الضار المهلك .

ودواء القلب فى مخالفة الهوى وإن كان صعبا على النفس ، والصبر على ذلك ، وطلب العلم النافع ، وتغذيته بالإيمان ، والإستنارة بهدى الكتاب والسنة فهما أنفع الأدوية ، وفيهما الشفاء التام من جميع الأمراض والعلل (١)

ومن الباحثين المعاصرين من ذكر بعض الضوابط التى يستطيع المسلم من خلالها أن يجعل بينه وبين الهوى وقاية فلا يتردى فى مهاويه ، كما أنها علاج ناجع وبلسم شافى لمن ابتلى بشىء من الهوى وهذه الضوابط هى . اتباع الكتاب والسنة ، واتباع منهج السلف الصالح فى النظر والاستدلال ، واعتبار المتغيرات الواقعية ، والتقوى والإخلاص . (٢)

وسيأتى الكلام عن بعض هذه الضوابط بنوع من التفصيل فى الباب القادم من هذا البحث إن شاء الله تعالى .

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٧٤ - ٢٧٦

(٢) انظر مقدمة فى أسباب الاختلاف ص ٦٦

الفصل الرابع

تحكيم العقل وتقديمه على النصوص

الفصل الرابع

تحكيم العقل وتقديمه على النصوص

لا جدال ولا نزاع في أن الله تعالى قد كرم بني آدم بالعقل ، وجعله مناطا للتكليف ، وأثنى على أولي الألباب السليمة ، وأصحاب العقول النيرة ، وحث سبحانه في محكم كتابه على التفكر في الكون والنظر فيه ، والتدبر في آيات الله الكونية المنظورة ، كما حث وأمر عباده على التفكر والتدبر في آيات كتابه المنزلة المتلوة التي بعث بها خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم . كما أنه سبحانه أمر عباده بأعمال عقولهم لاصلاح الأرض وعمارتها لتحقيق مطلب الاستخلاف فيها .

والآيات في هذا الموضوع كثيرة جدا ، وأكتفي بايراد بعضها .

قال تبارك وتعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيلِ والنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ)(١)

وقال تعالى :(إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلبَابِ) (٢)

وقال تعالى : (كِتَابٌ أَنزَلنَاهُ إِلَيكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوآ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلبَابِ)(٣)

وقال تعالى : "(كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (٤)

وقال تعالى : (قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوْا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ)(٥)

---

(١) آل عمران آية ١٩٠
(٢) الرعد آية ١٩
(٣) ص آية ٢٩
(٤) يونس آية ٢٤
(٥) العنكبوت آية ٢٠

ولقد جعل الله تبارك وتعالى للعقول مجالا محدودا تعمل فيه ، فإذا تعدته كان ذلك من أصحابها ظلما ، وكان نتيجة ذلك التيه والضلال ، والتخبط والحيرة ، لا سيما إذا كان هذا التعدي في مجال الغيبيات التي لا تدرك بالعقول أصلا ، وكذا يتبع ذلك مجال العقائد والعبادات .

ومن نعمة الله على عباده - ونعمه كثيرة لا تحصى سبحانه - أن أرسل الرسل - عليهم السلام - ليدلوا البشرية على الطريق الموصل الى ربهم سبحانه ، وكيف يعبدوه ويدلعوه ، فما تركوا خيرا إلا ودلوا أممهم عليه ، وما تركوا شرا إلا وحذروهم منه فعليهم صلوات الله وسلامه أجمعين .

وقامت بإرسال الرسل الحجة على الخلق أجمعين ، قال تعالى (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)(١)

فمن أكبر التيه والضلال أن نوجه عقولنا ونعملها في أمور قد كفانا الله تعالى شأنها ، ونترك المجال الصحيح الذي أمرنا سبحانه بإعمالها فيه ، من تدبر آياته المنزلة ، والتفكر في مخلوقاته ، والتأمل فيما تصلح به أمور دنيانا وآخرتنا .

لذلك عندما ابتعد المسلمون عن أوامر الله ، وحصل لهم الترف الفكري الذي كان نتيجة انفتاح الدنيا وزينتها ، واتساع رقعة بلاد الإسلام ، أصبح كثير من العلماء يخوضون في مسائل الدين بمنهج دخيل غريب ، وأعرضوا عن منهج أسلافهم الأصيل ، فترجمت كتب اليونان ، وعلومهم من فلسفة ومنطق ونحوها

---

(١) النساء آية ١٦٥

فتأثر بها من تأثر من علماء المسلمين ، فأقبلوا عليها ، وأعجبوا بها ، وتبنوا معظم أفكارها ، وحاولوا التوفيق بينها وبين الإسلام فما أفلحوا ، وأجهدوا أنفسهم ، واستنفذوا طاقاتهم ابتغاء عرض العقيدة الإسلامية الصافية من خلال ذلك المنهج النشاز ، فشوهوا جمالها ، وعقدوا بساطتها ، وطمسوا معالمها ، وأذهبوا حسنها وبهاءها ، ووقع أولئك العلماء - الذين تأثروا بمنهج علم الكلام - في نفس الخطأ الذي وقع فيه الفلاسفة الذين قلدوهم من اعتماد العقل مصدرا للتلقي وجعلوا الشرع تابعا وخاضعا له .

وبالتالي كان هذا الأمر سببا في ظهور بعض الفرق الإسلامية التي حكمت العقل وجعلته مصدرا أوليا للتلقي ، وكان المعتزلة أول تلك الفرق .

ثم نشأت فرق أخرى تصدت للرد على تلك الفرق السابقة ، والتي حادت عن الصراط المستقيم ، ولكنها وقعت هي الأخرى في أخطاء كثيرة وجسيمة نتيجة استعمالها المنهج العقلاني في نفسه في الرد على الخصوم ، وعدم اعتمادها على المنهج السليم ، ويأتي الأشاعرة في مقدمة هذه الفرق .

ولو تمسك الجميع بالكتاب والسنة ، وجعلوهما المصدر الوحيد للتلقي ، وأعرضوا عما خالفهما ، واتبعوا منهج سلف هذه الأمة في فهم أحكام الدين أصوله وفروعه ، لما حصل الذي حصل ، ولكن ما وقعوا فيه كان نتيجة حتمية لتحكيم العقل في مجال غير المجال الذي خلق له .

يقول الشاطبي : " إن الله جعل للعقول في إدراكها حدا تنتهي إليه لا تتعداه ، ولم يجعل لها سبيلا إلى الإدراك في كل مطلوب " (١)

---

(١) الاعتصام ٣١٨/٢

ولذلك كانت النتيجة الحتمية لمن قدّم عقله أو عقل غيره على شرع الله التخبط والحيرة والشك والريبة نعوذ بالله من ذلك .

ونظرة فى كتب الفرق والملل والنحل ولا سيما كتاب"مقالات الإسلاميين " للأشعرى ، كفيلة بالخروج بالنتيجة السابقة التى أشرت إليها ، حتى ليهول المرء كثرة الإختلافات التىبين الفرق فى معظم أبواب الإعتقاد .

حتى اعترف بعضهم بهذا التخبط والحيرة فقال : " ومن الذى قال فى الإلهيات شيئا يُعتد به "(١)

وقد رجع بعض علماء الكلام فى آخر حياتهم وتابوا إلى الله عز وجل ، وندموا على ما كان منهم ، وتحسروا على إضاعة أعمارهم فى القيل والقال ، واعترفوا بخطأ الطريق الذى سارو فيه ، وأن منهج القرآن والسنة الذى سلكه السلف الصالح هو أفضل السبل ، ومن هؤلاء الجوينى والغزالى والرازى والشهرستانى .

ومنهم من أعلن رجوعه إلى مذهب السلف ، وأيده فى آخر كتبه كما هو الحال مع الأشعري الذى ألّف " الإبانة " و " مقالات الإسلاميين " و " رسالة إلىأهل الثغر" فى نصرة مذهب السلف ، وبيان فساد غيره .

وينبغى التنبيه على أن مسألة افتراض تعارض العقل والنقل وتقديم العقل على النقل بناء على مقدمات القانون الكلى ، هو أكبر مشكلة منهجية عانى منها أصحاب المنهج التوفيقى الذين حاولوا التوفيق بين منهج الإسلام النقى الناصع

---

(١) قائل هذا الكلام هو ابن رشد فى كتابه " تهافت التهافت" ٢/ ٥٤٧ طبعة دار المعارف - بمصر - الطبعة الثانية سنة ١٩٧١م . تحقيق الدكتور سليمان دنيا .

المنـــزل من عنـــد رب العالميـــن وبين فلسفـــة اليونـــان وآراء الصابئين المبنية على الوثنية والأساطير ، ولذلـــك وقع هؤلاء الناس في الحيرة والتخبـــط ،وكان من نتائج ذلـــك عدم ثبات منهجهم فتطور تطورات عجيبة أثارت إنتباه كل محقق وباحث .

وكان ظهور هذا المنهج التوفيقي بين الحق والباطل سببا في تفريق كلمة المسلمين ، وتحطيم وحدة المجتمع الكبير لأهـل السنة والجماعة . وكان من أسباب عظم جناية هـذا المنهـــج ، انتساب كثير من رؤوسه إلى السنة ، فاختلـــط الأمر علـــى جمـــهور الأمـة وعامة أفرادها ، وضعف وانقسم الولاء نتيجـــة لذلك في صفوف الأمـــة الإسلامية .(١)

وقد كان لهذا المنهج التوفيقي أثر كبير في إنحراف أصحابه عن عقيدة أهل السنة والجماعة في أهم مسائل الإعتقاد وأبوابه.(٢)

ومما تجدر الإشارة إليه أن الفخر الرازي أخذ فكرة تقديم العقل على النقل - بناء على ادعاء تعارضهما - عمن سبقـــه من علماء الكلام (٣) ، كالغزالي والباقلاني ، والجويـــنـــي ، ثم وضع لهذه المسألة قانونا أسماه " القانون الكلـــي" وبثه في كثير من كتبه .(٤) فجاء من بعده ، وأخذ بقانونـــه هذا ماخذ التسليم ، حتى أصبح أصلا من أصول المذهب الأشعري وغيره.

---

(١) انظر " ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي " ص ٢٩٨-٣٠٣ - للدكتور سفر الحوالي - رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في جامعة أم القرى ١٤٠٥-١٤٠٦هـ وانظر المعتزلـــة وأصولهم الخمسة صـ ٥٠ لعواد بن عبدالله المعتق ط دار الخاصة الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

(٢) انظر ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي" للدكتور سفر الحوالي صـ ٣٠٣ - ٣٠٥ .

(٣) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيميه ١/٥-٦،وانظـر مقدمته للدكتور محمد رشاد سالم ص ١٤-١٥ .

(٤) منها " اساس التقديس في علم الكلام " و " المطالـــب العالية " ومحصل افكار المتقدمين والمتأخرين " و"نهاية العقول" انظر مقدمة " درء تعارض العقل والنقل"ج١/١١

وترتب على ذلك آثار خطيرة ، أهمها أن أصحاب هذا المنهج التوفيقي جعلوا من هذا الأصل الذي أصلوه حكما على نصوص الكتاب والسنة ، فقبلوا من الكتاب والسنة ما يتمشى مع أصلهم ، وأولوا الكثير من النصوص والأدلة لأنها تتعارض معه . (١)

وكان لآيات الأسماء والصفات ، وأحاديثها ، النصيب الأكبر في تطبيق هذا الأصل والقانون ، فأولوا ما دلت عليه نصوص الصفات تأويلا باطلا لزعمهم أن المعارض العقلي ينفيها .

ومن الآثار السيئة والشنيعة لتطبيق هذا المنهج على نصوص الكتاب والسنة ، القاعدة التي وضعها وانتصر لها أصحاب هذا القانون الكلي والمنهج التوفيقي ، وهي زعمهم أن الأدلة السمعية ظنية الدلالة ولا تفيد اليقين .(٢)

ومن هنا يتبين لنا أهمية الرد على قانونهم هذا ونقضه من أساسه ، كما فعل ذلك شيخ الإسلام ابن تيميه في كتابه " درء تعارض العقل والنقل " (٣)، وكما فعل تلميذه ابن القيم في كتابه " الصواعق المرسلة " (٤)، وكما فعل كثير من علماء أهل السنة .

---

(١) وهذا حال أهل البدع جميعا يبتدعون أصولا من عندهم أولا ثم يتفرع عنها النتائج السيئة المتتالية .

(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل ١/٤٥ .

(٣) وقد صدرت الطبعة الأولى منه عن جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض سنة ١٣٩٩هـ بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم - رحمه الله -

(٤) وذلك في الجزء بين الثالث والرابع من الطبعة المحققة التي حققها الدكتور علي بن محمد الدخيل الله ، وهي عبارة عن اختصار لكتاب شيخ الاسلام المذكور كما يظهر ذلك بالمقابلة بين الكتابين ، وكما نص ابن القيم نفسه على ذلك في ج (٣/٧٩٦ - ٧٩٧) .

فنقض هذا القانون يترتب عليه نقض كل الأصول التى بنيت عليه ، وأسست على افتراض صحته والتى أشرت إلى بعضها وأهمها فيما سبق .

ولا يتسع المجال هنا لاستعراض كل الردود التى نقض بها علماء أهل السنة هذا القانون الكلى - ولكن سأكتفى بعرض أهم هذه الردود ، والتى فيها الحجة الكافية لظهور الحق فى هذه المسألة لكل ذى بصيرة ، وفيها المقدار اللازم لدحض الشبهات التى بنى عليها القوم قانونهم وأصلهم .

وسأعتمد فى ذلك - بعد الله - على ما جاء فى الجزء الأول من كتاب " درء تعارض العقل والنقل "(١) لشيخ الإسلام ابن تيميه ، وذلك بتتبع المواضع المهمة التى تفى بالغرض إن شاء الله تعالى .

نلاحظ أن شيخ الإسلام بدء بعرض " القانون الكلى " الذى أصله الرازى ، ثم قام بالرد عليه ونقضه إجمالا وتفصيلا ، ثم استطرد من خلال ذلك الرد - كعادته - فى نقض كل ما يتعلق بهذا القانون ، أو نتج عن تطبيقه فى مسائل الإعتقاد ، مع بيانه لفساد منهج الإستدلال الذى سلكه المخالفون لأهل السنة والجماعة .

ويقوم " القانون الكلى " على فكرة وجود التعارض بين الأدلة النقلية والعقلية ، ثم بنى الرازى على ذلك لوازم باطلة وهى :-

---

(١) وهو كتاب لم يؤلف مثله قبله ولا بعده فى هذا الباب ، وذلك بشهادة كثير من علماء أهل السنة والجماعة .

الأول :

أن الجمع بين هذه الأدلة محال لأنه جمع بين النقيضين ، وكذا ارتفاعهما محال ، والذي ينبغي إذن في حال كهذه هو تقديم أحدهما . وحيث إن العقل هو أصل النقل - كما يزعمون - فتقديم النقل محال لأنه قدح في النقل والعقل معا ، فيتعين تقديم العقل .

الثاني :

وحيث إنهم قدموا العقل ، فإن النقل إما أن يتأول، وإما أن يفوض .

الثالث :

أما إذا تعارضت الأدلة النقلية والعقلية تعارض الضدين (١) لا تعارض النقيضين (٢) فإنه يمتنع الجمع بينهما ، ولكن لا يمتنع ارتفاعهما . (٣)

وينبغي أن يعلم أن فكرة وجود التعارض بين الأدلة العقلية والنقلية بنيت عندهم على أن نصوص الكتاب والسنة ظنية الدلالة ، وبالتالي فهي لا تفيد اليقين بزعمهم .

وهذا الحكم الباطل مبني عندهم على احتمال وجود عشرة أمور تصرف الأدلة النقلية عن ظاهرها ، وعدوا من تلك الامور المعارض العقلي (٤) .

---

(١) والفرق بين الضدين والنقيضين . أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان كالعدم والوجود ، والضدين لا يجتمعان ولكن يرتفعان كالسواد والبياض .
انظر التعريفات للجرجاني صـ ١٣٧ طـ دار الكتب العلمية - بيروت طـ ١ سنة ١٤٠٣هـ

(٢) المصدر السابق .

(٣) انظر درء تعارض العقل والنقل ٤/١

(٤) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي صـ ٣١ وانظر مقدمة الدرء صـ ١٣

وبالتالى كان تركيز أصحاب " القانون الكلى " على المعارض العقلى . وقد بين شيخ الإسلام أن هذا المعارض فاسد جملة وتفصيلا .

أما من حيث الجملة فإن كل من آمن إيمانا تاما بالله تعالى ، وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أفصح الخلق لسانا ، وأتمهم بيانا ، وأشدهم نصحا لأمته ، علم بالتالى مراده صلى الله عليه وسلم علما قاطعا ، وحصل عنده اليقين بكل ما أخبر به ، وعلم أن أى أمر عارض خبره صلى الله عليه وسلم فهو باطل متهافت(١)

وأما التفصيل فيكون بمعرفة فساد ما ادعوه من تلك الحجة المعارضة . فإن مقدمة القانون الكلى للرازى مبنية على أمور باطلة وهى :-

افتراض وجود التعارض بين الأدلة النقلية والعقلية ، وانحصار التقسيم فيما ذكره من الأقسام الأربعة ، وبطلان الأقسام الثلاثة .(٢)

وقد أخطأ هؤلاء القوم فى أصل المسألة بجعلهم العقل أصلا للسمع ، ثم جعلوا لذلك لوازما ، وهذا من سمات أهل البدع ، فإنهم يضعون أصولا باطلة ، ثم يستنتجون أمورا أخرى بناء على تلك الأصول ، فتكون النتائج خاطئة كما أن المقدمات خاطئة .(٣)

وقد عرض شيخ الإسلام رده التفصيلى من وجوه :

الوجه الأول :- أن التعارض لا يمكن أن يكون بين دليلين قطعيين ألبتة . وأما إن كان بين ظنيين فيتعين تقديم الراجح مطلقا .

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل ١/٢١
(٢) المصدر السابق ١/٧٨
(٣) المصدر السابق ١/٨٠-٨١

وأما إن كان بين ظني وقطعي فيتعين تقديم القطعي مطلقا .

فيتبين بذلك أن الدليل العقلي لا يقدم بإطلاق ، وأنه إذا قدم فليس لكونه عقليا ، وإنما لكونه قطعيا ، وبذلك تكون جهة الترجيح غير التي اعتمدها القوم .

الوجه الثاني :

أن القسمة الرباعية التي ذكرها الرازي في ثانيه غير مسلمة ولا صحيحة ، والصحيح أن يقال : إذا اجتمع دليلان نقلي وعقلي فأيهما كان قطعيا وجب تقديمه ، وإن كانا ظنيين وجب تقديم الراجح ، وإن كانا جميعا قطعيين امتنع تعارضهما .

الوجه الثالث:

زعمهم أن تقديم النقل على العقل طعن في الأصل الذي هو العقل ، فيكون ذلك طعنا في العقل والنقل معا غير مسلم . فيقال لهم : ماذا تريدون بقولكم " إن العقل أصل النقل " ؟ فان أرادوا به أن العقل أصل في ثبوت النقل في نفس الأمر ، فهذا لا يقوله عاقل ، لأن الشرع ثابت في نفس الأمر سواء علمناه بعقولنا أم لم نعلمه لأن عدم العلم ليس علما بالعدم .

وهذا مطرد في كل الأمور الثابتة بنفسها كوجود الرب جل وعلا ، وما يستحقه من الأسماء والصفات ، وكارسال الرسول صلى الله عليه وسلم فهو رسول الله وإن جهل الناس ذلك ، وما أخبر به فهو صدق وإن لم يصدقه أحد ، وما أمر به عن الله فهو حق وان لم يطعه الناس .

فتبين بذلك فساد زعمهم من هذه الجهة .

فثبوت الشرع فى نفسه إذن ليس فى حاجة إلى علمنا وعقولنا ، ولكن نحن فى حاجة إلى أن نعلمه بعقولنا ، لأنه لا سعادة ولا فلاح لنا فى الدنيا والآخرة إلا بتعلمنا لهذا الشرع وعملنا به .

وأما إن أرادوا بكلامهم أن العقل أصل فى معرفتنا بالسمع ودليل لنا على صحته ، فيقال لهم : ماذا تعنون بالعقل ؟. هل تعنون به الغريزة التى ركبت فينا ؟ فهذه الغريزة ليست علما حتى يعارض النقل بها . بل هى شرط فى حصول أى علم سواء كان عقليا أو سمعيا .

وأما إن أرادوا بالعقل العلوم والمعارف التى استفدناها بتلك الغريزة ، فيقال لهم : إن المعارف العقلية كثيرة جدا ولا يمكن حصرها ، وليس كل ما يعرفه العقل من هذه المعارف يكون أصلا للسمع ودليلا على صحته .

والعلم بصحة السمع لا يتجاوز حد ما يعلم به صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن الله تعالى أرسله كاثبات الصانع ، والإيمان بالمعجزات والآيات التى تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم .

وحينئذ لا يكون القدح فى المعارض العقلى الذى لا يتوقف العلم بصحة السمع عليه قدحا فى أصل السمع . ولا يكون القدح فى بعض العقليات قدحا فى جميعها ، كما لا يلزم من صحة بعض العقليات صحة جميعها .

وحينئذ فلا يلزم من صحة المعقولات التى تبنى عليها معرفتنا بالسمع صحة غيرها من المعقولات ، ولا من فساد هذه فساد تلك

فضلا عن صحة العقليات المناقضة للسمع.(١) .

وقد نشأ الخطأ عند الرازى وأمثاله نتيجة جعلهم العقليات كلها نوعا واحدا متماثلا فى الصحة والفساد ، ومعلوم أن السمع إنما يستلزم صحة بعضها الملازم له ، لا صحة البعض المنافى له . (٢)

ويتبين لنا بهذه الوجوه الثلاثة التى بسطها شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - فساد المقدمات الثلاث التى بنى عليها القوم قانونهم ، وإذا بطلت المقدمات بطلت النتائج، ثم وصل شيخ الاسلام إلى نتيجة مفحمة للقوم ، وذلك ردا على اعتراض افتراضى منهم يقول : نحن إنما نقدم على السمع المعقولات التى علمنا بها صحة السمع .

يقول شيخ الإسلام ردًا على ذلك : بأنه لا يوجد من المعقولات - التى يتوقف صحة السمع عليها - شيء يعارض أدلة السمع فيترتب على ذلك أنه لا يكون القدح فى شيء من المعقولات قدحا فى أصل السمع ، ثم أقام الدليل على ذلك . (٣)

وقد استطرد شيخ الإسلام استطرادات كثيرة فى رده على قانون الرازى . وكان مما ذكر من الأمور التى تستحق التأمل من كل ذى لب ، أنه إذا قيل بتقديم العقل على الشرع ، لكان فى ذلك إحالة للناس على شيء لا سبيل إلى ثبوته ومعرفته ، وكل عاقل يعرف اختلاف العقول وتفاوت مداركها ، فليست العقول شيئا واحدا ظاهرا فى متناول كل أحد أن يرجع إليه - بل هى عقول كثيرة فيها الإختلاف والتباين والتضاد ، فما وافق

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل ٩٠/١
(٢) المصدر السابق نفسه .
(٣) المصدر السابق ٩١/١ وما بعدها .

عليه عقل هذا قد لا يوافق عليه عقل ذاك ، وما قبله هذا قد يرده الآخر ، فلا اتفاق بين الناس على هذا الأمر.

وهذا بخلاف الشرع الذي من صفاته الذاتية الثابتة الصدق ، فهي صفة ملازمة له لا تنفك عنه ، ولا تختلف باختلاف أحوال الناس ، كما أن العلم به ممكن ، وأمر الناس بالرجوع إليه والتحاكم إلى نصوصه ممكن أيضا ، وهذا هو الواقع فعلا حيث أمر الله تعالى عباده بالرد إلى الكتاب والسنة عند التنازع فقال سبحانه . (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) (١) وهذه الآية تدل صراحة بتقديم النقل والسمع ، والأمر فيها للوجوب ، فيتعين ويجب على المسلمين التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عند التنازع والإختلاف .

ولو كان الرد إلى غير ذلك كعقول الرجال وآرائهم ، لما حصل الإتفاق والتسليم والطمأنينة ، بل كانت النتيجة هي عكس ذلك من الحيرة والشك ، والريبة ، والتخبط ، والإفتراق والإختلاف .(٢)

وهذا هو الذي وقع في الأمة الاسلامية فعلا ، عندما حكّم الناس عقولهم أو رجعوا إلى عقول غيرهم في التلقي أساسًا ،أو في التحكيم عند الإختلاف والتنازع ، ونظرة في كتاب الفرق والملل والنحل توضح لكل ذي بصيرة مدى الإضطراب والإختلاف الذي وقعت فيه الفرق المنتسبة للإسلام ، في معظم - إنْ لم يكن في كل - مسائل الإعتقاد.

---

(١) سورة النساء ، آية : ٥٩

(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل ١٤٦/١ - ١٤٧

وقد ضرب ابن القيم - رحمه الله - مثلا يصف فيه حال الذين حكموا عقولهم وقدموها على الشرع فقال : " فمثلهم كمثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض ، في ليلة ظلماء ، فهجم عليهم العدو ، فقاموا في الظلمة هاربين على وجوههم في كل ناحية "(١)

وحيث إننا في مقام ضرب الأمثال ، وبالمثال يتضح المقال ، فإن شيخ الإسلام ابن تيميه ضرب مثلا صوّر فيه الحالة الصحيحة التي ينبغي أن يكون فيها العقل مع النقل فقال :

" والعقل يدل على صدق الرسول دلالة عامة مطلقة . وهذا كما أن العامي إذا علم عين المفتي ودل غيره عليه وبين له أنه عالم مفت ، ثم اختلف العامي الدال والمفتي وجب على المستفتي أن يقدم قول المفتي "(٢)

فالواجب على كل مسلم هو الإنقياد التام لنصوص الكتاب والسنة والتسليم لها ، وأن لا يقدم عليها قول أحد كائن من كان ، ولا يعارضها بمعقول ولا قياس ، ولا وجدان ولا مكاشفة ، ولا غير ذلك من الأمور .

ولذلك نجد الإمام الطحاوي - رحمه الله يقول : " ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والإستسلام "(٣) .

وقال الشارح : " أي لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين ، وينقاد إليها ، ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه "(٤)

---

(١) الصواعق المرسلة ٨٤٠/٣ ت . د . علي بن محمد الدخيل الله .
(٢) درء التعارض ١٣٨/١ - ٠٣٩
(٣) شرح الطحاوية صـ ٢٠١
(٤) المصدر السابق صـ ٢٠١

ثم قال الطحاوية : " فمن رام علم ما حظر عنه علمه ، ولم يقنع بالتسليم فهمه ، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة ، وصحيح الإيمان "(١)

وهذا واضح لكل من قارن بين حال أهل السنة والجماعة ، وأحوال أهل البدع والفرقة ، فأهل السنة اتبعوا ولم يبتدعوا ، وتمسكوا بالوحي المنزل ، ولم يخلطوه بالشوائب والكدر كما حصل عند أهل الكلام والمنطق . فكان نتيجة ذلك أن كان توحيدهم خالصًا ، وكان علمهم نافعًا ، وكان إيمانهم صحيحا ، وأما أهل البدعة فقد حُرِمُوا الخير كله ، وكان نتيجة عدم تسليمهم للنصوص أن كثرت فيهم البدع ، بل كثير منهم وقع في الشرك والعياذ بالله ، وكانت معرفتهم وعلمهم مخلوطا فيه الحق والباطل ، وتزعزع إيمان كثير منهم وظهر أثر ذلك على سلوكهم .

ومن الحجج القوية التي استدل بها شيخ الإسلام لنقض "القانون الكلي " هو إثبات صحة عكس ما أدعاه أصحابه ، وهو أنه على إفتراض تعارض العقل والنقل فإن المتعين هو تقديم النقل ، لامتناع تقديم العقل ، لأنه قد دل على صحة السمع ،فلو قدمناه لكان ذلك إبطالا لدلالته ، وإذا بطلت دلالته ، لم يكن صالحا لمعارضة النقل ، قال شيخ الإسلام :" الوجه العاشر: أن يعارض دليلهم بنظير ما قالوه ، فيقال : إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين ، ورفعهما رفع للنقيضين ، وتقديم العقل ممتنع ، لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل ، وإذا أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن -

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٣

يكون معارضا للنقل ، لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضته شيء من الأشياء ،فكان تقديم العقل موجبا عدم تقديمه ، فلا يجوز تقديمه "(١)

وهكذا يتبين لنا بالحجج الداهغات والبينات الساطعات بطلان " القانون الكلي " الذي وضعه الأشاعرة ، وكان سببا في رد كثير من دلالات النصوص من الكتاب والسنة ، في باب الإعتقاد عامة وفي باب الأسماء والصفات خاصة .

وهذا حال كل من خالف الرسول صلى الله عليه وسلم ،لابد أن يقع في الأخطاء ، ولو كانت مخالفته في شيء يسير فإنه يقع في الخطأ بحسب ما عنده من المخالفة .

وجميع الأدلة التي جاءت عن سائر الأنبياء - سواء كانت عقلية أو سمعية - توافق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتناقض ما يقوله أهل البدع المخالفون للكتاب والسنة (٢)

والذين يقولون بتقديم العقل على النقل أخطأوا في خمسة أصول ، كما قال شيخ الاسلام : " وإذا قالوا : إن العقل يخالف النقل ، أخطأوا في خمسة أصول : أحدها : أن العقل الصريح لا يناقضه . الثاني : أنه يوافقه . الثالث : أن ما يدعونه من العقل المعارض ليس بصحيح والرابع : أن ما ذكروه من المعقول المعارض هو المعارض للمعقول الصريح . والخامس : أن ما أثبتوا به الأصول كمعرفة الباري وصفاته لا يثبتها بل يناقض إثباتها "(٣)

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١٧٠/١

(٢) انظر الفتاوى ٤٦٣/١٦

(٣) المصدر السابق نفسه .

ومن الكلمات المشهورة لشيخ الإسلام في هذا المقام ، والتي يذكرها كثير ممن جاء بعده قوله : " والعقل الصريح دائما موافق للرسول صلى الله عليه وسلم لا يخالفه قط ،فإن الميزان مع الكتاب ، والله أنزل الكتاب بالحق والميزان،لكن قد تقصر عقول الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به ، فيأتيهم الرسول بما عجزوا عن معرفته وحاروا فيه ، لا بما يعلمون بعقولهم بطلانه ، فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم تخبر بمحارات العقول لا تخبر بمحالات العقول "(١)

ولذلك لا ينبغي أن تعارض آيات القرآن ، ونصوص السنة الصحيحة ، بما وضعه بعض علماء الكلام من المصطلحات والأصول وذلك للأسباب التالية :(٢)

الأول :
ـــــ رجوع كبار أئمة علم الكلام عما كانوا عليه إلى عقيدة أهل السنة والجماعة ، وذلك في آخر حياتهم ، بل وبعضهم عند الموت .

الثاني :
ـــــ إن الأدلة الشرعية ، تدل دلالة واضحة على وجوب التسليم والإنقياد لنصوص الوحي ، وعلى عدم معارضتها بأي معارض . كما أن العقل الصريح السليم يأبى أن يعارض كلام رب العالمين وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، بالمصطلحات التي وضعها البشر ، لا سيما إذا كانت موضوعة من قبل المتفلسفة الذين يدينون بدين الوثنية .

---

(١) الفتاوى ١٧/٤٤٤

(٢) انظر الصفات الالهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الاثبات والتنزيه للدكتور محمد امان بن علي الجامي ص ٦٠

الثالث :

إن من نتائج التأثر بمذاهب الفلاسفة والمناطقة وأهل الكلام ، ضعف الإحترام والتوقير لأدلة الكتاب والسنة وعدم تعظيم شأنها فلا تصبح لها قيمة ذاتية ، ويكون الاستدلال بها لا على وجه الإستقلال ، بل تذكر - إن ذكرت - بشكل ثانوي ، فتكون للإعتضاد لا للإعتماد ، وهذا الأمر بين عند أهل البدع والمتأثرين بعلم الكلام لكل من تأمل ودقق في حالهم ومآلهم .

وهذا كله بخلاف منهج أهل السنة الذين يعظمون حرمات الله ، ولا يتعدون حدوده ، ويعرفون للنصوص والأدلة الشرعية حقها وقدرها ، وينزلونها منزلتها ، ويعتمدونها مصدرا أساسيا في تقرير العقائد والعبادات والأحكام وغيرها من أمور الشرع .

ولذلك نجد (١) أن من أساسيات منهجهم في باب الأسماء والصفات واثباتها ، تقديم النقل على العقل ، ولا يسلكون في استعمال العقل منهج علماء الكلام الذين يقدسون العقل ، ويبالغون في الاستدلال به حتى يجنحوا في نهاية المطاف عن الصواب ، ويحيدوا عن الصراط المستقيم .

---

* * * *

---

(١) انظر الصفات الالهية صـ ٥٨

الفصل الخامس

التقليد والتعصب والتصميم على اتباع العوائد

الفصل الخامس

التقليد والتعصب والتصميم على اتباع العوائد

تعريف التقليد لغة وشرعا :

التقليد لغة : هو جعل القلادة في العنق (١)

أما اصطلاحا : فهو الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه. (٢)

تعريف التعصب لغة وشرعا :

التعصب لغة : من العصبية . وتعصب ،أي شد العصابة (٣) .

أما اصطلاحا : بأن تجعل ما يصدر عن شخص ما من الرأي،ويُرَوَى له من الإجتهاد حجة عليك وعلى سائر العباد (٤)

وعرفه آخرون بقولهم : " هو شيمة من شيم الضعف ، وخلة من خلل الجهل يبتلى بها الإنسان فتعمى بصره وتغشى على عقله ، فلا يرى حسنا إلا ما حسن في رأيه ، ولا صوابا إلا ما ذهب إليه أو من يتعصب له "(٥)

ويعتبر التقليد والتعصب من أعظم أسباب الفرقة والإنحراف عن الصراط المستقيم ، ومن أهم العوامل التي أدت إلى انتشار البدع والاهواء .

فأهل البدع يقلدون شيوخهم وائمتهم تقليدا أعمى ، سواء كان ذلك في الأصول أو في الفروع ، ويقدمون أقوالهم ولو خالفت قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويأخذون

---

(١) انظر الصحاح للجوهري ٥٢٧/٢

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١١٧/٢ ط دار الباز مكة المكرمة ١٣٩٨ هـ

(٣) الصحاح للجوهري ١٨٢/١

(٤) أدب الطلب ومنتهى الارب للشوكاني ص ٧ ط دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٤٠٢ ط الأولى .

(٥) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ٨٣

أحوالهم التى يسمعونها ويشاهدونها مأخذ التسليم ، ويعتبرونها الطريق الوحيد الذى يقربهم إلى الله تعالى حتى وإن خالفت هدى الكتاب والسنة ، وبالغوا فى التقليد والتعصب للمشايخ والطرق حتى اعتقد كثير منهم العصمة فى شيوخهم ، وأنهم لا يفعلون إلا حقا ولا يقولون إلا صدقا ، لأنهم معصومون من الخطأ ، فيتبعونهم فى كل ما يؤثر عنهم من قول أو فعل .

- بسبب هذا التقليد والتعصب انتشرت البدع بين الناس ، وفشت فى أوساطهم ، وحالت بينهم وبين سماع الحق والهدى ، وتركوا بسببها المنهج الربانى العظيم والهدى النبوى القويم .(١)

وقد ذم الله تعالى الذين يعرضون عن اتباع الحق والانقياد له ، بحجة تقليد الآباء والأجداد فقال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)(٢)

قال القرطبى : " قال علماؤنا : وقوة ألفاظ هذه الآية تعطى إبطال التقليد "(٣)

وقال الشوكانى : " وفى هذه الآية من الذم للمقلدين والنداء بجهلهم الفاحش واعتقادهم الفاسد ما لا يقادر قدره "(٤)

---

(١) "تنبيه أولى الأبصار" للدكتور صالح بن سعد السحيمى صـ ١٤٢ - ١٤٣ بتصرف .

(٢) سورة البقرة: آية ١٧٠

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢١١/٢

(٤) فتح القدير : ١٦٧/١

وقال السعدى : " وهذه شبهة لرد الحق واهية . فهذا دليل على إعراضهم عن الحق ، ورغبتهم عنه ، وعدم إنصافهم - فلو هُدوا لرشدهم ، وحسن قصدهم ، لكان الحق هو القصد ، ومن جعل الحق قصده ، ووازن بينه وبين غيره ، تبين له الحق قطعا ، واتبعه ، إن كان منصفا "(١)

وقال سيد قطب : " فالآية تندد بتلقى شيء فى أمر العقيدة من غير الله ، وتندد بالتقليد فى هذا الشأن والنقل بلا تعقل ولا إدراك " (٢)

ومعلوم أن التقليد المذموم إنما هو التقليد فى الباطل ، وأما التقليد فى الحق فهو فى الحقيقة اتباع لا تقليد ، لذلك نجد أن من أصول أهل السنة والجماعة قولهم : " نتبع ما كان عليه سلفنا الصالح " وهو ما يعبرون عنه بصيغة أخرى بقولهم : " نتبع ولا نبتدع " فالسلف الصالح إنما كانوا على اتباع الكتاب والسنة ، والمتبع لهم ولمنهجهم إنما هو متبع لهدى الكتاب والسنة .

قال ابن درباس : " وقد أكثر أهل الزيغ القول على من تمسك بالكتاب والسنة أنهم مقلدون . وهذا خطأ منهم ، بل هو بهم ألصق وبمذاهبهم أخلق ، إذ قبلوا قول سادا تهم وكبرائهم فيما خالفوا فيه كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة رضى الله عنهم "(٣)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٢٠٢/١

(٢) فى ظلال القرآن ١٥٥/١

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢١٣/٢

وقال القرطبي : " وليس قول أهل الأثر في عقائدهم : إنا وجدنا أئمتنا وآباءنا والناس على الأخذ بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح من الأمة ، من قولهم : إنا وجدنا آباءنا وأطعنا سادتنا وكبراءنا بسبيل ، لأن هؤلاء نسبوا ذلك إلى التنزيل وإلى متابعة الرسول ، وأولئك نسبوا إفكهم إلى أهل الأباطيل ، فازدادوا بذلك في التضليل " (١)

ومن الآيات التي جاءت في ذم التقليد وأهله قوله تبارك وتعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)(٢)

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة : " أي إذا دعوا إلى دين الله وشرعه وما أوجبه وترك ما حرمه قالوا يكفينا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد من الطرائق والمسالك"(٣)

فالتقليد الأعمى والتعصب ، يؤديان إلى مهاوي الردى ، ويقودان صاحبهما إلى مسالك الغواية والضلال ، ويصدان عن اتباع النور والهدى ، فتكون النتيجة تخبطاً وانتكاساً في الدنيا ، وهلاكا وخسرانا في الآخرة .

أما الإستنكار في قوله تعالى :(أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١٣/٢

(٢) سورة المائدة آية ١٠٤

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٠٨/٢

فهو لبيان واقع هؤلاء المعاندين المخالفين ، وواقع آبائهم من قبلهم . فآباؤهم كذلك كانوا يتبعون ما شرعه لهم آباؤهم أو ما شرعوه هم لأنفسهم . وليس معنى الإستنكار أن لو كان آباؤهم يعلمون شيئا لجاز لهم اتباعهم وترك ما أنزل الله وترك بيان الرسول صلى الله عليه وسلم ! فإنه لا يركن أحد إلى شرع نفسه أو شرع أبيه ، وبين يديه شرع الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، إلا وهو لا يعلم شيئا ولا يهتدى".(١)

ويخبر الله تعالى أن تقليد الآباء والأجداد كان من أسباب إعراض الامم السابقة عن هديه ووحيه ، وأنهم اتخذوه حجة فى رد ما جاءتهم به أنبياؤهم ، ودونما تدبر ولا تفكر ولا تعقل ، وإنما هو الأصرار على الباطل والتمادى فيه ، والتعصب للعوائد والمألوفات وإن خالفت الحق .

يقول تعالى :(وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَا آبَآءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ . قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَآءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ)(٢)

قال القرطبى : " وفى هذا دليل على إبطال التقليد ، لذمه إياهم على تقليد آبائهم وتركهم النظر فيما دعاهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم "(٣)

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب ٩٩١/٢ بتصرف .
(٢) الزخرف آية ٢٣،٢٤
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧٥/١٦

وقال السعدى : " وهذا الإحتجاج من هؤلاء المشركين الضالين ، بتقليدهم لآبائهم الضالين ، ليس المقصود به اتباع الحق والهدى ، وإنما هو تعصب محض ، يراد به نصرة ما معهم من الباطل . ولهذا كان كل رسول يقول لمن عارضه بهذه الشبهة الباطلة (أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ) أى: أفتتبعونى لأجل الهدى ؟ (قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ) يعلم بهذا ، أنهم ما أرادوا إتباع الحق والهدى . وإنما قصدهم اتباع الباطل والهوى "(١)

ويقول سيد قطب معقبا على قولةِ المشركين ، وحجتهم الداحضة : " وهي قولةٌ تدعو إلى السخرية ، فوق أنها متهافتة لا تستند إلى قوة . إنها مجرد المحاكاة ومحض التقليد ، بلا تدبر ولا تفكر ولا حجة ولا دليل . وهى صورة مزريه تشبه صورة القطيع يمضى كيث هو منساق ، ولا يسأل إلى أين يمضى؟ ولا يعرف معالم الطريق ! "(٢)

وقد أخبر الله عز وجل عن حال من أعرض عن هديه واتباع ما جاءت به أنبياؤه عليهم السلام وأطاعوا سادتهم وكبراءهم ، فقال سبحانه فى وصف حالهم يوم القيامة . (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا . وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا)(٣)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٦٤٠/٦

(٢) فى ظلال القرآن ٣١٨٢/٥

(٣) الأحزاب : ٦٦ ، ٦٧

قال ابن كثير : " قال طاوس : سادتنا يعنى الأشراف وكبراءنا يعنى العلماء رواه ابن أبى حاتم ، أى اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئا وأنهم على شيء فإذا هم ليسوا على شيء "(١)

وقال القرطبى فى تفسيره لهذه الآيات : " وكان فى هذا زجر عن التقليد "(٢)

وأما المقصود بالسبيل الذى ضلوا عنه فهو التوحيد.(٣)

وقال الشوكانى :" والمراد بالسادة والكبراء هم الرؤساء والقادة الذين كانوا يمتثلون أمرهم فى الدنيا ويقتدون بهم ، وفى هذا زجر عن التقليد شديد ، وكم فى الكتاب العزيز من التنبيه على هذا والتحذير منه والتنفير عنه "(٤)

ووجه الاحتجاج بهذه الآيات إنما هو فى إبطال التقليد بغير حجة ولا دليل ، وهذه الآيات وإن نزلت فى الكفار ، إلا أن - فيها عبرة للمؤمنين ، لأن التقليد يشبه بعضه بعضا وإن اختلفت فيه الآثام ، قال ابن عبد البر :" وقد احتج العلماء بهذه الآيات فى إبطال التقليد ولم يمنعهم كفر أولئك من الإحتجاج بها ، لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر ، وإنما وقع التشبيه بين المقلدين بغير حجة للمقلد ، كما لو قلد رجلا فكفر وقلد آخر فأذنب وقلد آخر فى مسألة فأخطأ وجهها كان كل واحد ملوما على التقليد بغير حجة ، لأن كل ذلك تقليد يشبه بعضه

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥١٩/٣
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/١٤
(٣) المصدر السابق .
(٤) فتح القدير ٣٠٦/٤

بعضا وإن اختلفت الآثام فيه "(١)

ومن الأحاديث التى احتج بها العلماء فى فساد التقليد والمنع منه ، حديث عدى بن حاتم قال : " أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وفى عنقي صليب من ذهب فقال لى :اطرح هذا الوثن من عنقك ، قال : فطرحته.قال : وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة ، وقرأ هذه الآية (اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُم أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ)

قال : فقلت يا رسول الله : إنَّا لسنا نعبدهم ،فقال:" أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟ قال : قلت بلى. قال:فتلك عبادتهم " (٢)

أما الآثار الواردة فى هذا الباب عن السلف الصالح فكثيرة جدا :

ومنها قول ابن عباس رضى الله عنهما - : " يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر ؟ (٣)

يقول ابن القيم معقبا على قول ابن عباس :" رحم الله ابن عباس ، كيف لو رأى قوما يعارضون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١١٠/٢

(٢) رواه الترمذى فى : كتاب تفسير القرآن ١٠٠ - تفسير سورة التوبة رقم (٢٤٧١) وحسنه الشيخ الألبانى . انظر صحيح سنن الترمذى (٥٦/٣)

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١٩٦/٢

بقول أرسطو (١) وأفلاطون (٤) وابن سينا (٣) والفارابي(٤) ، وجهم بن صفوان(٥) وبشر المريسي (٦) وأبي الهذيل العلاف(٧) وأضرابهم ؟" (٨)

وقيل للإمام أحمد بن حنبل :" إن قوما يدعون الحديث ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره . فقال : أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته يدعونه ، ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره .

---

(١) من فلاسفة اليونان .

(٢) من فلاسفة اليونان .

(٣) الحسين بن عبدالله بن الحسن ، أبو علي البلخي الفيلسوف (ت ٤٢٨ هـ) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٥٣١/١٧

(٤) محمدبن محمد بن طرخان بن أوزلغ ،التركي الفيلسوف (ت ٣٣٩ هـ) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء٤١٦/١٥

(٥) أس الضلالة ، ورأس الجهمية (ت) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٦/٦

(٦) أبو عبد الرحمن ، بشر بن غياث المرسي ، رأس في البدعة (ت ٢١٨ هـ) انظر ترجته في سير أعلام النبلاء (١٩٩/١٠ .

(٧) محمد بن الهذيل بن عبد الله ، البصري من رؤوس المعتزلة (ت ٢٢٦ هـ) انظر ترجمته في سير اعلام النبلاء ١٧٣/١١ .

(٨) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٢٢٤/١ ط مكتبة الرياض الحديثة .

قال الله تعالى (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أتدرى ما الفتنة؟ الفتنة : الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع فى قلبه شيء من الزيغ فيهلك "(١)

وقال الإمام الشافعى :" أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد"(٢)

ويتضح لنا من استعراض الأدلة السابقة أن التقليد والتعصب ينافيان تجريد المتابعة للنبى صلى الله عليه وسلم ، ويمنعان من قبول الهدى والحق .
وكفى بذلك إثما وبعدا عن الصراط المستقيم ، وفى ذلك عبرة لكل معتبر لنبذهما ومجانبتهما .

ولقد تفشى هذا المرض العضال فى الأمة الإسلامية ،لاسيما فى العصور المتأخرة ، وأصبح هو الأساس والأصل ، ونتج عن انتشاره وتفشيه نتائج وخيمة وأمور فى الدين جسيمة .

يصف الشوكانى حال الأمة الإسلامية عندما استسلمت للتقليد واتباع العوائد السيئة فيقول : " وبهذه (٣)الذريعة الشيطانية ، والوسيلة الطاغوتية ، بقى المشرك من الجاهلية على شركه ، واليهودى على يهوديته ، والنصرانى على نصرانيته ، والمبتدع على بدعته ، وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا ، وتبدلت الأمة بكثير المسائل الشرعية وغيرها ،

---

(١) أخرجه ابن بطه فى " الابانة عن شريعة الفرقة الناجية " (٢٦٠/١ / ح ٩٧٠
(٢) ايقاظ الهمم للغلانى " ص ٦٨" وإعلام الموقعين لابن القيم (٣٦١/٢)
(٣) الضمير يعود على التقليد.

وألفوا ذلك ومرنت عليه نفوسهم ، وقبلته قلوبهم وأنسوا إليه حتى لو أراد من يتصدى للإرشاد أن يحملهم على المسائل الشرعية البيضاء النقية التي تبدلوا بها غيرها لنفروا عن ذلك ولم تقبله طبائعهم ، وناولوا ذلك المرشد بكل الكروه ، ومزقوا عرضه بكل لسان ، وهكذا كثير موجود في كل فرقة من الفرق لا ينكره إلا من هو منهم في غفلة .

وانظر إن كنت ممن يعتبر ما ابتليت به هذه الأمة من التقليد للأموات في دين الله حتى صارت كل طائفة تعمل في جميع مسائل الدين بقول عالم من علماء المسلمين ولا تقبل قول غيره ولا ترضى به ، وليتها وقفت عند عدم القبول والرضى لكنها تجاوزت ذلك إلى الحط على سائر علماء المسلمين والوضع من شأنهم وتضليلهم وتبديعهم والتنفير عنهم ، ثم تجاوزوا ذلك إلى التفسيق والتكفير ، ثم زادوا الشر حتى صار أهل كل مذهب كأهل ملة مستقلة لهم نبي مستقل وهو ذلك العالم الذي قلدوه فليس الشرع إلا ما قال به دون غيره ، وبالغوا وغلوا فجعلوا قوله مقدما على قول الله ورسوله ، وهل بعد هذه الفتنة والمحنة شيء من الفتن والمحن ؟ "(١)

وكل من تأمل حال الفرق والمذاهب والنحل يلاحظ بوضوح ظاهرة الغلو في العلماء - أو حتى في من يظن أنه من العلماء - والتعصب لهم .

---

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني ص ٢٨ - ٢٩ ط دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٤٨ هـ وللشوكاني كلام جيد حول التعصب في كتابه " أدب الطلب ومنتهى الأرب" وقد ذكر منه أسباب التعصب ليحذر منها طالب العلم انظر مثلا صـ(٤٧ ، ٢٣٠ ، ٢٦٠ ، ٢٧ ، ٧٤ ، ٧٥) ط دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢هـ

ولا ينتهي الأمر عند مجرد التقليد والتعصب للمشايخ والائمة والمتبوعين ، وإنما يتعداه إلى المفاخرة والتباهي بمن ينتسب إليه ، والطعن والإزراء والتنفير عن الآخرين . وهذا كله من فعل أهل البدع والأهواء الذين فرقوا الامة شيعا وأحزابا كل حزب بما لديهم فرحون .

يقول شيخ الاسلام ابن تيميه : " وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصا يدعو إلى طريقته ،ويوالي ويعادي عليها ، غير النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا ينصب لهم كلاما يوالي عليه ويعادي ، غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمة ، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصا أو كلاما يفرقون به بين الأمة ، يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون"(١) والتقليد للأشخاص لمجرد حسن الإعتقاد فيهم بلا بينة ولا دليل ولا حجة وأن يجعل فعلهم وقولهم حجة ويقتدى بهم على الإطلاع لا سيما في مجال الإعتقاد والتعبد ، هو الضلال بعينه ، وهو السبب الذي أوقع أكثر المتأخرين في الإبتداع في دين الله (٢)

والتعصب لإمام واحد أو عالم واحد دون غيره هو من جنس فعل الرافضة ، الذين غلوا في ائمتهم ،وتعصبوا لهم ، حتى أدعوا فيهم العصمة ، وقدموا أقوالهم على قول رسول الله صلى الله

يقول ابن أبي العز الحنفي : " فإن الغضب والتعصب لواحد معين من الأئمة وصف مذموم من جنس فعل الرافضه "(٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦٤/٢٠

(٢) انظر الاعتصام للشاطبي ١٨٢/٢

(٣) الاتباع صـ ٢٥ طـ المكتبة السلفية ـ لاهور ـ ط الثانية سنة ١٤٠٥ هـ

ويقول مؤلفا " المقدمة " : " والتعصب فرع ادعاء العصمة الذى لا ينفك عنه ، وادعاء العصمة فيه ما فيه من خطل فى الرأى ومجانبة للحق ، وعنه نشأت فرق كالرافضة "(١)

لذلك نرى المقلد المتعصب لا يرجع عن قول من قلده وتعصب له ، ولو تبين له خطأ من قلده ، بل لا يخالف قوله ولو جاء النص والدليل بخلافه ، ويبرر ذلك بشتى أنواع المبررات والمسوغات .

يقول ابن القيم :" وهكذا شأن جميع أرباب المقالات والمذاهب ، يرى أحدهم فى كلام متبوعه ، ومن يقلده ،ماهو باطل. وهو يتوقف فى رد ذلك لاعتقاده أن إمامه وشيخه أكمل منه علما وأوفر عقلا ، هذا مع علمه وعلم العقلاء أن متبوعه وشيخه ليس بمعصوم من الخطأ " (٢)

ومن نتائج التعصب الخطيرةوالتى أشرت اليها آنفا ،عدم قبول الحق ورده إذا جاء من المخالف ، وهذا إلى جانب كونه مرء ديا إلى العداوة والبغضاء والتفرق ، فهو خصلة ذميمة من خصال المغضوب عليهم ، والذين أمرنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بمجانبة طريقهم وعدم التشبه بهم (٣)

يقول تعالى :(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ)(٤) .

---

(١) مقدمة فى أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم صـ ٨٤

(٢) كتاب الصواعق المرسلة ٨٣٦/٣ تحقيق الدكتور على بن محمد الدخيل الله ط دار العاصمة - (الرياض ط اولى سنة ١٤٠٨

(٣) انظر الأدلة من الكتاب والسنة والاجماع وكلام السلف الصالح فى هذه المسألة فى كتاب " اقتضاء الصراط المستقيم " لشيخ الاسلام

(٤) البقرة آية ٩١

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه : " فوصف اليهود : أنهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهور الناطق به ، والداعى إليه . فلما جاءهم الناطق به من غير طائفة - يهووها لم ينقادوا له . وأنهم لا يقبلون الحق إلا من الطائفة التى هم منتسبون إليها ، مع أنهم لا يتبعون ما لزمهم فى اعتقادهم .

وهذا يبتلى به كثير من المنتسبين إلى طائفة معينة فى العلم ، أو الدين ، من المتفقهة ، أو المتصوفة ، أو غيرهم . أو إلى رئيس معظم عندهم فى الدين - غير النبى صلى الله عليه وسلم - فإنهم لا يقبلون من الدين رأيا ورواية إلا ما جاءت به طائفتهم ، ثم إنهم لا يعلمون ما توجبه طائفتهم . مع أن دين الإسلام يوجب اتباع الحق مطلقا . رواية ورأيا ، من غير تعيين شخص أو طائفة - غير الرسول صلى الله عليه وسلم"(١) .

ونظرا لما يترتب على التقليد والتعصب من آثار وخيمة ، ونتائج سيئة ، نجد لعلماء أهل السنة والجماعة أقوالاً متفقةً فى النهى عن تقليدهم و التعصب لهم (٢)

وقد بيّن الإمام مالك - رحمه الله - بكلمة قالها أصلا عليما فى هذا الباب ، ينبغى على كل مسلم أن يتدبره ويتأمل فيه ، لكى يعرف أن العلماء وإن كانت لهم مكانة عالية ، ومقام مرموق ، وأنه وإن كان واجبا علينا توقيرهم وإجلالهم ، إلا أننا يجب أن لا نرفعهم عن منزلتهم التى هى لهم ، وذلك لكونهم بشر يصيبون ويخطئون .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/٧٣ - ٧٤ . وقريبا من هذا الابتلاء الذى أشار اليه شيخ الاسلام يقع من المنتسبين الى الجماعات والأحزاب الاسلامية فى عصرنا هذا .

(٢) انظر هذه النصوص فى مختصر المؤمل فى الرد على الأمر الاول لأبى شامه المقدسى ص ٥٦ - ٦٥ مكتبة الصحوة - الكويت - ومختصر ايقاظ همم أولى الأبصار للغلانى ص ٤٩ - ١٠٨ ط المكتبة الإسلامية - عمان - .

قال الإمام مالك - رحمه الله - : " كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر ، وأشار إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم "(١)

وقال أيضا : " ليس كل ما قال رجل قولا وإن كان له فضل يتبع عليه ، لقول الله عز وجل (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) (٢) ، (٣)

ولقد كان التعصب للمشايخ والأشخاص والإعراض عن الحجة والدليل ، سببا لضلال كثير من الأقوام ، وخرجوا بسبب ذلك عن ما كان عليه سلف الأمة وخيرتها من الصحابة والتابعين ، وقد ذكر الشاطبى عشرة أمثلة لذلك (٤)

وأهمها وأعظمها خطرا الطائفة الأولى ، التى وصفها الشاطبى بقوله : -

"(أحدها): وهو أشدها - قول من جعل اتباع الآباء فى أصل الدين هو المرجوع اليه دون غيره ، حتى ردوا بذلك براهين الرسالة ، ، وحجة القرآن ودليل العقل " (٥)

وتليها فى الخطورة من أدعى العصمة لأحد من البشر - سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلده فى كل ما يقول ، ولو خالف قوله كلام الله ورسوله ، مثل ما يفعله الرافضة وغيرهم .

وبعد أن ذكر الشاطبى الأمثلة العشرة للمخالفين لهدى سلف الأمة بسبب التقليد والتعصب ، بين علاج ذلك الخلل والمرض بقوله : " فالحاصل مما تقدم أن تحكيم الرجال من غير التفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعى المطلوب شرعا ضلال ، وما توفيقى

---

(١) ارشاد السالك لابن عبدالهادى (٢٢٧/١) ، مختصر المؤمل فى الرد الى الأمر الأول لأبى شامة صـ ٦٥ - ٦٦ ،وسير اعلام النبلاء للذهبى ٩٣/٨ وروى ابن عبد البر الاثر نفسه عن الحكم بن عتيبه ومجاهد انظر جامع بيان العلم وفضله (٩١/٢)

(٢) الزمر آلاية ١٨ (٣) الاعتصام ٣٦٢/٢

(٤) الاعتصام ٣٤٧/٢ - ٣٥٥

(٥) الاعتصام ٣٤٧/٢

إلا بالله ، وإن الحجة القاطعة والحاكم الأعلى هو الشرع لا غيره "(١)

ثم ذكر - رحمه الله - الأدلة من السنة وكلام السلف الصالح في ذم التقليد والاستنان بالرجال (٢)

ومما يجب التنبه إليه في هذا الباب الفرق الدقيق بين التعصب والثبات على الحق ، فإنه لتقارب معانيها قد لا يستطيع كثير من الناس التمييز بينهما .

وفي الحقيقة هما يختلفان في المنشأ والطريق والثمرة ، كما أن لكل منهما مجالا وحدودا .

يقول مؤلفا " المقدمة " : " ويقابل التعصب الثبات على الحق والتمسك به ، وقد يتقارب المعنيان فلا يتميزا إلا في نظر المدقق الفاحص ، وقد يخلط بينهما ، فترى البعض يمدحون التعصب على أنه دلالة قوة إيمان ورسوخ عقيدة ، بينما ترى البعض الآخر يذمون المتمسك بالحق الثابت عليه ويرمونه بالجمود والتعصب ، والحق أن البون شاسع بين المعنيين في المنشأ والطريق والثمرة .

فمنشأ التعصب ضعف في النفس وجهل في العقل ، بينما التمسك بالحق ينشأ من القناعة بالرأي ووضوح الدليل .

وطريق المتعصب هو الصد عن معرفة دليل المخالف أو الاستماع إليه أو اعتباره في النظر بأي وجه من الأعتبار .

بينما طريق المتمسك بالحق المناقشة الحرة والإستماع إلى دليل المخالف برحابة صدر واتساع أفق ، والرد المشفق الذي يرجو هدى المخالف ولا ينتظر سقطته .

---

(١) الاعتصام ٢/٣٥٥

(٢) انظر الاعتصام ٢/٣٥٦ - ٣٦٢ أي الى آخر الكتاب .

وثمرة التعصب الإختلاف والفرقة والتباغض ، وثمرة التمسك بالحق إجتماع المؤالفين عليه واتحادهم ومراجعة المخالفين لمناهجهم ، ثم نور في القلب يضيء لصاحبه الطريق ويهديه الصراط المستقيم .

كما أن لكل من التعصب والتمسك بالحق مجالا وحدودا :

ففي أصول الدين وقواعده الثابتة المتواترة وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مجال لتهاون أو تسامح ، بل الإعتصام بالحق إلى أقصى حدوده هو المطلوب المحمود - أما فيما يسوغ فيه الخلاف من مسائل الفقه التي تحتمل تعدد أوجه النظر - فإن الثبات على الحق لا ينافي التسامح أو المؤالفه أو احترام اجتهاد الغير "(١)

وبحثي وإن كان في ما يتعلق بمسائل الإعتقاد ، إلا أنه لابد لي من مناقشة مسألة متعلقة بهذا الفصل ، وهي مسألة التقليد في الأحكام الفقهية هل هو جائز أم لا ؟ أم أن هناك تفصيلا في الموضوع كما سأبينه استنادا لأقوال المحققين من أهل العلم ، مع محاولة الإيجاز والإختصار في العرض وسبب كلامي على هذه المسألة لأمور أهمها :

الأول :

تعلقها بموضوع هذا الفصل .

---

(١) مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ٨٥ - ٨٦

(الثاني).

لكثرة الكلام حولها ، وكثرة الموءلفات فيها (١) ، فوجبت الإشارة إليها ، لا سيما مع تعلقها بموضوع هذا الفصل كما أسلفت .

(الثالث):

أن السلف الصالح ما كانوا يفرقون بين الأصول والفروع كما هو حال المتأخرين ، الذين لجأوا إلى التقسيمات العلمية لتوسع العلوم وتشعبها وتفرعها .

(١) من الكتب التي ألفت حول هذا الموضوع وهي مطبوعة .مختصر الموءمل في الرد إلى الأمر الاول لأبي شامه المقدسي(ت٦٦٥هـ) ،رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيميه (ت ٧٢٨هـ) كما أن له كلام في هذا الموضوع في المجلد العشرين من مجموع الفتاوى ، تفصيل القول في التقليد لابن القيم (ت ٧٥١هـ) وهو ضمن كتابه " إعلام الموقعين" وطبع مستقلا ضمن الرسائل الكماليه (ج ٤) ، الإتباع لابن أبي العز الحنفي(ت٧٩٢) ، الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الإجتهاد في كل عصر فرض للسيوطي (ت ٩١١هـ) ، القول السديد في بعض مسائل الإجتهاد والتقليد للموروي(ت ١٠٢١هـ) ، الإنصاف في بيان أسباب الإختلاف لحجة الله الدهلوي(ت ١١٧٦) ، إرشاد النقاد إلى تتيسير الإجتهاد للصنعاني (ت ١١٨٢هـ) ، إيقاظ همم أولي الأبصار للغلاني (ت ١٢١٨هـ) ، القول المفيد في أدلة الإجتهاد والتقليد للشوكاني(ت ١٢٥٠) هـ كما توجد موءلفات معاصرة في الموضوع نحو : الدرة البهية في التقليد في والمذهبية من كلام شيخ الإسلام ابن تيميه أعدها وعلق عليها محمد شاكر الشريف ، "أسباب الإختلاف" للدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، موقف الائمة من اختلاف الأئمة للشيخ عطيه محمد سالم ، كما توجد مقالات لبعض العلماء في بعض المجلات العلمية ومن أهمها مقالة فضيلة الشيخ ابن عثيمين في مجلة " البيان "العدد الأول سنة ١٤٠٦هـ بعنوان" الخلاف بين العلماء - أسبابه وموقفنا منه " هذا إلى جانب كلام العلماء الأصوليين في كتبهم عنها ، وكلام بعض العلماء عنها في كتبهم عرضا كابن عبدالبر والشاطبي وغيرهم ومن أجود ما كتب فيها كلام للشيخ الشنقيطي رحمه الله عن آية (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) من سورة محمد في تفسيره القيم اضواء البيان انظر(ج ٧ ص ٤٢٨- ٥٨٣) وقد طبعت في رسائل مستقله مرارًا .

(الرابع):

منهج أهل السنة والجماعة واحد وموارد في تعاملهم مع شتى أنواع العلوم ، فهم كما أنهم يذمون التقليدوالتعصب في أصل الدين والإعتقاد ، فهم يذمونها فيما يتعلق بالمسائل الإجتهادية الفرعية .

وسوف أرتب الكلام على هذه المسألة في المباحث التالية :-

المبحث الأول:

الناس طرفان ووسط في هذا الموضوع ، فمنهم من يحرم التقليد باطلاق ، ويوجب الإجتهاد على كل أحد من الناس ، ومنهم من يوجب التقليد باطلاق ، ويلزم الناس جميعا علماء وعوام بتقليد عالم من العلماء الأربعة المشهورين ، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم ، والصحيح والذي عليه جماهير العلماء هو التفصيل ، فيجعلون التقليد جائز في الجملة ، كما يجعلون الإجتهاد جائز في الجملة والعبرة عندهم بالقدرة والعجز ، فالإجتهاد جائز للقادر عليه ، والتقليد جائز للعاجز عنه (١)

ولذلك نجد أن الشاطبي قد قسم الناس بالنسبة لأحكام الشريعة إلى ثلاثة أقسام :-

القسم الأول :-
- - - - - - أن يكون مجتهدا فيها . فحكمه ما أداه إليه اجتهاده فيها .(٢)

القسم الثاني :-
- - - - - - أن يكون مقلدا صرفا . خليا من العلم الحاكم جملة . فلابد له من قائد يقوده (٣)

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٠/٢٠٣-٢٠٤ ، (وأضواء البيان للشنقيطي ٧/٤٨٦ - ٤٨٧.

(٢) الاعتصام ٢/٣٤٢

(٣) الاعتصام ٢/٣٤٣ ويقول الشيخ الشنقيطي " ولم يخالف في جواز التقليد للعامي الا بعض القدرية ، ثم ذكر بعض الادلة على جواز التقليد . انظر مذكرة أصول الفقه ص٣١٥

القسم الثالث:
- - - - - - أن يكون غير بالغ مبلغ المجتهدين ، لكنه يفهم الدليل وموقعه ، ويصلح فهمه للترجيح بالمرجحات المعتبرة فيه تحقيق المناط ونحوه (١)

واعتبر الشاطبي القسم الأخير مترددا بين القسمين الأولين ،فإن اعتبر ترجيحه فحكمه حكم المجتهد ، وإن لم يعتبر ترجيحه فحكمه حكم العامي .

والدرجة الثالثة هي ما يطلق عليه بعض العلماء درجة الإتباع ، والتي سيأتي ذكر الفرق بينها وبين التقليد .

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ:" فما من إمام إلا والذي معه بعض العلم لاكله . فالواجب على كل مكلف ، إذا بلغه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله وفهم معنى ذلك : أن ينتهي إليه ويعمل به ، وإن خالفه من خالفه ، كما قال تعالى :(٧ : ٣ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) "(٢)

ولابد من التنبه إلى الشرط الذي ذكره الشيخ - رحمه الله - بقوله:" وفهم معنى ذلك " ويقول الشيخ الشنقيطي:" فالقول بمنع العمل بما علم من الكتاب والسنة حتى يحصل رتبة الإجتهاد المطلق ، هو عين السعي في حرمان جميع المسلمين من الإنتفاع بنور القرآن ، حتى يحصلوا شرطا مفقودا ، في إعتقاد القائلين بذلك " (٣)

---

(١) الاعتصام ٢/٣٤٣
(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد صـ ٣٤٥
(٣) أضواء البيان ٧/٤٣٤

ولا شك أن إعراض كثير من المسلمين عن هدى الكتاب والسنة ، وبعدهم عن الإستضاءة بنور الوحى ، جعلهم يقعون فى التقليد الأعمى ، بل جعلهم يقعون فى المخالفات الشرعية ، وكان هذا بالتالى من الأسباب التى أدت إلى تفرق المسلمين شيعا وأحزابا

المبحث الثانى:

ما هو التقليد المحرم ؟ وإلى من يتوجه النهى عن التقليد؟ أما السؤال الأول فيجيب عليه ابن القيم فى كتابه " إعلام الموقعين " حيث ذكر أقساما ثلاثة للتقليد المحرم وهى(١)

(الأول) : الإعراض عما أنزل الله وعدم الإلتفات إليه إكتفاء بتقليد الآباء .

(الثانى): تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله .

(الثالث): التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد .

أما إلى من يتوجه النهى عن التقليد ، فنفهم ذلك من خلال تقسيم ابن القيم لأنواع التقليد المحرم ، فكل من وقع فى نوع منها فهو المعنى بالذم واللوم الذى وجهه الائمة للمقلدة .

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ تعقيبا على قول الإمام أحمد " عجبت لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته يدعونه ، ويذهبون إلى رأى سفيان وغيره " .

يقول الشيخ :" فى كلام أحمد رحمه الله إشارة إلى أن التقليد قبل بلوغ الحجة لا يذم ، وإنما ينكر على من بلغته الحجة وخالفها لقول إمام من الأئمة "(٢)

(١) انظر اعلام الموقعين ١٨٧/٢

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد صـ ٣٤٥

ويقول مؤلفا " المقدمة". " الواجب أن ندرك أن الآثار التى أوردها ابن القيم وغيره من العلماء تفيد ذم التقليد ليست مطلقة بل هى مقيدة بالتقليد المحرم وإلا فكيف يذم من قلد فيما يجب أو يسوغ له التقليد فيه "(١)

المبحث الثالث :

ما الذى يسوغ فيه التقليد ؟ ومن الذى يجوز له ذلك ؟

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ :" لا يسوغ التقليد إلا فى مسائل الإجتهاد التى لادليل فيها يرجع إليه من كتاب ولا سنة "(٢)

ويضيف الشيخ الشنقيطى قسما ثانيا إلى مسائل الإجتهاد، فهى عنده على قسمين : " والإجتهاد إنما يكون فى شيئين :

أحدهما: ما لا نص فيه أصلا .

والثانى: ما فيه نصوص من ظاهرها التعارض ، فيجب الإجتهاد فى الجمع بينها ، أو الترجيح (٣)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيميه : " مسائل الإجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر ، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه ، وإذا كان فى المسألة قولان فإن كان الإنسان يظهر له رجحان أحد القولين عمل به ، وإلا قلد بعض العلماء الذين يعتمد

(١) مقدمة فى أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم حاشية صـ ٩٣
(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد صـ ٣٤٤
(٣) مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر ص ٣١٤-٣١٥ طـ المكتبه السلفية - المدينة المنورة سنة ١٣٩١هـ وقد اضاف محققا كتاب " القول السديد" للمورورى . " وكذلك يكون الاجتهاد فى " ما فيه نص " غير قطعى الدلالة على المراد منه " أ هـ . انظر حاشية صـ ٣٠ من الكتاب المذكور.

عليهم في بيان أرجح القولين والله أعلم "(١)

أما من يجوز له التقليد فهو العاجز عن معرفة الحكم الشرعي في مسألة من مسائل الدين فعليه أن يسأل عالما يثق بدينه وعلمه عن حكم تلك المسألة ، ويجوز له في تلك الحالة أن يقلده .

يقول شيخ الاسلام :" وأما من كان عاجزا عن معرفة حكم الله ورسوله ، وقد اتبع فيها من هو من أهل العلم والدين ، ولم يتبين له أن قول غيره أرجح من قوله فهو محمود يثاب ، لا يذم على ذلك ولا يعاقب "(٢)

المبحث الرابع:

وجوب التفريق بين الاتباع والتقليد :

يقول الشيخ الشنقيطي :" التنبيه الرابع : اعلم أن مما لابد منه معرفة الفرق بين الإتباع والتقليد ، وأن محل الإتباع لايجوز التقليد فيه بحال .

وإيضاح ذلك : أن كل حكم ظهر دليله من كتاب الله ، أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو إجماع المسلمين لا يجوز فيه التقليد بحال . لأن كل اجتهاد يخالف النص فهو اجتهاد باطل ، ولا تقليد إلا في محل الإجتهاد . لأن نصوص الكتاب والسنه ، حاكمة على كل المجتهدين ، فليس لأحد منهم مخالفتها كائنا من كان . ولا يجوز التقليد فيما خالف كتابا أو سنة أو إجماعا إذ لا أسوة في غير الحق .

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/٢٠٧

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/٢٢٥

فليس فيما دلت عليه النصوص إلا الإتباع فقط . ولا اجتهاد ولاتقليد فيما دل عليه نص ، من كتاب أو سنة ، سالم من المعارض .

والفرق بين التقليد والإتباع أمر معروف عند أهل العلم ، لا يكاد ينازع في صحة معناه أحد من أهل العلم "(١)

ثم بيّنَ - رحمه الله - سبب كون العمل بالوحي اتباعا لاتقليدا ، وذلك لأن الآيات القرآنية دلت على تسميته اتباعا ، ومن ذلك قوله تعالى : (اتَّبِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) (٢) ، وقوله تعالى (واتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم)(٣) ، وقوله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي)(٤) وغيرها كثير جدًا.

ومن أقوال الأئمة في هذا الموضوع ما ذكره ابن عبد البر عن ابن خويز منداد المالكي قال : " التقليد في الشرع الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه وذلك ممنوع منه في الشريعة ، والإتباع ما ثبت عليه حجة "(٥)

وقال في موضع آخر :" كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قوله لدليل يوجب ذلك فأنت مقلده والتقليد في دين الله غير صحيح وكل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله فأنت متبعه والإتباع في دين الله مسوغ والتقليد ممنوع "(٦)

---

(١) أضواء البيان ٥٤٧/٧ - ٥٤٨
(٢) الأعراف : ٣
(٣) الزمر : ٥٥
(٤) الأعراف : ٢٠٣
(٥) جامع بيان العلم وفضله ١١٧/٢
(٦) المصدر السابق .

المبحث الخامس :

ضوابط عامة فى مسألة التقليد : -

الأول :

على المقلد أن لا يتبع من قلده إلا من جهة ما هو عالم بالعلم المحتاج إليه ، ومن حيث هو طريق إلى إستفادة ذلك العلم ، فإذا علم أو غلب على ظنه أنه مخطىء توقف ولم يصر على الإتباع إلا بعد التبين ، لأن الخطأ والزلل ممكن على كل شخص.(١)

الثانى:

أن لا يصمم على تقليد من تبين له فى تقليده الخطأ شرعا .(٢)

الثالث:-

لا يستفتى العامى إلا من غلب على ظنه أنه من أهل الفتون ، وإذا كان فى البلد مجتهدون فله سؤال من شاء منهم.(٣)

الرابع :

بطلان وجوب التزام مذهب بعينه ، وهو تقليد عالم بعينه فى كل ما يأمر به وينهى عنه ، وهذا هو الأصل ،

يقول شيخ الإسلام فى تقرير الأصل السابق :" ولا يجب على أحد من المسلمين تقليد شخص بعينه من العلماء فى كل ما يقول(٤)

---

(١) الإعتصام ٢/٣٤٤

(٢) الإعتصام ٢/٣٤٥ وانظر مجموع الفتاوى ٢٠/٢١٤

(٣) مذكرة أصول الفقه للشنقيطى صـ ٣١٥

(٤) مجموع الفتاوى ٢٠/٢٠٩

الخامس:

الإستثناء من الأصل السابق ، وهو جواز اتباع مذهب معين للشخص الذي عجز عن معرفة الشرع إلا من هذا الطريق . - يقول شيخ الإسلام: "اتباع شخص لمذهب شخص بعينه لعجزه عن معرفة الشرع من غير جهته إنما هو مما يسوغ له ، ليس هو مما يجب على كل أحد إذا أمكنه معرفة الشرع بغير ذلك الطريق ، بل كل أحد عليه أن يتقي الله ما استطاع "(١)

وتكلم في موضع آخر عن هذه المسألة مبينا أن الأصل هو عدم الإنتساب لشيخ معين ، ولكن إذا كان الشخص لا يمكنه أن يعبد الله بما أمره إلا بذلك كما هو الحال في الأمكنة التي يضعف فيها الهدى والعلم والإيمان ،أو كان انتسابه إلى شيخ يزيد في دينه وعلمه فإنه في هذه الحال يفعل الأصلح لدينه ، ثم بين أن ذلك لا يكون في الغالب إلا بسبب التفريط في طلب الهدى إذا وجد.(٢)

السادس:

لا يجوز لمن انتسب لعالم من العلماء أن يوالي ويعادي على أساس هذا الإنتساب ، ومن فعل ذلك فهو من أهل البدع .

يقول شيخ الاسلام : " فمن ترجح عنده تقليد الشافعي لم ينكر على من ترجح عنده تقليد مالك ، ومن ترجح عنده تقليد أحمد لم ينكر على من ترجح عنده تقليد الشافعي ، ونحو ذلك"(٣)

وقال في موضع آخر : " ومن نصب شخصا كائنا من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو(من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) الآية "(٤)

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٠/٢٠٩
(٢) مجموع الفتاوى ١١/٥١٤
(٣) مجموع الفتاوى ٢٠/٢٩٢ وانظر كذلك ٢٠/١٦٤و ١٢/٢٥٢
(٤) مجموع الفتاوى ٢٠/٩٠٨

وقال في موضع آخر : " فأما الإنتساب الذي يفرق بين المسلمين، وفيه خروج عن الجماعة والأئتلاف ، إلى الفرقة وسلوك طريق الإبتداع ، ومفارقة السنة والإتباع ، فهذا مما ينهى عنه ، ويأثم فاعله ، ويخرج بذلك عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم " (١)

السابع :

يجوز للمقلد أن ينتقل من مذهب إلى آخر إذا كان ذلك لأمر ديني ، وليس لغرض تتبع الرخص أو ما شابه ذلك من المقاصد التي تكون لغير أمر ديني .

ومن أمثلة هذه القاعدة : أن ينتقل المقلد إلى مذهب آخر، في مسألة من المسائل بناء على قوة الحجة وظهور الدليل، فهذا فعل محمود ، وصاحبه مثاب على ذلك ، بل هذا هو الواجب المتعين على كل أحد إذا تبين له حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في أمر لا يعدل عنه .(٢)

ولو راعى المسلمون هذه الضوابط والقواعد وغيرها من القواعد التي أصلها علماء الإسلام لما وقعوا فيما وقعوا فيه من المخالفات الشرعية ، ومن التعصب الذي فرقهم شيعا وأحزابا .

---

(١) مجموع الفتاوى ٥١٤/١١

(٢) مجموع الفتاوى ٢٢٣/٢٠

الفصل السادس

الدعاية السيئة ضد أهل السنة والجماعة وعقيدتهم

الفصل السادس

الدعاية السيئة ضد أهل السنة والجماعة وعقيدتهم

من الأساليب التي استعملها أهل البدع والضلال في القديم والحديث لجذب الناس إليهم وتحبيبهم لما هم عليه من البدع، وصرفهم وتنفيرهم عن معتقد أهل السنة والجماعة هو تشنيعهم على أهل السنة بأشياء ينفر عنها كثير من الناس (١)، ومن ذلك تسميتهم للأشياء بغير اسمها لا سيما في باب توحيد الأسماء والصفات، فسموا إثبات صفات الكمال لله تشبيها وتجسيما وتمثيلا، وسموا إثبات الوجه واليدين له تركيبا، وسموا إثبات استوائه على عرشه وعلوه على خلقه فوق سمواته تحيزا وتجسيما، وسموا العرش حيزا وجهة، وسموا الصفات أعراضا، والأفعال حوادث، والوجه واليدين أبعاضا، والحكم والغايات التي تفعل لأجلها أغراضا، فلما وضعوا لهذه المعاني الصحيحة الثابتة تلك الألفاظ المستنكرة الشنيعة، تم لهم من نفيها وتعطيلها ما أرادوه، فقالوا للجهلة وضعفاء العقول: اعلموا أن ربكم منزه عن الأعراض والأغراض والأبعاض والجهات والتركيب والتجسيم والتشبيه، فصدقهم كل من كان في قلبه وقار وعظمة لله تعالى من أولئك الجهلة والمغفلين وذلك تنزيها لربهم عز وجل.(٢)

---

(١) انظر الفتاوى ٤/١٨٨ - ١٨٩.

(٢) الصواعق المرسلة لابن القيم ٢/٤٣٩ المحققة بتصرف يسير، وانظر الصواعق المنزلة له بتحقيق الدكتور احمد الغامدي والدكتور علي ناصر الفقيهي ١/٢٦٣ - ٢٦٤

ولما أراد أهل التأويل والتعليل أن يتموا غرضهم من التنفير عن الحق ، والمعتقد السليم الذى كان عليه السلف الصالح ، اخترعوا أسماءً وألقابا قبيحة لأهل السنة والجماعة (١) وذلك زورا وبهتانا من عند انفسهم .

يقول الإمام أحمد :" وقد أحدث أهل الأهواء والبدع والخلاف أسماء شنيعة قبيحة ، يسمون بها أهل السنة ، يريدون بذلك الطعن عليهم ، والإزراء بهم عند السفهاء والجهال "(٢)

فكل فرقة أو طائفة مخالفة لأهل السنة والجماعة تذكرهم بلقب أو أكثر ، وربما اتفقت طائفتان أو اكثر على نبز أهل السنة ببعض الألقاب ، حتى أصبح من أبرز علامات أهل البدع وأظهر ما يميزهم هو الوقيعة فى أهل السنة (٣) ، قال ابن أبى حاتم - رحمه الله - : " وعلامة أهل البدع الوقيعة فى أهل الأثر "(٤)

فالجهمية تسمى أهل السنة : مشبهة ، ونقصانية ، ومخالفة ، وشكاك .

والمعتزله تسميهم : مشبهة ، وحشوية ، ونابتة أو نوابت ومجبرة .

والقدرية تسميهم : مجبرة .

والرافضة تسميهم : ناصبة أو نواصب ، وعامة ، وجمهور ، ومشبهة ، وحشوية .

---

(١) انظر الصواعق المرسلة ٢/٤٤٠-٤٤١ ، الصواعق المنزلة ١ص١٦٥

(٢) السنة صـ ٤٠ .

(٣) انظر وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد باكريم ص ١٢٥ .

(٤) شرح أصول أعتقاد أهل السنة والجماعة (ح . ٣٢١)/١/١٧٩

والخوارج تسميهم : حشوية ، ونابته أو نوابت .

والاشاعرة والماتريديه وعامة المتكلمين يسمونهم : مشبهة ، ومجسمة ، وحشوية ، ونوابت ، وغثاء وغثراء . (١)

يقول ابن القيم - رحمه الله - في نونيته :

ومن العجائب أنهم قالوا لمن .. قد دان بالآثار والقرآن

أنتم بذا مثل الخوارج إنهم .. أخذوا الظواهر ما اهتدوا لمعان

فانظر إلى ذا البيت هذا وصفهم .. نسبوا إليه شيعة الإيمان

سلوا على سنن الرسول وحزبه .. سيفين سيف يدوسيف لسان (٢)

وقال في موضع آخر :

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى .. بالوحي من أثر ومن قرآن

حشوية يعنون حشوا في الوجو .. د وفضله في أمة الانسان (٣)

وقال :

كم ذا مشبهة مجسمة نو .. ابته مسبة جاهل فتان

أسماء سميتم بها أهل الحديث .. وناصري القرآن والإيمان

سميتموهم أنتم وشيوخكم .. بهتا بها من غير ما سلطان

وجعلتموها سبة لتنفروا .. عنهم كفعل الساحر الشيطان (٤)

---

(١) انظر في اطلاق هذه التسميات على أهل السنة من قبل مخالفيهم من فرق الضلال وسبب التسمية ، والرد عليهم المصادر التالية
١ - الفتاوى لابن تيميه ٥/١١٠- ١١١ - ١٢/١٧٦ ، ٤٠/١٤٦، ٨٧-٨٨ ، ٣٣/١٧٠ - ١٧١.
٢ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/١٧٩ .
٣ - وسطية أهل السنة بين الفرق ص ١٢٥-١٥٨

(٢) نونية ابن القيم ص ١٠٣ دار الباز - مكة .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٨

(٤) نونية ابن القيم ص ١٠٩

ثم رد على هؤلاء المبتدعة بقوله :

هـذا وثم لطيفـة أخرى بهـا .. سلوان من قد سب بالبهتان
تجـد المعطـل لاعنا لمجسـم .. ومشبـه لله بالانسـان
والله يصرف ذلك عن أهـل الهدى .. كمحمد ومذمـم إسمـان
هم يشتمون مذمما ومحمـد .. عن شتمهم فى معزل وصيان
صان الإله محمدا عن شتمهـم .. فى اللفظ والمعنى هما صنوان
كصيانة الأتباع عن شتم المعطـل .. للمشبه هكذا الإرشـان
والسب مرجعه عليهم اذ هـم .. أهل لكل مذمة وهـوان
وكذا المعطل يلعن إسم مشبـه .. واسم الموحد فى حمى الرحمن (١)

وقد عد العلماء وقوع هذا الأمر وهو نبز أهل الأهواء والبدع لأهل السنة والجماعة بالألقاب الشنيعة من علامات الإرث الصحيح، والمتابعة التامة ، فإن مشركى مكة الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعرضوا عن الهدى والنور الذى جاء به . كانوا يسمون النبى صلى الله عليه وسلم بأسماء قبيحة . فتارة كانوا يسمونه مجنونا ، وتارة ساحرا ، وتارة شاعرا ، وتارة كاهنا ، وتارة مفتريا ، وهو - بأبى وأمى- صلى الله عليه وسلم كان بريئا من هذه الأسماء والألقاب ، ولكنها رحمة الله تعالى حيث صرف مسبتهم له ودعاءهم عليه ، وذلك أنهم كانوا يسبون مذمما ويدعون عليه واسم رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدا فحمى الله نبيه صلى الله عليه وسلم من أن يناله شيء من أذاهم وشرهم . وفى الحقيقة لقد كانوا هم أولى الناس بهذه الأوصاف والأسماء والألقاب .

---

(١) نونية ابن القيم صـ ١١١

ولم يسلم أتباعه صلى الله عليه وسلم من بعده من هذه المسبة والإفتراء والبهتان ، فكل من سار على هديه واستن بسنته نال نصيبا من الرمى بالباطل ، والإتهام بشتى التهم والألقاب الشنيعة ، من اتباع أهل الباطل والأهواء ، ويصرف الله الأذن عن اتباع نبيه صلى الله عليه وسلم ويحميهم من كل تهمة باطلة ، وافتراء جائر ولقب قبيح .

فأهل السنة ليس لهم إلا اسم واحد ، وهذه الأوصاف لاتنطبق عليهم لا من قريب ولا من بعيد ، وإنما هى أوصاف مخالفيهم من أهل الفرقة والأهواء ، وقديما قيل " رمتنى بدائها وانسلت " فكل من نبز أهل السنة باسم أو لقب باطل ، فهو أحق به وأولى(١)

وقد قام الكثير من علماء أهل السنة ببيان بطلان ما نسب إليهم من الافتراء والكذب ، والألقاب والأوصاف التى لا تليق بهم .

وصنف فى ذلك ابوإسحاق ابراهيم بن عثمان بن درباس الشافعى(٢) جزءا سماه :" تنزيه أئمة الشريعة عن الألقاب الشنيعة(٣) " ، ذكر فيه كلام السلف وغيرهم فى معانى هذا الباب.(٤)

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١١١/٥ ، وتوضيح الكافية الشافية صـ ٩٦ لعلامة القصيم الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدى الطبعة الأولى - مكتبة ابن الجوزى سنة ٤٠٧ ، ووسطية أهل السنة بين الفرق ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٢) لم أقف على ترجمته .

(٣) انظر مجموع الفتاوى ١١١/١١٠/٥

(٤) المصدر السابق نفسه .

ولقد غلا بعض المبتدعة فى هذا الباب ، ومن ذلك أن غالب المعتزلة يطلقون لقب " المشبهة " على عامة أئمة أهل السنة ،مثل مالك (ت ١٧٩هـ) وأصحابه ، وأحمد (ت ٢٤١هـ) وأصحابه ، والشافعى (٢٠٤هـ) وأصحابه ، والثورى (١٦١هـ) واصحابه والأوزاعى (ت ١٥٧هـ) وأصحابه ، وإسحاق بن راهويه (٢٣٨هـ)واصحابه وأبى عبيد (٢٢٤هـ) وغيرهم (١)

ومن ذلك بأن الجهمية المعطلة ، شبهوا أهل السنة والجماعة باليهود والنصارى ،لاثبات أهل السنة الأسماء والصفات ، ولقولهم بأن القرآن غير مخلوق (٢)

بل أن بعض أهل البدع تجرأ على الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه ، ورماهم بالتشبيه ، كثمامة بن الأشرس (٣)الجهمى حيث قال : " ثلاثة من الأنبياء مشبهة ، موسى حيث قال : (إن هى إلا فتنتك)(٤) ، وعيسى حيث قال:(تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك)(٥) ، ومحمد صلى الله عليه وسلم حيث قال:" ينزل ربنا " (٦) " (٧)

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٥/١١٠-١١١

(٢) انظر مجموع الفتاوى ١٦/٢١٢- ٢١٤

(٣) من رؤوس الجهمية ت(٢١٣هـ)

(٤) الأعراف ١٥٥

(٥) المائدة آية ١١٦ .

(٦) متفق عليه أخرجه البخارى فى كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ٣/٢٩ ، مسلم كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب " فى الدعاء والذكر فى آخر الليل ١/٥٢١ح٦٨"

(٧) الفتاوى ٥/١١٠ وانظر وسيطة أهل السنة صـ ١٢٩

ثم نجد كذلك من المعتزلة من نبز الصحابة رضوان الله عليهم بالألقاب الشنيعة التي نبز بها عامة أهل السنة ، كما فعل عمرو بن عبيد (١) حيث قال : كان عبدالله بن عمر حشويا (٢)، فإذا تطاول أهل البدع والفرقة والضلال على الأنبياء عليهم السلام ، وعلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنبزوهم بالألقاب والأسماء الشنيعة ، فأتباع الأنبياء أهل السنة والجماعة من باب أولى أن ينالهم من ذلك الأذى والسباب والطعن من مخالفيهم من أهل البدع ، ولهم في من سبق قدوة في الرد على من أتهمهم بالباطل فقالوا : فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون .

والسبب الرئيسي لطعن أهل الأهواء والبدع في أهل السنة والجماعة هو محض الجهل والهوى . فإن جهلهم بعقائد أهل السنة والجماعة ، وعدم فهمهم لها فهما صحيحا ، نتيجة الإختلاف في مصدر التلقي ومنهجه ، مع وجود الهوى والتعصب ، كان دافعا وباعثا لهم لشتم أهل السنة والجماعة ،ونبزهم بالألقاب الشنيعة ، بل وصل الأمر إلى أن كفروهم .

وقد ذكر ابن القيم بأن الله سيحمي أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما حماه هو من إيذاء المشركين ، فكانوا يسبون مذمما - واسم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم - وهكذا هؤلاء القوم يشتمون أتباعه ، وينسبون إليهم التشبيه والتجسيم وغير ذلك ، ويسبون المجسم والمشبه ، والسلف ليسوا مجسمه ولا مشبهة ، فسبهم وشتمهم راجع عليهم .

---

(١) هو عمر بن عبيد بن باب أبو عثمان البصري - كبير المعتزله له كتاب . العدل والتوحيد والرد على القدرية - يريد أهل السنة مات بطريق مكة سنة ثلاث وقيل أربع واربعين ومائة انظر سير أعلام النبلاء ١٠٤/٦- ١٠٦ .

(٢) ابن تيميه / بيان تلبيس الجهمية ٢٤٤/١ ، منهاج السنة ٤١٦/٢ط المدني الفتاوى ١٨٦/٣ ، ١٧٦/١٢ وانظر وصاية أهل السنة صـ ١٥٠

وهذا الموقف بخلاف موقف أهل السنة والجماعة من مخالفيهم ، فكما أن أهل السنة يلتزمون بالألفاظ الشرعية فى عقائدهم وعباداتهم وسلوكهم ، فإنهم يلتزمون الألفاظ الشرعية مع مخالفيهم ، وأعدائهم ، وحتى فى إطلاقهم للأسماء والألفاظ والألقاب الشرعية فى حق مخالفيهم فإنهم يلتزمون الضوابط الشرعية .

فمثلا التبديع ، والتفسيق ، والتضليل ، والتكفير ، وكذا النفاق والشرك كل ذلك يقسمونه إلى أقسام عملية واعتقادية ، ويلتزمون بالضوابط الشرعية لاستعمال هذه الألفاظ فى حق المخالف ، ومن أهمها استيفاء الشروط ، وانتفاء الموانع فى حق الشخص المعين .(١)

فأهل السنة والجماعة أهل انصاف ، ورحمة وعدل ، ولايقابلون المخالف بالمثل ، ويراقبون الله فى أقوالهم ، كما يراقبونه فى أفعالهم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - :" فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم ، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم ، لأن الكفر حكم شرعى . فليس للإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليه وزنى بأهله ليس له أن تكذب عليه وتزنى بأهله ، لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى ، وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله"(٢)

والمنهج هو المعصوم عند أهل السنة والجماعة لا الأفراد والأشخاص ، (٣) ، ويعملون بقاعدة الإمام مالك : ((كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم "(٤)

---

(١) مر تفصيل هذا المبحث فى فصل الجهل .
(٢) الرد على البكرى ص- ٢٥٨
(٣) انظرمجموع الفتاوى ١٥٥/٤
(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر٢/ص٩١

ولذلك نجدهم يسارعون بتصحيح أى خطأ يصدر من المنتسبين إليهم ، فى أية مسألة كانت ، ويبينون الحق والصواب فى تلك المسألة ، وهذا من تمام النصح لدين الله ، ومن كمال التعاون على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وعند المقارنة بين أهل السنة والجماعة ، وبين مخالفيهم من فرق الأهواء والبدع نجد أن من يعيب بعض أهل السنة والجماعة بحشو القول : إنما يعيبهم لأحد أمرين .

الأول :

احتجاجهم بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعة أو بالآثار التى لا تصلح للاحتجاج .

الثانى :

عدم فهمهم لما دلت عليه الأحاديث الصحيحة .

ولا شك فى وجود مثل هذه الأمور عند بعض المنتسبين للسنة ، والتى قد يترتب عليها الخطأ فى حق مخالفيهم .

ولكن كل شرٍّ يكون فى بعض المنتسبين لأهل السنة فهو فى غيرهم من فرق الضلال والبدع أكثر ، وكل خير يكون فى غيرهم فهو فيهم أعلى وأعظم .

فأهل السنة وسط بين الفرق ، كما أن المسلمين عامة وسط بين بقية الملل(١)

وينبغى الإشارة إلى أن محاربة عقيدة أهل السنة والجماعة وإن كان فى توحيد الأسماء والصفات أشهر وأكثر ، إلا أن توحيد الألوهية والعبادة لم يسلم من الطعن والانتقاد من المخالفين لأهل السنة لا سيما فى العصور المتأخرة حيث قل العلم وفشا الجهل .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٤/٢٣- ٢٥ وانظر المقارنة بين أهل السنة وغيرهم فى مجموع الفتاوى ٤/٨٧-٨٨، ٥٠-٦٢، ٧٠-٧٤، ١٤٠ - ١٤٣ ، ٧/٢٨٤- ٢٨٥، ١٦/٤٧١- ٤٧٢

وابتعد الناس عن هدى النبوة .

فالمتصوفة على اختلاف فرقهم وأحزابهم انحرفوا في باب الزهد والعبادة التي كانت شعارا للعبّاد سابقا فلم يبق عند أرباب التصوف إلا الدعوى فقط .

ولذا فقد حملوا راية البغي والعدوان ضد أهل السنة والجماعة في هذا الباب .

فاصبح تقديس الأولياء ومدعي الولاية أحياءً وأمواتا هو الأصل عند كل من تأثر بهم ، وتقديم أقوالهم ومواجيدهم وكشوفاتهم ومناماتهم وأذواقهم وأحوالهم ، على الكتاب والسنة هو المصدر الذي تستمد منه العقائد والأحكام والعبادات ، فحرفوا بذلك المفاهيم ، وقلبوا الموازين .

فجعلوا " الفناء " (١) أعلى مراتب التوحيد (٢) ، وقصروا العبادة على المحبة ، وأهملوا الجوانب الأخرى كجانب الخوف والرجاء (٣) ، وقلبوا مفهوم التوسل بتجويزهم التوسل بذوات المخلوقين أحياءً وأمواتا(٤) بل ودعاءهم من دون الله لتفريج الكربات وجلب الخيرات ، وقلبوا مفهوم الشفاعة بجواز طلبها في الدنيا من الأنبياء والصالحين الميتين وذلك بدعائهم ليشفعوا لهم عند الله في قضاء الحوائج (٥) ،وبدّلوا مفهوم الولاية فحصروها في أناس معينين ، وجعلوا أهم شروطها الدروشه

---

(١) انظر في تعريفه مصرع التصوف ص ٨١ ، التصوف بين الحق والخلق لمحمد فهد سقفه ط الدار السلفية الثالثة ١٤٠٣هـ ومدارج السالكين لابن القيم ١/١٤٨ .

(٢) احياء علوم الدين ٤/٢١٢ وما بعدها ط دار الكتب العربيه

(٣) انظر مجلة البحوث الاسلامية عدد٢٢/ ص ١٥٢- ١٥٤ مقالة للشيخ صالح الفوزان بعنوان " حقيقة التصوف"

(٤) انظر دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمدبن عبدالوهاب عرض ونقض لعبدالعزيز بن محمد على العبد اللطيف ص ٢٤١- ٢٧٧ - دار طيبة - الرياض ١٤٠٩هـ
وقد ذكر نقولات كثيرة من كتب القوم المعتمدة لديهم ثم رد على شبهاتهم ونقض دعاواهم .

(٥) المصدر السابق ص ٢٧٨ - ٣٠٠

وخفة العقل ، وادعاء الغيب ، والطيران فى الهواء ، وغيرها من الأمور المضحكة ،بل عدوا من شروطها إتيان المنكرات ،وترك الواجبات وجعلوا تلك الأمور من أعظم الكرامات وخوارق العادات . (١)

وحرفوا مفهوم الذكر الذى هو من أعظم القربات ، فقسموه إلى ثلاثة أنواع : نوع للعوام ، ونوع آخر للخواص ، ونوع ثالث لخاصة الخاصة . مع ابتداع كل طريقة من الطرق لأوراد خاصة بها يسمونها الحزب ، فصدوا عامة المسلمين عن الأذكار الشرعية (٢) *

ونظرا لمخالفة الأمور السابقة لعقيدة أهل السنة والجماعة ، فقد شنع أرباب التصوف على كل من أنكر عليهم بدعهم ، فعدّوا

---

(١) انظر تصحيح المفاهيم فى جوانب من العقيدة ص ٤٩- ٥٧ - للدكتور محمد أمان بن على الجامى مكتبة ابن الجوزى - الدمام الطبعة الأولى .
وتتضح الامور السابقة عند قراءة تراجم من ترجم لهم الشعرانى فى " طبقاته "

(٢) انظر مجلة البحوث الاسلامية عدد ١٢/٢٧٩ - ٢٨١ مقالة للدكتور محمد أمان بن على الجامى بعنوان " التصوف من صور الجاهلية "

* ليس المقصود تقصي مخالفات أهل التصوف للكتاب والسنة واجماع السلف الصالح وانما المقصود ذكر أهم المباحث العقدية التى ابتدعوها ، ثم رتبوا عليها الانكار لمن خالفهم .

من أنكر الإستغاثة والتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم متنقصا له (١) ، وأن منكر ذلك يكفر ويخرج عن الملة (٢) وأن المنكرين للتوسل بالأموات مبغضين للصالحين ومنكرين لكرامات الأولياء (٣) .

والذين تهجموا على أهل السنة والجماعة ، وعلى عقيدتهم الصافية المستمدة من الكتاب والسنة ، كثير جدا ، ولا يمكن حصرهم ، ولا حصد أقوالهم .

وفى الحقيقة إن كل من خالف أهل السنة والجماعة من فرق أهل الأهواء والبدع تهجم عليهم ، وقذفهم بأشنع الألقاب والأوصاف ، فمن مقل ومكثر .

وسوف أكتفى بتقديم أنموذج للمكثرين ، وعرض بعض كلامه الذى نال فيه من أهل السنة والجماعة للتدليل على ما سبق تقريره فى هذا الفصل .

وهذا الأنموذج هو من كلام محمد بن زاهد الكوثرى .(٤)

فهذا الشخص من أشد الناس مخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة ، ومن أعظمهم عداوة وبغضا لمعتنقيه .

وقد طعن فى أهل السنة وسبهم ، وقذفهم بأشنع العبارات ، بل تجرأ على تكفير الكثير من الأئمة والعلماء ، وذلك فى مؤلفاته الشخصية ، مثل كتاب " تأنيب الخطيب " وكتاب " المقالات " أو فى تعليقاته وتحشيته .....

---

(١) الرد على البكرى صـ ٣١١ لشيخ الاسلام ابن تيميه .
(٢) المصدر السابق صـ ٣١٣
(٣) انظر " سعادة الدارين " للسمنودى صـ ، والنقول الشرعيه للشلبى ص ١٠٤،١٠٥ ، وفصل الخطاب فى بيان الصواب " للعلوى صـ ٤٢ ، " والحقائق الاسلامية " لمالك بن داود صـ ٢٥،وقد نقل الشيخ عبدالعزيز العبد اللطيف أقوال اصحاب الكتب السابقة فى كتابه " دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونقضها . وفند شبههم ، انظره ١٤٣ -١٤٥
(٤) انظر ترجمته فى . كتشنيف الأسماع لـ (أبى سليمان محمود سعيد) صـ ٢٠٥- ٢١٦ ،والاعلام لـ (الزركلى) ١٢٩/٦٠،ومعجم المؤلفين لـ (رضا كحالة) (١٠/٤-٥) .

على بعض الكتب الأخرى(١)، وأهمها تعليقاته على كتاب " السيف الصقيل " للسبكي (٢)، والذي أسماه " تبديد الظلام المخيم من ثونية ابن القيم " وتعليقاته على كتاب " الأسماء والصفات" للحافظ البيهقي (٣) ونستطيع تقسيم مطاعن الكوثري في أهل السنة والجماعة وعقيدتهم إلى ثلاثة أقسام كالتالي :

---

(١) وقد قام كثير من العلماء الغيورين بالرد على الكوثري ومنهم ٠ ـ ٠

أ ـ العلامة الشيخ عبدالرحمن بن يحي المعلمي اليماني (ت ١٣٨٦هـ) ، في كتابين هما ٠" طليعة التنكيل" و " التنكيل بما في تأنيب الكوثري من أباطيل"

ب ـ محمد عصام الكاتب في مقدمة تحقيقه لكتاب " الاعتقاد للبيهقي ٠

ج ـ الدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين في رسالته " ابن قيم الجوزية ٠ عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف " التي تقدم بها لنيل درجة الماجستير في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة

د ـ الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد في كتابه " براءة ـ أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة "

هـ ـ الطالب شمس الدين محمد أشرف الافغاني في رسالته " الماتريدية ومرقفهم من توحيد الأسماء والصفات" التي تقدم بها لنيل درجة الماجستير بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٩هـ

(٢) أبو الحسن تقي الدين علي بن عبدالكافي السبكي الكبير (ت ٧٥٦هـ)

(٣) هو الامام الحافظ ، شيخ خراسان ٠ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبدالله بن موسى البيهقي ، النيسابوري صاحب " السنن الكبير " (ت ٤٥٨) هـ ٠ انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ٣/٢٠٩ شذرات الذهب ٣/٣٠٤ ، طبقات الشافعية ٢٦٥

القسم الاول:

تهجمه على عقيدة السلف الصالح فى توحيد الأسماء والصفات.

ومن أمثلة ذلك قوله :" للمحدثين ورواة الأخبار منزلة علياء عند جمهرة أهل العلم ، لكن بينهم من تعدى طوره وألف فيما لا يحسنه فاصبح مجلبة العار لطائفته ، بالغ الضرر لمن يسايره ويتقلد رأيه ، ومن هؤلاء غالب من ألف منهم فى صفات الله سبحانه " (١)

فانظر إلى تشنيعة على المحدثين بعباراته القاسية :"تعدى طوره" - "وألف فيما لا يحسنه" - "فأصبح مجلبة العار لطائفته". وهى تهم باطلة عند التحقيق والنظر ،و كلامه هنا يقصد به الأئمة .

وقد ذكر هو بنفسه بعد الفقرة السابقة أسماء من يقصدهم بكلامه ومنهم : نعيم بن حماد ، وعبدالله بن الإمام أحمد ، وابن أبى عاصم ، وابن خزيمة ، وابن منده ، والدارمى ،والآجرى ، وابن بطة وغيرهم من الأئمة .

ولا يطعن فى هؤلاء العلماء الاثبات الثقات إلا من تعدى طوره ، وألف فيما لا يحسنه ، ويصبح بذلك مجلبة العار لطائفته

وإذا كان هؤلاء الأئمة لا يحسنون التأليف فى السنة ونصرتها فمن ذا الذى يحسن ؟

والعقيدة الإسلامية الصافية إنما تستمد من الكتاب والسنة ، وهؤلاء العلماء اجتهدوا فى نقل السنة الصحيحة التى رواها العدول عن العدول .

---

(١) مقدمة كتاب " الأسماء والصفات " للحافظ البيهقى .

وقد ينقل بعضهم أحاديث لا تصلح للاحتجاج ، ولكن يقيض الله لهذه الأحاديث من يغربلها ويميز صحيحها من ضعيفها .

ولقد نال هؤلاء العلماء الذين ألفوا في السنة شرف خدمتها ، وتبوءوا مكانة عالية ،وأظهرهم الله على مخالفيهم ، وكتب الله الإنتشار لمؤلفاتهم ومصنفاتهم في سائر الأعصار والأمصار .

ولا يفوتني التنبيه على أسلوب الإيحاء النفسي الذي استخدمه الكوثري في الفقرة السابقة ، لصد الناس عن الإعتقاد بما ورد في كتب السنة بقوله :" بالغ الضرر لمن يساير ويتقلد رأيه "

وليس المؤمن الذي يعتقد ما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مسايرا لأحد سوى الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم ، كما أنه ليس مقلدا لرأي أحد من الناس ، وإنما هو في الحقيقة متبع للسنة .

المثال الثاني:

قول الكوثري في حق علماء الحديث والسنة : " وكم بينهم من يرثى لمداركه حيث يقل عقله عن عقول الأطفال وإن بلغ في السن مبلغ الرجال .

ومن طالع ما ألفه بعض الرواة على طول القرون من كتب في التوحيد والصفات والسنة والردود على أهل النظر بشكر الله سبحانه على النور الذي أفاضه على عقله حتى نبذ مثل تلك الطامات بأول نظره " (١)

---

(١) مقدمة الكوثري لكتاب " السيف الصقيل " ص ٤-٥ مطبعة السعادة - مصر - الطبعة الأولى ١٣٥٦ - ١٩٣٧) .

هكذا يستهزىء الكوثرى ويسخر من علماء السنة وجهابذتها ويشبه عقولهم بعقول الأطفال . وعند التحقيق نجد أن الصواب عكس ما قرره الكوثرى ، فإن المدارك تقوى ، والعقول تستنير وتتضح ، بالنظر فى كتب السنة ، وتدبرها ودراستها ، والإيمان بها ، والإذعان والإنقياد لما دلت عليه .

فالعلم النافع هو الذى جىء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبلغة لأمته ، وتناقله المتبعون لسنته جيلا بعد جيل .

والمتبعون للسنة العاملون بها هم أحق الناس بشكر الله على ما أنعم به عليهم ، من الاستنارة بنورها ، والإهتداء بهديها .

أما نبذ الاخبار والآثار النبوية من أول نظرة فهو حال أهل البدع والأهواء ، كما أقر بذلك الكوثرى على نفسه . وأما أهل السنة المنتسبون إليها فهم أهل رواية ودراية ، ولهم من الموازين والأصول ما يميزون به بين الغث والسمين ، وهم أعلم الناس بمراد الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالات ألفاظه .

المثال الثالث :

تسمية الكوثرى لاعتقاد أهل السنة والجماعة فى باب الاسماء والصفات " بالوثنية " ، وأنها " أساطير " و " منطق البادية " بل تجرأ بأن أطلق عليها اسم " صرائح الكفر "(١)
وتبعا لذلك سمى " كتاب التوحيد " لابن خزيمه " كتاب الشرك "(٢).

وهذا هو غاية التهجم على عقيدة أهل السنة والجماعة .

---

(١) انظر مقالات الكوثرى صـ ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٣٠١ - ٣٣٨

(٢) تأنيب الخطيب صـ ٢٩ ، المقالات صـ ٤٠٩

وحيث إن الكتاب والسنة هما مصدر الإعتقاد الصحيح الذى عليه أهل السنة والجماعة ،فإن هذا التهجم إنما ينصرف في الحقيقه إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وفي ذلك جرأة عظيمة على دين الله،وجرم لا يساويه جرم.

القسم الثانى:

تهجمه على عقيدة السلف فى توحيد العبادة :

خالف الكوثرى عقيدة أهل السنة والجماعة فى باب توحيد العبادة فى مسائل كثيرة ،منها أنه يجوّز البناء والقباب والمساجد على القبور (١)، ويجوز إيقاد السرج والشموع على القبور تعظيما لروح الولى ، وإعلاما للناس أنه ولى ليتبركوا به ويدعوا الله عنده فيستجاب لهم (٢) ، ويجوز الصلاة إلى القبور (٣) ، ويجوز زيارتها للتبرك بها (٤) ، ويعتقد أن الاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات فيه استنزال للخيرات واستدفاع للملمات (٥) ، وأن الأنوار تفيض من مراقد الأولياء على زائريهم (٦) ويزعم أن التوسل الصحيح لغة وشرعا هو التوسل بذوات الأولياء فى حضورهم وغيبتهم وبعد موتهم (٧)، ويرى جواز التوسل بذات النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته لتفريج الكربات.(٨)

ثم يعتقد أن عقائده القبورية تلك هى العقائد الاسلاميه الثابتة بالكتاب والسنة واللغة والشرع والمعقول وإجماع الأمة.(٩)

---

(١) المقالات ص ١٥٦
(٢) المصدر السابق ص ١٥٨
(٣) المصدر السابق ص ١٥٧
(٤) المصدر السابق ص ١٥٨
(٥) المصدر السابق ص ٣٨٥
(٦) المصدر السابق ص ٣٨٦
(٧) المصدر السابق ص ٣٧٨،٣٧٩ ، ٣٨٦
(٨) المصدر السابق ٣٨٩ ،٣٩١
(٩) المقالات ١٥٧ ، ٣٧٨ - ٣٨٠

ومن لم يقل بقوله فهو متقول مفتر أفاك (١) ، وأنه متبع للهوى ، محرف للنص ومؤول بدون دليل (٢) ، ومن عاند بعد ذلك فهو زائغ عن السبيل (٣) .

وهذه التهم الأخيرة الباطلة من التعدى على أهل السنة والتشنيع عليهم من هذا المبتدع ، لأنهم لا يقولون بقوله ، بل يعتبرون عقائده السابقة من نواقض التوحيد ، وهى ما بين شرك محض وبين وسيلة إليه .

وهى مناقضة لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما بعثه الله به من إخلاص العبادة له وحده سبحانه ، وأن لايشرك معه غيره ، وأن لا يعبد تبارك وتعالى الا بما شرع .

وزعم الكوثرى أن عقائده ثابته بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، كذب وافتراء ، وزور وبهتان ، ولن يستطيع أن يأتى بدليل شرعى واحد على ما افتراه ، بل الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح على نقيض دعواه .(٤)

القسم الثالث : تهجمه على أئمة السلف :

لم يترك الكوثرى إماما من ائمة أهل السنة إلا وتهجم عليه ، ورماهم جميعا بأقذع الألفاظ ، وأشنع الألقاب ،وشتى أنواع الشتائم والسباب ، بل تعتبر كتبه لكثرة تهجمه على السلف قاموسا فى هذا الباب .

وأنزه هذه الرسالة عن ذكر ألفاظ السب والشتم التى استعملها الكوثرى فى حق أئمة أهل السنة ، وسوف أشير فقط إلى بعض المواضع التى تهجم فيها على كل إمام من الأئمة الذين سأذكر

---

(١) المقالات ص ٣٧٨
(٢) المصدر السابق ٣٨٠
(٣) المصدر السابق ٣٨٥- ٣٨٧
(٤) احسن منجمع الادلة الشرعية فى هذا البابء ورد على مثل الشبهات التى أوردها الكوثرى ابن تيميه فى كتابه النفيس " الرد على البكرى " وكذا كتاب " اقتضاء الصراط المستقيم" وكتاب " الجواب الباهر فى زوار المقابر" ، والشيخ محمد بن عبدالوهاب فى " كتاب التوحيد"

أسماءهم . فمن هؤلاء الأئمة حماد بن سلمة بن دينار (١٦٧هـ) (١) ، والدارمي (٢٨٠ هـ) (٢) وعبدالله بن الإمام أحمد (٢٩٠ هـ) (٣) ، وابن خزيمة (٣١١هـ) (٤) ، وابن أبي حاتم (٣٢٧هـ) (٥) ، والدار قطني (٣٨٥هـ) (٦) ، وأبو نصر السجزي (٤٤٤هـ) (٧) ، وابن تيمية (٧٢٨هـ) والذهبي (٧٤٨هـ) (٩) ، وابن القيم (٧٥١هـ) (١٠) ، والشافعي (٢٠٤هـ) (١١) ، والخطيب البغدادي (٤٦٣) (١٢) وابن حجر (٨٥٢هـ) (١٣) ، ومحمد بن عبدالوهاب (١٢٠٦هـ) (١٤) ، والشوكاني (١٢٥٠هـ) .(١٥)

---

(١) التأنيب صـ ١٨٦ ، ١٨٩

(٢) التأنيب صـ ٢٦ والمقالات صـ ٢٨٢- ٢٩٠، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٠٨، ٥٧٣

(٣) المقالات صـ ٣٢٣- ٣٣٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٧

(٤) التأنيب صـ ١٣٣ ، المقالات صـ ٣١٥ . ٣٣٠

(٥) التأنيب صـ ١٦٧ ، ١٦٨

(٦) التأنيب ٢٤٤ ، ٢٦١ - ٢٦٢

(٧) تبديد الظلام صـ ١٩ - ٢٠ ، ١٥٤

(٨) تبديد الظلام ٨٠، ٨١، ١٦٦، ١٦٧ ، ١٦٠ ، ١١٨ ، ١٤٠ ، ١٨٦

(٩) تبديد الظلام ١٠٠، ١٠٢، ١٧٦ - ١٧٨ والمقالات ١٨٧

(١٠) تكاد لا تخلو صفحة من صفحات تعليقاته على " السيف الصقيل " المسماة بتبديد الظلام من شتم وسب للامام ابن القيم .

(١١) التأنيب ص ٤ ، ١٠٠ ، ٢٣٠ (١٢) التأنيب صـ ١٩ - ٢٠

(١٣) اشارة الى ذلك عبدالله الغماري في كتابه " بدع التفاسير" ص ١٧٩ ط اولى ١٣٨٥هـ.

(١٤) المقالات ٣٧٤ - ٣٧٧

(١٥) المقالات ٣٣٧- ٣٣٨

وغير هؤلاء الأئمة كثير ، وقد تتبعه العلامة المعلمي - رحمه الله تعالى - في (٢٧٢) ترجمة في كتابه " التنكيل " ورده - هو أوسع الردود على افتراءات الكوثري.(١)

وقد تبين لنا من تتبع بعض تهجمات الكوثري ،مدى ما تلاقيه عقيده أهل السنة والجماعة من الدعاية السيئة التي يقصد بها صد الناس عنها ، وتنفيرهم منها ، وتشكيكهم في أئمتها .

وهذا مثال واحد فقط من الأمثلة الكثيرة في هذا الباب ، قصدت به التنبيه على أن الدعاية السيئة ضد عقيدة أهل السنة والجماعة سبب من أهم اسباب انحراف المسلمين عنها .

ومهما قيل في هذه الطائفة فهي منصورة وظاهرة على غيرها إلى قيام الساعة كما بشر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سبق وأن اشرت الى أهم الكتب التي تناولت الرد على افتراءات الكوثري .

الفصل السابع

" مخالفة أهل الأهواء والبدع لمنهج أهل السنة والجماعة في النظر والاستدلال

وفيه أربعة مباحث وهي

المبحث الاول : لأهل السنة والجماعة منهجهم كما أن لأهل البدع مناهجهم .

المبحث الثاني : مخالفة أهل الأهواء والبدع لمنهج أهل السنة والجماعة في النظر والاستدلال كان سببا في التفرق .

المبحث الثالث : منهج أهل السنة والجماعة في النظر والاستدلال .

المبحث الرابع : منهج أهل الأهواء والبدع في النظر والاستدلال .

الفصل السابع

مخالفة أهل الأهواء والبدع لمنهج أهل السنة والجماعة في النظر والاستدلال

في هذا الفصل أحاول أن ألقي الضوء على موضوع له أهميته الخاصة بأسباب التفرق والاختلاف، بل لعله أهم سبب من الأسباب المؤدية إلى التفرق * هذا الموضوع هو مخالفة فرق أهل الأهواء والبدع لمنهج أهل السنة والجماعة في النظر والاستدلال أو ما يطلق عليه أحيانا " منهج المعرفة " أو " قواعد تفسير النصوص" ، لكن الاصطلاح الأول أكثر شيوعا ،وأشمل من حيث المعنى . فكان من نتيجة هذه المخالفة لهذا المنهج ،أن وضع أهل البدع والأهواء لأنفسهم أصولا وقواعد ساروا عليها في تقرير مسائل الإعتقاد ، والتعامل مع النصوص الشرعية أدت بهم إلى ما آلوا إليه من الإعتقادات الباطلة ، والتصورات الخاطئة

يقول شيخ الاسلام : " والمقصود هنا أن السلف كان اعتصامهم بالقرآن والإيمان . فلما حدث في الأمة ما حدث من التفرق والإختلاف صار أهل التفرق والإختلاف شيعا . صار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن والإيمان ، ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم عليها يعتمدون في التوحيد والصفات والقدر والإيمان بالرسول وغير ذلك "(١)

ويقول في موضع آخر : " وأما أهل البدع من أهل الكلام والفلسفة ونحوهم فهم لم يثبتوا الحق ، بل أصلوا أصولا تناقض الحق "(٢)

---

* وتندرج تحته أسباب كثيرة كما سيتبين عند عرض أصول أهل البدع في الاستدلال ان شاء الله تعالى .

(١) مجموع الفتاوى ٥٨/١٣
(٢) مجموع الفتاوى ٤٤٠/١٦

المبحث الأول : لأهل السنة والجماعة منهجهم كما أن لأهل البدع مناهجهم :-

لقد سلك أهل السنة والجماعة في تعاملهم مع النصوص الشرعية ، وفي تقرير مسائل الإعتقاد مسلكا قويما ، ومنهجا سديدا ، مبنيًا على الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح ، فكانت ثمراته اعتقادا سليما نقيا ، وثباتا على الحق ، ومجانبة للأهواء والبدع .

ولما سلك أهل الاهواء والبدع طريقا غيره ، وخالفوه ، وقعوا فيما وقعوا فيه من الآراء الشاذة ، والشبهات المضلة .

يقول الشاطبي : " إن للراسخين طريقا يسلكونها في إتباع الحق ، وإن الزائغين على طريق غير طريقهم "(١)

ويقول شيخ الاسلام : " الكتاب والسنة والإجماع ، وبإزائه لقوم آخرين المنامات والإسرائيليات والحكايات "(٢)

وفي موضع آخر (٣) بيّن أقسام الناس في طلب العلم والدين ، وأن طرق طلب العلم ثلاثة ، طريقان مبتدعان ، وطريق شرعي أما الطريق الشرعي : فهو النظر فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، والاستدلال بأدلته ، والعمل بموجبها .

وأما الطريقان المبتدعان (٤) فهما :-

أ - طريق أهل الكلام البدعي ، والرأي البدعي .

ب - طريق أهل الرياضة والتصوف والعبادة البدعية .

---

(١) الاعتصام ٢٢٣/١

(٢) مجموع الفتاوى ٥/١٩

(٣) انظر منهاج السنة النبوية تحقيق د . محمد رشاد سالم ٤٢٨/٥ - ٤٣٠ ط جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض

(٤) انظر تحذير شيخ الاسلام لكل مسلم من أن يسلك مسالك أهل البدع في كتاب " الرد على البكري" (ص ٧٣- ٧٥) ط- الدار العلمية - دلهي الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ

المبحث الثاني . مخالفة أهل الأهواء والبدع لمنهج أهل السنة والجماعة في النظر والاستدلال كان سببا في التفرق :

كان إعراض أهل الأهواء والبدع عن الطريق المشروع ، سببا في مخالفتهم لمذهب أهل السنة والجماعة ، وكان ذلك بالتالي سببا لمفارقتهم الجماعة التي أمروا بلزومها .

يقول شيخ الاسلام : " وإنما اختلف أهل الكلام لما أعرضوا عن الكتاب والسنة ، فلما دخلوا في البدع وقع الإختلاف ،وهكذا طريق العبادة ، عامة ما يقع فيه من الإختلاف إنّما هو بسبب الإعراض عن الطريق المشروع ، فيقعون في البدع فيقع فيهم الخلاف "(١)

ومما يدل دلالة واضحة على أن خلاف أهل السنة والجماعة مع غيرهم من أهل الأهواء إنما هو خلاف في المنهج والأصول - إلى جانب ما ترتب على هذه المخالفة من اختلاف في العقائد - ما نجده في مقدمة ردود أهل السنة على أولئك المبتدعة المخالفين من النص على هذا الموضوع .

ومن أمثلة ذلك :

١ - ما افتتح به الإمام أحمد كتابه " الرد على الجهمية والزنادقة " حيث ذكر من أوصاف أهل العلم: " ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، - وتأويل الجاهلين " ثم عقّب ذلك بأوصاف أهل البدع فقال : " الذين عقدوا ألوية البدعة ، وأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب

(١) مجموع الفتاوى ١٩/٢٧٤

مجمعون على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله وفى الله ، وفى كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتن الضالين.(١)

٢ - ما افتتح به شيخ الإسلام ابن تيميه كتابه "الرد على البكرى" حيث قال فى وصف البكرى (٢) : " فإنه لجهله ليس له خبرة بالأدلة الشرعية التى تتلقى منها الأحكام ، ولا خبرة بأقوال أهل العلم الذين هم أئمة الإسلام ، بل يريد أن يتكلم بنوع مشاركة فى فقه وأصول وتصوف ومسائل كبائر بلا معرفة ولا تعرف "(٣)

٣ - ما افتتح به شيخ الإسلام - أيضا - كتابه " منهاج السنة النبوية " الذى رد فيه على الرافضة ، حيث قال : " فإن الرافضة فى الأصل ليسوا أهل علم وخبرة بطريق النظر والمناظرة ، ومعرفة الأدلة وما يدخل فيها من المنع والمعارضة ، كما أنهم من أجهل الناس بمعرفة المنقولات والأحاديث والآثار والتمييز بين صحيحها وضعيفها .

وإنما عمدتهم فى المنقولات على تواريخ منقطعة الإسناد ، وكثير منها من وضع المعروفين بالكذب بل وبالإلحاد"(٤)

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص(٦) المطبعة السلفية القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ

(٢) هو على بن يعقوب بن جبريل البكرى الشافعى (ت ٥٧٢٤هـ) - انظر حسن المحاضرة للسيوطى (١٧٨/١)

(٣) الرد على البكرى ص (٢)

(٤) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٥٨/١) - طبعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية / الرياض، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم - الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ

٤ - ما افتتح به العلامة ابن عبد الهادى (١) كتابه " الصارم المنكى فى الرد على السبكى " حيث قال فى وصفه لكتاب "السبكى"(٢) : " فوجدت كتابه مشتملا على تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة ، - وعلى تضعيف الأحاديث الصحيحة الثابتة والآثار القوية والمقبولة ، أو تحريفها عن مواضعها ، وصرفها عن ظاهرها بالتأويلات المشكرة المردوده "(٣)

والأمثلة كثيرة فى هذا الباب ، ولعل فيما ذكرته الكفاية لما يناسب المقام . واختلاف المناهج له أثر كبير وعظيم فى النتائج ، فكلما كان المنهج سليما كانت النتائج سليمة ، وبالعكس من ذلك فإن فساد المنهج يؤدى إلى فساد النتائج يقول شيخ الإسلام : " العلم أصل العمل ، وصحة الأصول توجب صحة الفروع " (٤)

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبد الهادى الحافظ صاحب التصانيف (ت ٧٤٤هـ) انظر ترجمته فى البداية والنهاية لابن كثير (٢١٠/١٤) ، الدرر الكامنة لابن حجر (٤٢٢/٣)

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) الصارم المنكى فى الرد على السبكى ص (١٩) تحقيق اسماعيل بن محمد الانصارى طبعة الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية - الرياض سنة ١٤٠٣هـ

(٤) مجموع الفتاوى ٥٣/٤ .

ويقول الدكتور فاروق أحمد حسن دسوقي : " إن اختلاف الوسائل والمناهج التي بدأ بها مفكرو الفرق بحثهم في القرآن والسنة أدى بهم في النهاية إلى التباعد والتقابل والتناقض في نتائج أبحاثهم ، مما جعلهم فرقا وشيعا وأحزابا ، أو على الأقل نقول إن اختلاف المناهج هو من أهم العوامل التي أدت إلى ظهور الفرق "(١)

ويقول محمد بن عامل العلياني :" واشد أنواع الإختلاف اختلاف المناهج والتصورات والقيم "(٢)

فإذا كان سبب تفرق الفرق هو اتباع المناهج الخاطئة في النظر والاستدلال ، فان مما عصم أهل السنة والجماعة من الزيغ والضلال هو اتباعهم للقواعد الصحيحة في النظر والاستدلال وتفسير النصوص .

وميزة منهج أهل السنة والجماعة في النظر والاستدلال هو قيامه على أصول ثابته واضحة مستمدة من نصوص الوحي وإجماع خير القرون ، لذلك نجد من نتائجه عدم تناقض الأقوال عندهم ، وقد طردوا هذا المنهج في جميع أبواب الدين وفروعه ،سواء في العقيدة أو التعبادة أو السلوك أو الأحكام أو غيرها .

وهذا بعكس أصول أهل البدع التي من أجلى سماتها ،وأوضح خصائصها ، التناقض وعدم الثبات ، والتي صورها شيخ الإسلام بقوله : " لكن كثير من هؤلاء يتناقض فيتكلم في الفقه بلون وفي أصول الفقه بلون ، وفي أصول الدين بألوان " (٣)

---

(١) قواعد منهجية للباحث عن الحقيقة في القرآن والسنة ص ٨ ط دار الدعوة / الاسكندرية / بدون سنة طبع .

(٢) منهج كتابة التاريخ الاسلامي ص (٣٨) طبعة دار طيبة بالرياض ـ ط أولى سنة ١٤٠٦هـ

(٣) الرد على البكري صـ ٢٢٨

وفيما يلى استعرض أهم الأصول العامة لمنهج أهل السنة والجماعة فى النظر والاستدلال والتى خالفها أهل الأهواء والبدع ، ثم أعقبها بذكر أهم الأصول العامة لمنهج أهل الأهواء والبدع .

المبحث الثالث : منهج أهل السنة والجماعة فى النظر والاستدلال :-

يقوم منهج أهل السنة والجماعة على أسس وأصول عامة أهمها .

الأول : الاعتصام بالكتاب والسنة ، وحصر التلقى لأحكام الدين أصوله وفروعه فى هذا المصدر ، وأن يرد الخلاف إليهما عند التنازع ، وأن لا يعارضا بشىء من المعارضات ، لا بمعقول ولا رأى ، ولا قياس ولا ذوق ولا وجد ولا مكاشفة ولا منام ولا غير ذلك . (١)

والكتاب والسنة هما الميزان الذى توزن به الأقوال والأعمال والمعتقدات . وهما الحق الذى يجب اتباعه ، وبه يحصل الفرقان بين الحق والباطل ، وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه فإن وافقه قبل ، وإلا رد على صاحبه "(٢)

وأهل السنة والجماعة يحتجون بالقرآن والسنة (٣) ،ولايفرقون بينهما كما هو حال أهل البدع ، فالسنة مبينة للقرآن موضحة له ، ولا يمكن أن يستغنى عنها بالقرآن وحده بحال من الأحوال، وهى حجة فى العقائد كما أنها حجة فى الأحكام .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ج ١٣/ ٢٨ ، ٢٩ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ج ١٦/ ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ . - وانظر مقدمة شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم (ص ٣) ط - دار المعرفة - بيروت .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ١١/ ٥٨٢ ، ١٢٠/ ٤٦٧ - ٤٦٨

(٣) انظر الفصل الثانى من الباب الثالث فى هذا البحث .

والحجة إنما تقوم بالسنة الصحيحة الثابته فقط ، لذلك اعتنى أئمة أهل السنة والجماعة بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاموا بتدوينه (١) ، وميزوا بين صحيحه وضعيفه ، وأفردوا مصنفات خاصة بالأحاديث الواهية والموضوعة ،(٢) ، وحذروا الناس منها ، وألفوا الكتب التي تخدم السنة وتشرحها . ويعتقد أهل السنة والجماعة أن العقل الصريح موافق للنقل الصحيح ،(٣) وهم لا يهملون العقل ولا يقللون من شأنه ، ولكن يعلمون أن له حدوداً يجب أن لا يتجاوزها ،وأن له مجالا يجب أن لا يتعداه .

ولذلك فهم لا يسلكون في استعماله الطريقة التي سلكها علماء الكلام في الاستدلال به وحده في المطالب الالهية ، كما لا يقدسونه إلى درجة تقديمه على كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم كما هي حال أهل الكلام .(٤)

---

(١) انظر حول هذا الموضوع بداية كتاب " تقييد العلم "للخطيب البغدادي ، " السنة قبل التدوين " لمحمد عجاج خطيب، " السنة ومكانتها في التشريع " للسباعي ،بحوث في تاريخ السنة المشرفة للدكتور أكرم ضياء العمري .

(٢) ألفت في الأحاديث الموضوعة كتب كثيرة منها . العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي ،واللآلي المصنوعة في الاحاديث الموضوعة للسيوطي ،وكشف الخفا للعجلوني ، والمقاصد الحسنة للسخاوي ، والفرائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني وغيرها .

(٣) انظر الفصل الرابع من الباب الثاني في هذا البحث .

(٤) انظر مجموع الفتاوى ١٣/١٤٧-١٤٨ ،وانظر الصفات الالهية في الكتاب والسنة النبوية للدكتور محمد أمان الجامي ص ٥٨ - ٦٨

الثاني : الأدلة الشرعية قد تكون سمعية ، وقد تكون عقلية نبه عليها الشارع . (١)

يقول شيخ الإسلام : " ثم الشرعي قد يكون سمعيا وقد يكون عقليا ، فإن كون الدليل شرعيا يراد به كون الشرع أثبته ودل عليه ، ويراد به كون الشرع أباحه وأذن فيه "(٢)

فالدليل الشرعي السمعي هو ما لا يعلم إلا بمجرد خبر الصادق ،وأما الدليل الشرعي العقلي فهو الذي دل عليه الشرع ، ونبه عليه . (٣)

الثالث : التزام النص وطرح التأويل (٤) ، فالأصل عند أهل السنة هو الأخذ بظاهر الألفاظ ، وما دلت عليه من الحقيقة (٥) .

فالقرآن نزل بلغة العرب ، ومن أراد تفهمه فمن جهة لسانهم يفهم (٦) .

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل ١٩٨/١ - ٢٠٠ ، ومجموع الفتاوى ١٣٧/١٣

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١٩٨/١

(٣) المصدر السابق ١٩٩/١

(٤) المقصود بالتأويل هنا بمعناه الحادث وهو نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي الى ما يحتاج الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ . انظر كتاب " الامام ابن تيميه وقضية التأويل " للدكتور محمد الجليندص ٣٤ ظ - عكاظ للنشر - الثالثة سنة ١٤٠٣هـ ، وقد تتبع نشأة هذا المعنى الحادث من بدايته .

(٥) انظر الصواعق المرسلة لابن القيم ٣١٠/١- ٣٢٦ تحقيق الدكتور علي بن محمد الدخيل الله .

(٦) انظر الاعتصام للشاطبي ٢٩٣/٢ - ٣٠١ ،والموافقات له ٦٤/٢ - ٩١ ، وانظر مجموع الفتاوى ١١٦/٧

ومعرفة لغة القرآن التي بها نزل ، وما قالم الصحابة والتابعون لهم بإحسان ، وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ ، يعين على معرفة ما أراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بألفاظ الكتاب والسنة ، وذلك هو أصل العلم وينبوع الهدى .(١)

يقول شيخ الاسلام : " فالمقصود أن معرفة ما جاء به الرسول وما أراده بألفاظ القرآن والحديث هو أصل العلم والإيمان والسعادة والنجاة " (٢)

وأما الألفاظ والأسماء التي بين الرسول صلى الله عليه وسلم ما يراد بها سواء كانت من الكتاب أو من السنة ، فلا يحتاج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم .

والواجب في هذه الحال هو الرجوع إلى بيان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لمعرفة ذلك .

ومن أمثلة ذلك اسم الصلاة والصيام والحج ، واسم الإيمان والإسلام والكفر والنفاق ونحوها ، فالنبي صلى الله عليه وسلم قد بين المراد بهذه الألفاظ بيانا شافيا كافيا .(٣)

ومن فروع هذا الأصل اقتصار أهل السنة والجماعة على استعمال الألفاظ الشرعية في تقرير مسائل الإعتقاد ، ونبذهم للألفاظ والمصطلحات الحادثة التي تولدت نتيجة إقحام علم الكلام والمنطق والفلسفة في العلوم الشرعية .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٣٥٣/١٧ - ٣٥٤ ، ١١٤/٧- ١١٦

(٢) مجموع الفتاوى ٣٥٥/١٧ وانظر ٤١٣/٥

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٢٨٦/٧ - ٢٨٧ ، ٢٧/١٣.

وكذلك لا يستعملون الألفاظ المجملة التي تحتمل أكثر من معنى (١) ، أما إذا استعملها غيرهم من أهل البدع ، فإنهم يستفصلون منهم عما أرادوه باستعمالها ، فما كان فيها من حق أقروه ، وما دلت عليه من باطل ردوه .(٢)

يقول ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله - :" والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة " (٣)

لذلك فإن عرض العقيدة الإسلامية يجب أن يكون بأسلوب الكتاب والسنة كما فعل سلفنا الصالح ، لا بأسلوب غريب عنها كالأسلوب الفلسفي الذي يستعمله علماء الكلام في عرضها (٤)

الرابع : الرجوع الى فهم السلف الصالح لنصوص الكتاب والسنة ، لانهم أحق الناس بمعرفة مراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقد عاصروا التنزيل ، وتربوا على يد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولازموه وخبروا أقواله وأحواله ،وكانوا أفصح الناس لسانا فبلغتهم نزل القرآن الكريم .

---

(١) مثل لفظة الجهة والحيز ،والجسم .

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٨- ٢٢٣ ،وانظر مجموع الفتاوى ٥/٤٣٢ - ٤٣٣ ، ١٢/١١٤ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٠٧ ، وانظر مجموع الفتاوى - ١٧/٣٥٥

(٤) لابن الوزير كتاب في هذا الموضوع بعنوان " ترجيح اساليب القرآن على أساليب اليونان " ولسيد قطب كلام جميد حول هذا الموضوع في مقدمة كتابه " خصائص التصور الاسلامي ومقوماته " انظر ص (٥ - ٢٤) من طبعة دار الشروق ط السابعة سنة ١٤٠٠

وقد أثنى الله عليهم في كتابه الكريم ،وشهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية والأفضلية ، فواجب على من جاء بعدهم إلى يوم القيامة الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم ،والسير على نهجهم (١)

الخامس: الجمع بين أطراف الأدلة ، وذلك بأن يرجع إلى القرآن كله ، وإلى السنة كلها قبل تقرير أي حكم أو مسألة ، وأن لا يضرب كتاب الله بعضه ببعض كما حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من ذلك .

ومن أمثلة هذا الأصل : الجمع بين نصوص الوعد والوعيد ، والجمع بين أحاديث الشفاعة وما ورد في فضل كلمة الإخلاص ، وبين الأحاديث التي دلت على شروطها .(٢)

السادس : رد المتشابه الى المحكم . (٣)

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٣/٢٣ - ٢٧

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٨/٢٧٠ - ٢٧١ ، ١١/٦٤٦-٦٤٩، ١٦/١٩٥ - ١٩٦ ، وتحقيق كلمة الاخلاص لابن رجب ص ٢ - ١٥ ط - دار الفتح - القاهرة - تحقيق أسامة حمزة ، ومعارج القبول لحافظ الحكمي ١/٣١٥ - ٣٢٠ .
وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ ص ٨٥ - ٩١ - ط المكتب الاسلامي الثالثة .

(٣) انظر كتاب " الرد على الجهمية والزنادقة " للامام أحمد بن حنبل فقد بين فيه تطبيق هذه القاعدة ،والشيخ الإسلام رسالة بعنوان " الاكليل في المتشابه والتأويل تكلم فيها عن هذا الموضوع .
انظر مجموع الفتاوى ١٣/٢٧٠ - ٣١٤ .

هذا ما تيسر لي جمعه من الأصول العامة التي تمثل منهج أهل السنة والجماعة في النظر والاستدلال . (١)

المبحث الرابع : منهج أهل الأهواء والبدع في النظر والاستدلال :

والآن أشرع في بيان أهم الأصول العامة لمنهج أهل الأهواء والبدع في النظر والاستدلال ، والتي خالفوا بها أهل السنة والجماعة ، وهي كالتالي :

الأول : اعتمادهم في معظم أبواب الاعتقاد على أصول تناقض الحق ، وهي أصول وضعها وابتدعها شيوخهم ، ثم ما كانوا أنه يوافقها من القرآن والسنة احتجوا به ، وما خالفها تأولوه (٢) ، ولذلك ليس لهم عناية بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة ، ولا بتحرير دلالتهما (٣) ، لأنهم لم يتلقوا دينهم من الكتاب والسنة ، وإنما مصدر التلقي عندهم إما من العقل

---

(١) توجد بعض الكتب والرسائل المعاصرة التي تناولت هذا الموضوع منها .
أ - الدكتور عبد الرحمن المحمود في رسالته التي تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وعنوانها " ابن تيمية وموقفه من الأشاعرة " ٤١/١ - ٦٧ ، ٤٥٣ - ٣٥٥ .
ب - محمد العبده وطارق عبد الحكيم في كتابهما " مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم " ص ٧١ - ٧٧ .
ج - الدكتور فاروق احمد حسن دسوقي في كتابه " قواعد منهجية للباحث عن الحقيقة في القرآن والسنة " .
د - عبد المجيد الشاذلي في كتابه " حد الاسلام وحقيقة الايمان " ص ١٨ - ٩٤ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٣٣٨/٣ - ٣٣٩ ، ٢٨/١٣-٢٩، ٦٠-٦٢ ، ٢٥١/١٦ - ٢٥٢ ، ٢٧٢ - ٢٧٣

(٣) انظر الرد على البكري لشيخ الاسلام ص ١٢١، ١٣١، ١٣٢، ٣٧٥-٣٧٦ ، مجموع الفتاوى ٥٨/١٣ - ٦٠ ، ٤٤٠/١٦ .

كما هو الحال عند المعتزلة والأشاعرة والماتريدية ،ومن سار على نهجهم ، وإما من الائمة الذين ادعوا فيهم العصمة كالرافضة وسائر فرق الباطنية ، وإما من الوجدان والكشف والذوق والمنامات * كما هو حال كثير من المتصوفة ، وإما من المصادر الدخيلة كالفلسفة والمنطق وهو حال علماء الكلام ، - والفلاسفة المنتسبين للإسلام (١)

الثاني : اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة ، والمكذوب فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وردهم للأحاديث التي لا توافق أهواءهم . (٢)

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٣/٣٣٨ - ٣٣٩ ، ١٣/٢٨ - ٢٩ ، ٦٠٠- ٦٣٠ ، ١٦/٢٥١ - ٢٥٢ ، ٢٧٢ - ٢٧٣

(٢) نبه على ذلك الشاطبي في الاعتصام ١/٢٢٤-٢٣١ ، وانظر أمثلة لذلك من كتب أهل البدع .
أ - الدرر السنية لأحمد بن زيني دحلان (ص ٨ ، ٩٠) ط- الحلبي - القاهرة ١٤٠٠ .
ب - مفاهيم يجب أن تصحح لمحمد علوي مالكي (ص ٤٦، ٥١، ٦٥ ، ٦٦، ٦٧) طبعة مصرية ١٤٠٥هـ .
ج - بغية المستفيد لمحمد العربي التبجاني (ص ١٢٥) ط الحلبي الأولى سنة ١٣٨٠هـ .

(*) انظر حول استناد المتصوفة الى المنامات على شرعية كثير من العبادات والأوراد :
١ - جواهر المعاني وبلوغ الأماني لعلي حرازم التيجاني ١/١٢٩ ، ١٠/٣٠ - ٣١ ، ٢/٢٢٨ الطبعة الأولى .
٢ - بغية المستفيد لمحمد العربي ص ٧٩، ٨٠ .
وقد نبه الشاطبي على هذا المأخذ لأهل البدع في الاستدلال في كتابه الاعتصام ١/٢٦٢ .

الثالث : اتباعهم للمتشابهات (١) وتخرصهم على الكلام في الكتاب والسنة مع جهلهم باللغة العربية (٢) ،وجهلهم بأقوال السلف الصالح ، حتى أصبح شعار أهل البدع هو : ترك انتحال اتباع السلف (٣) .

الرابع : تحريفهم للأدلة عن مواضعها ،بأن يرد الدليل على مناط فيصرفونه عن ذلك المناط إلى أمر آخر موهمين أن المناطين واحد .(٤) .

الخامس : فهمهم لباب التأويل الفاسد للنصوص الشرعية بدون دليل . (٥)

---

(١) انظر الاعتصام ٢٣٩/١

(٢) انظر الاعتصام ٢٣٧/١

(٣) انظر مجموع الفتاوى ١٥٥/٣ ، ١٧٣/٧ ، ٢٢٨ ، ١١٥/١٢

(٤) انظر الاعتصام (٢٤٩/١) ،وقد ذكر الشاطبي أمثلة لهذا المسلك ، ومنها تخصيص الذكر المشروع بكيفية معينة أو هيئة معينة كالذكر الجماعي الذي يفعله بعض أهل البدع .

(٥) انظر حول هذا الموضوع المراجع التالية :

أ - الصواعق المرسلة لابن القيم ، وقد تكلم عن هذا الموضوع في جل كتابه المذكور ، وذكر الأسباب التي تسهل على النفوس الجاهلة قبول التأويل مع مخالفته للبيان (٤٣٦/٢ - ٤٥١) ،وذكر الطرائق الأربع التي هدم بها أصحاب التأويل الباطل معاقل الدين (٦٣٢/٢) ثم أتى عليها جميعا بالنقض .

ب - الاعتصام للشاطبي ٢٥٢/١ .

ج - شرح العقيدة الطحاوية ص "(٢١٢ - ٢١٦)

د - مقدمة رسالة " قانون التأويل " لابن العربي ص(٢٢٩-٢٥٥) تحقيق الدكتور محمد السليماني .

ط - دار القبلة - جده - الأولى سنة ١٤٠٦ هـ .

هـ - مقدمة كتاب " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣٨/١) تحقيق الدكتور احمد سعد حمدان .

و - وسطية أهل السنة والجماعة للدكتور محمد بكريم ص (٣٣٠)

وقد كان هذا الأمر من أعظم عوامل تفرق الأمة الاسلامية ،بل والأمم الأخرى من قبلهم ، يقول ابن القيم :" وبالجملة فافتراق أهل الكتاب وافتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إنما أوجبه التأويل " (١)

ويقول ابن ابى العز الحنفى : " وهل خرجت الخوارج ،واعتزلت المعتزلة ورفضت الروافض ، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، إلا بالتأويل الفاسد ؟ "(٢)

السادس : الغلو والإفراط فى مسائل الإعتقاد ، كغلو المتصوفه فى مسألة المحبة ، وكغلوهم فى الصالحين والمشايخ ،وكغلو الخوارج والمعتزلة فى آيات الوعيد ، وغلو الجبرية فى إثبات القدر (٣)

السابع : تحكيم العقل فى النقل وتقديمه عليه ، واعتبار العقل هو الأصل والأساس فيما يقبل ويرد ، وفيما يصح أولا يصح ، ويجوز على الله أو لا يجوز (٤)

الثامن : استدلالهم بحكايات منقولة إما مكذوبة عن أحد الأئمة ، وإما منقولة عن مجهول من الناس ، على حجية عمل من الأعمال التعبدية . (٥)

وهكذا نبين لنا كيف أن مخالفة أهل الأهواء والبدع لمنهج أهل السنة والجماعة فى النظر والإستدلال كان من أعظم أسباب تفرقهم عنهم ومفارقتهم .

---

(١) إعلام الموقعين ٣١٧/٤

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص (١٨٩)

(٣) انظر الاعتصام ٢٥٨/١ ، ووسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد باكريم ص ٣٣٠ .

(٤) انظر وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد باكريم ص ٣٣١ . وقد أفردت فصلا خاصا لهذا الموضوع لخطورته انظر الفصل الرابع من الباب الثانى فى هذا البحث .

(٥) إقتضاء الصراط المستقيم ٦٨٤/٢- ٦٨٧ومن ذلك الحكاية المكذوبة على الامام مالك - رحمه الله - فى أنه جوز التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد بين زيفها شيخ الاسلام ابن تيميه فى كتابه "قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة " ص ٦٨- ٨٥ - ط المكتبة العلمية - بيروت .

الباب الثالث

" السبيل إلى لزوم الجماعة"

ويشتمل على خمسة

فصول

الفصل الأول : تصحيح الاعتقاد والرجوع إلى عقيدة السلف الصالح .

الفصل الثاني : تحكيم الكتاب والسنة .

الفصل الثالث : الإخلاص وتجريد المتابعة .

الفصل الرابع : طلب العلم الشرعي والتفقه في الدين

الفصل الخامس : طلب الحق وتحريه واتباع الدليل والالتزام به .

* * * *

الباب الثالث

السبيل الى لزوم الجماعة

تمهيد :

وكما دلت نصوص الكتاب والسنة على الحق والهدى فانها تدل أيضا على الطريق الصحيح الذى يوصل من سلكه اليهما . وحذرت من سلوك السبل المعوجة ، والجواد المنحرفة التى تورد صاحبها المهالك ، وتقوده الى مهاوى الضلال ، ومراتع الغواية .

فقد جاء فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الحث على اتباع سبيل المؤمنين السابقين ، وترسم خطاهم ، والسير على نهجهم ، والاقتداء بسيرتهم ، لما خصهم الله تعالى به من المزايا العظيمة ، والخصال الحميدة .

كما أمر الله تعالى عباده بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واتباع كتابه الكريم ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، و تحكيمها فى كل شأن من شئون الحياة ، والرد إليهما عند الإختلاف والتنازع .

ثم جاءت الأحاديث النبوية مؤكدة لذلك الأمر ، ومبينة له .

وتضافرت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على بيان فضيلة العلم الشرعى ، وأهميته التفقه فى دين الله تعالى ، والمدح والثناء لأولى العلم ، وما لهم عند الله من الدرجة الرفيعة ، وجزيل المثوبة .

ومما بينه الله عز وجل فى كتابه أن الطريق طريقان : إما الحق والهدى ، وإما الباطل والضلال . وأن الحق أحق أن يتبع .

كما أن الإخلاص لله عز وجل ، وصدق النية ، مع ما فطر الله تعالى عباده عليه من الحنيفية السمحة ، وما وهبهم من نعمة العقل والتفكر والسمع والبصر معينة لهم اذا استعملت فيما هى له - على نبذ الشهوات والشبهات والاستجابة لما أرسل به رسله ، وأنزله فى كتبه من الهدى والبينات .

ونستنتج من خلال ما تقدم الأصول الأصيلة ، والأسباب الرئيسة التى توعدى بمن تمسك بها ، وجاهد نفسه على العمل بها ، إلى لزوم الجماعة التى أمره الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بلزومها ، ويمكن إجمال هذه الأصول على النحو التالى :

الأول : تصحيح الإعتقاد والرجوع إلى عقيدة السلف الصالح .

الثانى : تحكيم الكتاب والسنة .

الثالث : الإخلاص لله تعالى ، وتجريد المتابعة للنبى صلى الله عليه وسلم .

الرابع : طلب العلم الشرعى والتفقه فى الدين .

الخامس : طلب الحق وتحريه ، واتباع الدليل والإلتزام به .

وفيما يلى تفصيل كل أصل من هذه الأصول - فى الفصول التالية

الفصل الاول

" تصحيح الاعتقاد والرجوع الى عقيدة السلف الصالح"

وفيه ثمانية مباحث

المبحث الاول : المقصود بالسلف الصالح .

المبحث الثاني: الأدلة على وجوب اتباع السلف الصالح ولزوم مذهبهم .

المبحث الثالث: إهتمام العلماء بعقيدة السلف الصالح .

المبحث الرابع: منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة .

المبحث الخامس: خصائص ومميزات عقيدة السلف الصالح .

المبحث السادس: خصائص أهل السنة والجماعة ومميزاتهم .

المبحث السابع: تعريف بعقيدة أهل السنة والجماعة .

المبحث الثامن: علماء رجعوا إلى عقيدة السلف الصالح .

* * * * *

الفصل الأول

تصحيح الإعتقاد والرجوع إلى عقيدة السلف الصالح

لما كانت العقيدة هي الركيزة الأساسية في هذا الدين وهي القاعدة المتينة التي ينبني عليها سائر فروعه ، ومناط السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة . ، كانت صحة الإعتقاد سببا في صحة كل ما ينبني عليه من القضايا والأمور ،والعكس صحيح .

وكما يتبين لنا من فصول هذه الرسالة السابقة فإن سلامة الإعتقاد وصحته هي الطريق الوحيد لإقامة المجتمع المسلم المترابط المتآلف ، ولا سبيل إلى اجتماع الأمة الإسلامية قادلبة ، ووحدة صفها ، وعزها وسعادتها في الدنيا والآخرة إلا بالعودة الصحيحة إلى الإسلام الصافي النقي الخالص من شوائب الشرك والبدع والأهواء .

وهذا يقتضي من كل مسلم أن ينبذ كل المذاهب والمناهج الحادثة المخالفة لما كان عليه سلف الأمة ، وأن تكون له عناية فائقة بمذهب السلف الصالح وعقيدتهم ومنهجهم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه :" وإذا تأمل اللبيب الفاضل هذه الأمور (١) تبين له أن مذهب السلف والأئمة في غاية الإستقامة والسداد ، والصحة والإطراد ، وأنه مقتضى المعقول الصريح والمنقول الصحيح ، وأن من خالفه كان مع تناقض قوله المختلف الذي يوفك عنه من أفك خارجا عن موجب العقل والسمع ، مخالفا للفطرة والسمع "(٢)

---

(١) يقصد اختلاف أهل البدع في مسائل الإعتقاد واضطرابهم فيها.
(٢) مجموع الفتاوى ، ٥/٢١٢ - ٢١٣

ويقول الدكتور مصطفى حلمى ." واذا كان المسلمون يتلمسون اليوم طريقا للنهوض ، فليس لهم من سبيل الا وحدة جماعتهم ، ووحدة الجماعة ليس لها من سبيل الا الاسلام الصحيح . والاسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة ، وهذه خلاصة الاتجاه السلفى"(١)

ويقول الدكتور صالح بن سعد السحيمى واصفا أهمية جانب الإعتقاد ، وموضحا لدوره فى وحدة المجتمع المسلم " هو العامل الأول ، والركيزه الأساسية التى ينبنى عليها كيان المجتمع الإسلامى ، وتنضوى تحت لوائها صفوف المسلمين . منها يستلهمون طريق وحدتهم ، وعلى ضوئها يشقون طريقهم إلى أعلى قمم المجد والعلى ، وبهداها ومبادئها القيمة يفتحون القلوب قبل أن يفتحوا الأمصار والأقطار"(٢)

المقصود بالسلف الصالح :

معنى "السلف لغة" : يقول ابن فارس : " السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق ، من ذلك السلف الذين مضوا ، والقوم السلاف . المتقدمون " (٣)

معنى "السلف" اصطلاحا: اختلفت آراء الباحثين حول مدلول هذا المصطلح ، وعلى من ينطبق، على أقوال كثيرة (٤) أهمها أربعة :

---

(١) قواعد المنهج السلفى صـ ١٣

(٢) منهج السلف فى العقيدة وأثره فى وحدة المسلمين صـ ٤ ط أولى سنة ١٤٠٩ .

(٣) معجم مقاييس اللغة ، مادة :" سلف " (٩٥/٣) .

(٤) انظر موقف ابن تيميه من الأشاعرة للدكتور عبدالرحمن المحمود ٢٢/١ - ٢٦

الأول
ـــــ . يرى البعض تحديد مذهب السلف بفترة معينة لا يتعداها ، ثم يزعم أصحاب هذا القول أن الفكر الاسلامى قد تطور بعد ذلك على يد رجاله .

الثانى
ـــــ . والبعض الآخر يرى أن السلف نصيون ، يعتمدون على النصوص فقط ، ولا يعولون على العقل فى شىء ، وأنهم بالتالى يسلمون للنصوص دون فهم لما دلت عليه ، ويفوضون معانيها الى الله تعالى ، وأنهم اشتغلوا بما يرونه أنفع من أنواع العبادة والقربات .

الثالث
ـــــ وفئة تزعم أن ما نشأ من الدراسات العقلية فى علم الكلام ، نشأ من مذهب السلف نفسه ، لا بسبب تأثير خارجى.

الرابع .
ـــــ يزعم أصحابه أن مذهب السلف يشتمل على عدة اتجاهات وتيارات ، وأن هذه التيارات وان تباينت فى المنهج ،الا انها تلتقى فى أنها قامت ونشأت على يد علماء الاسلام .

وقد أخطأ أصحاب هذه الأقوال فى تحديد المقصود بالسلف ، وذلك لأنهم نظروا الى المسألة بناء على أصول منهجية غير صحيحة ، ولم ينطلقوا من منطلق شرعى واضح .

ولكى نصل الى مفهوم صحيح يحدد المقصود بمصطلح السلف تحديدا دقيقا لابد لنا من اعتبار بعض الأمور المهمة فى المسألة وهى .

الامر الأول
ـــــ معرفة التحديد الزمنى لبيان بداية مذهب السلف ، وقد تباينت فيه الأقوال أيضا على أربعة أقوال (١). فمن

---

(١) انظر وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد باكريم ص ٩٢-٩٤

العلماء من قصر ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم - فقط ، ومنهم من قال بأنهم الصحابة والتابعون ، ومنهم من قال بانهم الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين ، ومنهم من قال بانهم من كانوا قبل الخمسمائة .

والقول الصحيح والمشهور والذى عليه جمهور علماء أهل السنة هو القول الثالث ، الذى يعتبر المقصود " بالسلف " - من الناحية الزمنية - القرون الثلاثة المفضلة التى شهد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية.

الامر الثانى

- - - - - أن التحديد الزمنى غير كاف لتحديد مفهوم "السلف" لاننا نلاحظ أن كثيرا من الفرق والبدع ظهرت فى تلك الفترة الزمنية .

لذلك فوجود شخص ما فى هذا الزمن لا يكفى للحكم عليه بانه سائر على مذهب السلف ، مالم يكن موافقا للكتاب والسنة فى أقواله وأفعاله ، متبعا لامبتدعا . (١)

لذلك نلاحظ أن كثيرا من العلماء يقيد هذا المصطلح عند استعماله فيقول " السلف الصالح " وان كان الاطلاق جائزا لاصطلاح العلماء على ذلك ، يقول الدكتور أبو اليزيد العجمى . - " وبهذا فان لفظ السلف حين يطلق يجب أن يصرف لا الى مجرد السبق الزمنى ، بل الى أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وتابعيهم ومن بعدهم بشرط الالتزام بمنهجهم . " (٢)

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٩٥-٩٦،وانظرموقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبدالرحمن المحمود ١/٢٧ .

(٢) مجلة البحوث الاسلامية العدد الخامس عشر ص ١٧٨ ، مقالة الدكتور أبو اليزيد العجمى بعنوان" اهتمام علماء المسلمين بعقيدة السلف ."

الأمر الثالث

- - - - - - - أنه بعد ظهور الفرق وحصول الافتراق ، أصبح مدلول " السلف " منطبقا على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج الاسلامي طبقا لفهم القرون الأولى الفاضلة .(١)

واعتبر العلماء هذا اللفظ - مرادفا للأسماء الشرعية الأخرى لأهل السنة والجماعة .(٢)

الأدلة على وجوب اتباع السلف الصالح ولزوم مذهبهم .

أ - من القرآن الكريم :

قال الله تعالى : (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (النساء : ١١٥)

وقال تعالى : (والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ والَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)(التوبه ١٠٠)

فتوعد من اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم ، ووعد متبعهم بالجنة والرضوان .

ب - من السنة .

عن عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ." خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته "(٣)

---

(١) انظر موقف ابن تيميه من الأشاعرة للدكتور عبدالرحمن المحمود ٢٨/١ ، وقواعد المنهج السلفى للدكتور مصطفى حلمى صـ ٢٣

(٢) وهذه الاسماء هى . الجماعة ، أهل السنة والجماعة ، أهل الحديث ، أهل الأثر جماعة المسلمين ،الفرقة الناجية ، الطائفة المنصورة . انظر المصادر السابقة لمزيد الفائدة . قواعد المنهج السلفى صـ ٢٣ - ٣١ ، موقف ابن تيميه من الاشاعرة ٦/١-٢١ ، وسطية أهل السنة ص ٨٦ - ١٢٤ ، حكم الانتماء صـ ٣١-٣٦.

(٣) متفق عليه - أخرجه البخارى (١٩٩/٥) ٦/٧/١١٠٦/٤٦٠) ومسلم (١٨٤/٧ - ١٨٥)

فشهد لهم صلى الله عليه وسلم بالخيرية والأفضلية .

وفى حديث العرباض بن سارية الطويل قال صلى الله عليه وسلم . " فانه من يعش بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة "(١)

فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم أمته بان يتجعوا سنته وسنة من بعده من الخلفاء الراشدين ، وذلك عند وقوع الاختلاف والتفرق .

كما جاء فى وصف الفرقة الناجية فى حديث الافتراق (٢) قول النبى صلى الله عليه وسلم . " ما أنا عليه اليوم وأصحابى" فمتبعهم اذا يكون من الفرقة الناجية ، ومخالفهم يكون من أهل الوعيد .

د - من أقوال السلف الصالح .

عن عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - . " اتبعوا ولا تبتدعوا ، فقد كفيتم " (٣)

وعنه أيضا . " انا نقتدى ولا نبتدى ، ونتبع ولا نبتدع ، ولن نضل ما تمسكنا بالاثر "(٤)

---

(١) أخرجه أحمد (٤/١٢٦، ١٢٧) ،وأبو داود (٤٦٠٧) ، والترمذى (٢٦٧٦) ، والدرامى (١/٤٤) ، والبغوى فى "شرح السنة" (١/٢٠٥) ، والحاكم (١/٩٥) وصححه ووافقه الذهبى ، ورواه ابن أبى عاصم فى " السنة " (ح . ٣٢) وصححه الشيخ الالبانى ، ورواه اللالكائى (ح . ٨١) ، والآجرى فى الشريعة " (ص ٤٦) ، ومحمد بن نصر فى " السنة " (ص٢١)

(٢) سبق تخريجه فى الفصل الثانى من الباب الأول .

(٣) أخرجه وكيع فى الزهد (٣١٥) وعنه الامام أحمد (٢. ١١٠)، والطبرانى فى الكبير (٩. ١٦٨ برقم ٨٧٧٠) ،والدارمى (٢١١) ، وابن وضاح (١٣)

(٤) أخرجه اللالكائى فى " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (ح . ١١٥، ١٠٦) .

وعنه رضى الله عنه . " من كان منكم متأسيا فليتأسى بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، وأقومها هديا ، وأحسنها حالا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه واقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم فى آثارهم ، فانهم كانوا على الهدى المستقيم "(١)

وقال الأوزاعى . " اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح ، فانه يسعك ما وسعهم "(٢)

وقيل لابى حنيفة . ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام فى الاعراض والأجسام ؟ فقال . مقالات الفلاسفة ، عليك بالأثر وطريقة السلف ، وايالك وكل محدثة ، فانها بدعة "(٣)

وعن محمد بن سيرين . " كانوا يقولون . اذا كان الرجل على الأثر فهو على الطريق "(٤)

اهتمام العلماء بعقيدة السلف الصالح :

لقد كان لائمة أهل السنة والجماعة عناية كبيرة ، واهتمام بالغ بعقيدة السلف الصالح ، فألفوا الكتب الكثيرة فى بيانها وايضاحها من جهة ، وفى الرد على أعدائها ومخالفيها - من شتى الطوائف والفرق - من جهة أخرى ومذهب السلف وعقيدتهم انما يعرف بالنقل عنهم ، لا بمجرد الزعم والتخرص ، كما هو حال بعض أهل البدع .

---

(١) أخرجه ابن عبد البرفى " جامع بيان العلم وفضله " (٩٧٠٢) ، كما اخرج عن الحسن البصرى كلاما نحوه .
(٢) أخرجه الآجرى فى " الشريعة " (ص . ٥٨) ، والخطيب فى " شرف أصحاب الحديث " (ص . ٧)
(٣) صون المنطق والكلام للسيوطى (ص . ٣٢)
(٤) الابانة عن شريعة الفرقة الناجية (ح . ٢٤٢)

والعلماء حينما دونوا عقيدة السلف انما دونوها مسندة ، وذكروا ألفاظهم فى ذلك بالأسانيد المعتبرة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه : " ومن المعلوم أن مذهب السلف إن كان يعرف بالنقل عنهم فليرجع فى ذلك الى الآثار المنقولة عنهم ، وان كان يعرف بالاستدلال المحض بأن يكون كل من رأى قولا عنده هو الصواب قال : " هذا قول السلف ، لأن السلف لايقولون الا الصواب ، وهذا هو الصواب " ، فهذا هو الذى يجرىء المبتدعه على أن يزعم كل منهم : أنه على مذهب السلف ، فقائل هذا القول قد عاب نفسه بنفسه حيث انتحل مذهب السلف بلا نقل عنهم ، بل بدعواه : أن قوله هو الحق .

وأما أهل الحديث : فإنما يذكرون مذهب السلف بالنقول المتواتره ، يذكرون من نقل مذهبهم من علماء الاسلام ، وتارة يروون نفس قولهم فى هذا الباب ، كما سلكناه فى جواب الاستفتاء .

فإنّا لما أردنا أن نبين مذهب السلف ذكرنا طريقين :

أحدهما :

ـــــ أنا ذكرنا ما تيسر من ذكر ألفاظهم ، ومن روى ذلك من أهل العلم بالأسانيد المعتبرة .

والثانى :

ـــــ أنا ذكرنا من نقل مذهب السلف من جميع طوائف المسلمين من طوائف الفقهاء الاربعة ، ومن أهل الحديث والتصوف ، وأهل الكلام كالأشعرى وغيره .

فصار مذهب السلف منقولا بإجماع الطوائف وبالتواتر ، لم نثبته بمجرد دعوى الاصابة لنا ، والخطأ لمخالفنا ، كما يفعل أهل البدع "(١)

ونلاحظ أن تدوين العقيدة السلفية قد واكب تدوين السنة

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/١٥١ - ١٥٢ ، وفى هذا رد على من يفترى على شيخ الاسلام بأنه ابتدع دينا من عنده وخالف اجماع المسلمين .

النبوية سواء بسواء ، ومن ثم فان الذين عنوا بالسنة وتدوينها هم أول من عنى بالعقيدة وتدوينها . وقد لا ينتبه كثر من اتباع الأئمة الأربعة الفقهاء ، أن لائمتهم سبق فى هذا المضمار ، وأن ما نقل عن بعضهم من أقوال ، أو تأليفات يعتبر بداية لتدوين عقيدة أهل السنة والجماعة .

فالإمام مالك (١٧٩هـ) عقد بابين فى كتاب " الجامع " من موطأه عن القدر(١) واشار فيهما الى الرد على القدرية .

وللامام أبى حنيفة (١٥٠) كتابان فى العقيدة هما :الفقه الأكبر (٢) ، والوصية ، وقد نُقِلَ عن الإمام الشافعى كلام كثير ينتصر فيه لعقيدة أهل السنة والجماعة ، ويرد به على أهل البدع والأهواء كأهل الكلام ونحوهم . (٢٠٤هـ)

أما أبرز الائمة الأربعة والذى كان له باع فى نصرة عقيدة أهل السنة والجماعة ، والدفاع عنها ، وتحمل فى سبيل ذلك الأذى والمحن ، فهو الامام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) وله عدة كتب خاصة فى العقيدة ، الى جانب ما دونه فى " مسنده " وأهم هذه الكتب :

١ - السنة .

٢ - الإيمان .

٣ - الرد على الزنادقة والجهمية .

٤ - فضائل الصحابة .

كما أن له مسائل فى العقيدة دونّها تلاميذه .(٣)

---

(١) هما . النهى عن القول بالقدر،وجامع ما جاء فى أهل القدر .

(٢) مطبوع .

(٣) قدمت رسالة دكتوراه لقسم العقيدة بالجامعة الاسلامية ١٤٠٩ بعنوان " المسائل والرسائل المروية عن الامام أحمد بن حنبل فى العقيدة " للدكتور عبدالاله بن سلمان الاحمدى وكتب الامام أحمد المذكورة كلها مطبوعه ما عدا الاخير.

ثم يأتى دور بقية أئمة الحديث الذين دونوا السنة النبوية ، وفى مقدمتهم الامام البخارى (ت ٢٥٦هـ) الذى أفرد فى صحيحه أبوابا مهمة فى العقيدة ، أهمها . كتاب الايمان ، وكتاب الإعتصام بالكتاب والسنة ، وكتاب التوحيد .

كما أن له كتبا أخرى مستقلة أفردها فى بيان العقيدة الصحيحة والرد على مخالفيها وأهم هذه الكتب :

١ - كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة (١)

٢ - خلق أفعال العباد .

ثم يأتى دور الإمام مسلم (٢٦١هـ) ، الذى خص هو الآخر أبوابا فى صحيحه لتقرير العقيدة الصحيحة ، والرد على من خالفها ، ومن ذلك . كتاب الإيمان ، وكتاب القدر . وكذا فعل الإمام الترمذى (٢٧٩هـ)

أما الإمام ابن ماجة (٢٧٣هـ) فقد افتتح " سننه " بمقدمة ذكر فيها الرد على من خالف السنة ، وعقيدة السلف الصالح .

وفعل مثله الإمام أبو داود (٢٧٥هـ) حيث جعل فى آخر" سننه" كتابا أسماه "كتاب السنة " رد فيه على أهل البدع بمختلف طوائفهم وفرقهم .

واهتمام علماء الحديث والسنة بعقيدة السلف الصالح ، والرد على مخالفيها ، وتدوينها ضمن مصنفاتهم الحديثية هو فعل أغلبيتهم ، كالدارمى (٢٥٥هـ) فى بداية " سننه " وعبدالرزاق بن همام الصنعانى (٢١١هـ) فى " مصنفة " وابن أبى شيبة (٢٣٥هـ) فى مصنفة أيضا " كما أن لابن أبى شيبة كتابا منفصلا

---

(١) أشار البخارى الى هذا الكتاب فى صحيحه انظر فتح البارى ١٣/١٤٥ - ١٤٦

اسمه " الإيمان " (١)

أما الكتب الخاصة المؤلفة فى عقيدة أهل السنة والجماعة ، والرد على مخالفيها فهى كثيرة جدا ، ولا يكاد يخلو عصر من العصور إلا ونجد فيه عالما من العلماء الأفذاذ يصنف كتابا فى ذلك ، إبتداء من القرون الفاضلة وإلى يومنا هذا (٢)

وسوف أذكر أشهر العلماء الذين لهم مؤلفات فى هذا الباب الى أواخر القرن الرابع الهجرى تقريبا . وليس القصد الإستقصاء والحصر ، وإنما القصد إيراد الأمثلة على اهتمام العلماء بعقيدة السلف الصالح وتدوينها .

وفيما يلى ذكر اسماء بعض العلماء وأسماء مصنفاتهم فى هذا الباب : -

١ - محمد بن يحيى العدنى (ت ٢٤٣ هـ) وله كتاب " الإيمان"

٢ - أبو بكر بن الأشرم (٢٧٢هـ) وله كتاب " السنة "

٣ - عبدالله بن مسلم بن قتيبه (٢٧٦هـ) وله من الكتب .

أ - الإختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية .

ب - تأويل مشكل القرآن .

ج - تأويل مختلف الحديث .

وكتبه كلها مطبوعة .

٤ - عثمان بن سعيد الدارمى (٢٨٢هـ) وله كتابان :

أ - الرد على الجهمية .

ب - الرد على بشر المريسى .

٥ - ابن أبى عاصم (٢٨٧هـ) وله كتاب " السنة " .

٦ - عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل (٢٩٠) هـ وله كتاب" السنة"

---

(١) وهو مطبوع .

(٢) انظر العقيدة الحموية لشيخ الإسلام صـ ٩٩- ١٠٠ ،

ومقدمة المحقق لشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى ١/٥٠-٥١، ومقدمة المحقق للإبانة الكبرى لابن بطة ١/٧ -٨ وانظر مجلة البحوث الاسلامية العدد الخامس عشر ص ١٧٣-١٧٤ مقالة بعنوان " اهتمام علماء المسلمين بعقيدة السلف" للدكتور أبو اليزيد العجمى ، وانظر رسالة "العقيده السلفية فى مسيرتها التاريخية وقدرتها على مواجة التحديات ٢/١٠٣٨-١٠٩٠ ،وهى رسالة تقدم بها الدكتور محمدبن عبدالرحمن المغراوى لنيل درجة الدكتوراه بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٦هـ (غير مطبوعة)

٧ ـ محمد بن نصر المروزى (٢٩٤هـ) وله كتابان :

أ ـ السنة .

ب ـ تعظيم قدر الصلاة " وقد ذكر فيه مسائل تتعلق بالإيمان ورد فيه على بعض الفرق المنحرفة "

٨ ـ الامام الطبرى (ت ٣١٠ هـ) وله :

أ ـ صريح السنة (مطبوع) .

ب ـ تهذيب الآثار (مطبوع) .

جـ ـ التبصير فى أصول الدين . (مخطوط) .

٩ ـ الخلال (٣١١هـ) : وله كتاب " السنة "(١)

١٠ ـ ابن خزيمة (٣١١هـ) : وله كتاب " التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل " (٢)

١١ ـ الإمام الطحاوى (٣٢١هـ) : وله كتاب "العقيدة الطحاوية" وقد شرحها ابن أبى العز الحنفى(٧٩٢هـ) وقد طبعت عدة طبعات .

١٢ ـ أبو الحسن الأشعرى (٣٢٤هـ) وله من الكتب :

أ ـ الإبانة عن أصول الديانة ، وقد حققها أكثر من باحث

ب ـ رسالة الى أهل الثغر .(٣)

جـ ـ مقالات الإسلاميين :" وقد ذكر فيها عقيدة أصحاب الحديث مجملة " ، وهى مطبوعة .

---

(١) قام الدكتور عطيه الزهرانى بتحقيق هذا الكتاب ، وقد طبع أخيرا فى مجلد واحد .

(٢) قام الدكتور عبدالعزيز بن ابراهيم الشهوان ، بتحقيق هذا الكتاب ، وقد صدر فى مجلدين .

(٣) قام الدكتور عبدالله شاكر الجنيدى بتحقيق هذا الكتاب، وقد تقدم به لنيل درجة الماجستير فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وهو الآن تحت الطبع .

١٣ ـ عبدالرحمن ابن أبى حاتم (ت ٣٢٧هـ) وله كتابان :

أ ـ أصل السنة واعتقاد الدين .

ب ـ الرد على الجهمية .

١٤ ـ الحسن بن على البربهارى(٣٢٩هـ) : وله كتاب " السنة .

١٥ ـ أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى (٣٦٠هـ). وله كتابان

أ ـ الشريعة .

ب ـ التصديق بالنظر الى الله تعالى .

وهما مطبوعان .

١٦ ـ أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حبان الأصفهانى (ت ٣٦٩هـ) وله كتاب " العظمة " (١)

١٧ ـ الإمام الدار قطنى (ت ٣٨٥هـ) : وله عدة كتب أهمها :

أ ـ كتاب الصفات .(٢)

ب ـ أحاديث النزول (٣)

جـ ـ فضائل الصحابة .

د ـ الرد على نفاة الرؤية .

١٨ ـ الإمام عبيد الله بن عبدالله بن محمد بن حمدان بن بطة العكبرى (ت ٣٨٧هـ) وله من الكتب :

أ ـ الإبانة الصغرى . (٤)

ب ـ الإبانة الكبرى . (٥)

---

(١) قام الدكتور رضاء الله ادريس بتحقيق هذا الكتاب ،وقد طبع كاملا فى ثلاثة اجزاء .

(٢)،(٣) قام الدكتور على بن محمد بن ناصر الفقيهى بتحقيق الكتابين المذكورين ، وكلاهما مطبوع .

(٤)،(٥) وقد حققهما الدكتور رضا بن نعسان معطى وكلاهما قد طبع

١٩ ـ الإمام أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن يحي بن منده (ت٣٩٥هـ) ، وله من الكتب (١)

أ ـ الرد على الجهمية .

ب ـ الإيمان .

ج ـ التوحيد .

د ـ معرفة الصحابة .

٢٠ ـ ابن أبي زمنين (ت ٣٩٩هـ) : وله كتاب " أصول السنة(٢) "

٢١ـ أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (ت ٤١٨ هـ) : وله كتاب " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة "(٣)

منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة

سبق الكلام عن هذا الموضوع عند ذكر منهج أهل السنة والجماعة في النظر والإستدلال ، وسوف أذكر ملخصا لأهم أصول أهل السنة في العقيدة (٤) مع إضافة لذكر أهم القواعد لمنهجهم في إثبات الأسماء والصفات لله تبارك وتعالى .

وأهم أصول منهجهم في العقيده هي:(أ)ـحصرهم لمصدر التلقي في

---

(١) حقق الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي كتاب" الايمان" وكتاب " التوحيد " وكتاب"الرد على الجهمية " وهي مطبوعة

(٢) حقق الدكتور محمد ابراهيم هارون كتاب "أصول السنة " ـ وتقدم به لنيل درجة الماجستير بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية ١٤٠٤هـ.

(٣) حقق الدكتور أحمد سعد حمدان هذا الكتاب كاملا ، وطبع في ثمانية أجزاء في أربعة مجلدات ، وهو من أهم كتب العقيدة التي وصلت الينا كاملة بالأسانيد ، كما يتميز بشموله لأهم أبواب الاعتقاد.

(٤) انظر موقف ابن تيميه من الأشاعرة للدكتور عبدالرحمن ـ المحمود ١/٤١-٦٧،قواعد المنهج السلفي للدكتور مصطفى حلمي ص ٢٥٣ ـ ٢٦٤

باب الإعتقاد على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٢ - احتجاجهم بالسنة الصحيحة فى العقيدة ، ولا يفرقون فى ذلك بين المتواتر والآحاد .

وما ورد فى كتبهم من الأحاديث التى فيها مقال ، فلا يوردونها للتأصيل ، وإنما للاستئناس ، كما أنهم يوردونها بأسانيدها .

٣ - فهمهم للنصوص على ضوء أقوال السلف الصالح وتفاسيرهم وما نقل عنهم .

٤ - التسليم لما جاء به الوحى ، مع إعطاء العقل دوره الحقيقى ، وعدم الخوض فى الأمور الغيبية مما لا مجال للعقل فيه .

٥ - عدم الخوض فى علم الكلام والفلسفة ، ورفض التأويل الكلامى .

٦ - الجمع بين النصوص فى المسألة الواحدة .

أما الأصول العامة لمنهج أهل السنة والجماعة فى إثبات الأسماء والصفات للرب عز وجل فهى بالإضافة إلى الأصول السابقة فهى كما يلى :(١)

١ - أن لا يوصف الله عز وجل إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا يتجاوز القرآن والحديث.

٢ - القطع بأنه ليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم تشبيه لصفاته بصفات خلقه .

٣ - قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الله سبحانه .

٤ - القول فى بعض الصفات كالقول فى البعض الآخر.

٥ - الكلام فى الصفات فرع عن الكلام فى الذات .

---

(١) انظر " التدمرية " لشيخ الإسلام ص ٣١، ٤٣، ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطى صـ ٣ ، ٢٤ نشر الجامعة الاسلامية ، ووسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد باكريم صـ ٣٥١ - ٣٥٤

٦ - الإعتصام بالألفاظ الشرعية الواردة فى هذا الباب نفيا وإثباتا .

ونتيجة لهذا المنهج الواضح الجلى ، والأصول الصحيحة المستنبطة من الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح نجد أن - لعقيدة أهل السنة والجماعة مميزات وخصائص فريدة ميزتها عن غيرها من عقائد أهل البدع ، والفرق المخالفة ،وأهم هذه الخصائص والمميزات:(١)

١ - أنها مستقاة من النبع الصافى : الكتاب والسنة ، بعيدة عن كدر الأهواء والشبهات ، وخالية من تأثير المؤثرات الأجنبية من فلسفة ومنطق ونحو ذلك .

٢ - أنها تترك فى النفس الطمأنينة والسكينة ، وتبتعد بالمسلم عن الشكوك والأوهام .

٣ - أنها تجعل موقف المسلم موقف المعظم لنصوص الكتاب والسنة ، لأنه يعلم أن كل ما فيها حق وصواب وفى ذلك منجاة كبرى وعزية عظمى .

٤ - أنها تربط المسلم بسلفه الصالح .

٥ - أنها تحقق للمسلمين الوصف الذى رضيه الله تعالى لهم بقوله (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا(٢))

٦ - إنها توحد صفوف المسلمين وتجمع كلمتهم ، لأنها استجابة لقوله تعالى :(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)(٣)

---

(١) انظر بعض الخصائص فى مقدمة تحقيق كتاب " الإبانة الكبرى لابن بطة ١/١١ - ١٨

(٢) سورة النساء : الآية ٦٥

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٠٣

٧ - أن فيها السلامة لمن تمسك بها ، ودخوله فيمن بشرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالنصر والظهور فى الدنيا ، والنجاة والفوز فى الآخرة .

٨ - أن التمسك بها من أعظم أسباب الثبات على الدين .

٩ - أن لها تأثيرا عظيما على سلوك وأخلاق المتمسك بها ، وهى بالتالى من أعظم أسباب الإستقامة على دين الله .

١٠ - أنها من أعظم أسباب القرب من الله ، والفوز برضوانه . وهذا بالتالى يقودنا إلى الكلام على موضوع له ارتباط بما سبق ذكره وهو :

خصائص أهل السنة والجماعة ومميزاتهم :

١ - ثباتهم على الحق ، وعدم تقلبهم كما هى عادة أهل الأهواء ، يقول شيخ الاسلام :" وبالجملة : فالثبات والاستقرار فى أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة " (١)

وذلك ناتج عن اليقين بأن ما هم عليه هو الحق والهدى ، يقول شيخ الاسلام : - " والمقصود : أن ما عند عوام المؤمنين وعلمائهم أهل السنة والجماعة من المعرفة واليقين والطمأنينة ، والجزم الحق والقول الثابت ، والقطع بما هم عليه أمر لا ينازع فيه إلا من سلبه الله العقل والدين " (٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ٤/٥١

(٢) مجموع الفتاوى ٤/٤٩

٢ ـ اتفاقهم على أمور العقيدة ، وعدم اختلافهم مع اختلاف الزمان والمكان . يصف قوّام السنة الأصبهانى (١) هذا الأمر فيقول : " ومما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم ، قديمهم وحديثهم ، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم ، وتباعد ما بينهم فى الديار ، وسكون كل واحد منهم قطرا من الأقطار ، وجدتهم فى بيان الإعتقاد على وتيرة واحدة ، ونمط واحد ، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها ، ولا يميلون فيها ، قولهم فى ذلك واحد ، ونقلهم واحد ،لاترى فيهم اختلافا ولا تفرقا فى شىء ما وإن قلّ . بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء عن قلب واحد ، وجرى على لسان واحد ، وهل على الحق دليل أبين من هذا "(٢)

٣ ـ اعتقادهم أن طريقة السلف الصالح هى الأسلم ،والأعلم والأحكم ، لا كما يدعيه أهل الكلام بأن طريقة السلف أسلم ، وطريقتهم أعلم وأحكم .

يقول شيخ الإسلام فى رد هذه الفرية : " وقد كذبوا على طريقة السلف ، وضلوا فى تصويب طريقة الخلف ، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف فى الكذب عليهم ، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف " (٣)

---

(١) هو الامام اسماعيل بن محمد بن الفضل بن على القرشى التيمى الأصبهانى ، ويلقب بقوام السنة (ت ٥٣٥هـ) انظر سير أعلام النبلاء (٢٠/٨٠)

(٢) الحجة فى بيان المحجة لقوام السنة الاصبهانى ـ مخطوط ـ ورقة ١٦٤ ـ ب اقتبسه الدكتور عبدالرحمن المحمود فى رسالته موقف ابن تيميه من الأشاعرة ٧١/١ .

(٣) مجموع الفتاوى ٩/٥

وقال أيضا : " ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق عليهم الأمر : لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ، ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر ، كيف يكون هؤلاء المحجوبون ، المفطورون ، المقموعون ، المسبوقون ، الحيارى ، المتهوكون ، أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل ، وأعلام الهدى ومصابيح الدجى ، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر اتباع الأنبياء ، فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم ، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة ؟ " (١)

فليس سكوت السلف الصالح عن الجدل والخوض في كثير من المسائل التي خاض فيها المتأخرون عن جهل وقصور ، وإنما كان ذلك لمعرفتهم بما هو نافع فاشتغلوا به ، وبما ليس كذلك فأعرضوا عنه .

يقول ابن رجب الحنبلي : " فمن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام وكثرة الجدل والخصام والزيادة في البيان على مقدار الحاجة لم يكن عيا ولا جهلا ولا قصورا ، وإنما كان ورعا وخشية لله واشتغالا عما لا ينفع بما ينفع "(٢)

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/٥

(٢) بيان فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب تحقيق محمد بن ناصر العجمي ص ٥٨ ط - دار الأرقم - الكويت ط أولى سنة ١٤٠٤هـ وانظر ص ٣٦ - ٣٨ ، ٤٠- ٤٤ ، ٥٥

٤ - أنهم أعلم الناس بأحوال النبى صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله ، لذلك فهم أشد الناس حبا للسنة ،وأحرصهم على اتباعها ، وأكثرهم موالاة لأهلها . يقول شيخ الإسلام :" فإنه متى كان الرسول أكمل الخلق وأعلمهم بالحقائق وأقومهم قولا وحالا : لزم أن يكون أعلم الناس به أعلم الخلق بذلك ، وأن يكون أعظمهم موافقة له واقتداء به أفضل الخلق "(١)

وبذلك يتضح أنهم أحق الناس وأولاهم بأن يكونوا الطائفة المنصورة ، والفرقة الناجية ، يقول شيخ الإسلام :" وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هى الفرقة الناجية أهل الحديث والسنة ، الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزا بين صحيحها وسقيمها وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباعا لها . تصديقا وعملا وحبا وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها "(٢)

٥ - ومن أخص مميزاتهم حرصهم على نشر العقيدة الصحيحة ،والدين القويم الذى بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتعليم الناس وإرشادهم والنصيحة لهم ، مع الرد على المخالفين والمبتدعين ، وقد ذكرت شيئا من جهودهم فى مبحث اهتمام العلماء بعقيدة السلف الصالح .

٦ - وسطيتهم بين الفرق والطوائف ، يقول شيخ الاسلام : " أهل السنة فى الإسلام ، كأهل الإسلام فى الملل "(٣)

ثم بيّن هذه الوسطية فى مكان آخر حيث قال:" فهم وسط فى " باب صفات الله " سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤٠/٤ - ١٤١ وانظر ٢٦/٤
(٢) مجموع الفتاوى ٣٤٧/٣ وانظر ١٥٩/٣، ٩٧/٤
(٣) مجموع الفتاوى ٢٨٤/٧ ، ٤٥٥/١٢ .

الجهمية ، وأهل التمثيل المشبهة .

وهم وسط في(باب أفعال الله تعالى) بين القدرية والجبرية .

وفي باب (وعيد الله) بين المرجئة والوعيدية ، من القدرية وغيرهم .

وفي(باب أسماء الايمان والدين) بين الحرورية والمعتزلة ، وبين المرجئة والجهمية .

وفي(أصحاب رسول الله) صلى الله عليه وسلم : بين الروافض والخوارج " (١)

٧ - التزامهم بالأسماء والألقاب الشرعية .(٢)

٨ - حرصهم على الجماعة والألفة ودعوتهم لها ، وحث الناس عليها ، ونبذهم للاختلاف والفرقة ، وتحذير الناس منها . ويلاحظ هذا في أشهر أسمائهم وأحبها اليهم ، فهم "أهل السنة والجماعة " . وهذا كما هو موجود في أصولهم العلمية النظرية ، فهو موجود في حياتهم تطبيقا واقعيا عمليا.(٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤١/٣ ،وانظر شرح الطحاوية صـ ٥١٨- ٥٢٨ ، ووسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد باكريم صـ ٣٣٣ - ٤٩٩ .

(٢) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبدالرحمن المحمود ٦٨/١ ،

(٣) من أمثلة ذلك انظر مجموع الفتاوى ٢٢٧/٣ وما بعدها .

تعريف بعقيدة أهل السنة والجماعة :

فيما يلي تعريف مجمل بعقيدة أهل السنة والجماعة[1] ، وسوف ألخصها في النقاط التالية :

١ - الإيمان بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره .

٢ - ومن الإيمان بالله : - الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، من غير تحريف[2] ولا تعطيل (٣) ، ومن غير تكييف (٤) ولا تمثيل .(٥)

٣ - والسنة تفسر القرآن وتبينه ، وتدل عليه ، وتعبر عنه ، وما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك .

٤ - ومن الإيمان بالله وكتبه : الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ ، وإليه يعود ، وأن الله تكلم به حقيقة .

٥ - ويدخل في الإيمان بالله وكتبه ورسله : الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عيانا بأبصارهم ، كما يرون الشمس صحوا ليس دونها سحاب ، وكما يرون القمر ليلة البدر لايضامون في رؤيته

---

(١) اعتمدت في ذلك على تلخيص الأصول المهمة التي ذكرها شيخ الاسلام في العقيدة الواسطية . انظر مجموع الفتاوى ١٢٩/٣ - ١٥٩ .

(٢) التحريف معناه . تغيير ألفاظ الأسماء والصفات أو تغيير معانيها .

(٣) التعطيل معناه . سلب الصفات ونفيها عن الله تعالى .

(٤) التكييف معناه . بيان الهيئة التي تكون عليها الصفات.

(٥) التمثيل معناه . تشبيه الله بخلقه . " انظر التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة للشيخ السعدي بتعليق سماحة الشيخ بن باز - حفظه الله - ص ١٥ - ١٦ ط دار ابن القيم "

٦ - ومن الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت . ومن ذلك فتنة القبر ، وعذابه ، ونعيمه ، والحشر ، ونصب الموازين ، ونشر الدواوين ، والحساب ، والحوض والصراط ، والشفاعة .

٧ - ويبرأ من أهل السنة بالقدر : خيره وشره ، وهو على درجتين كل درجة تتضمن شيئين :

الدرجة الأولى : الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم ، الذي هو موصوف به أزلا ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي ، والأرزاق والآجال ثم كتب ذلك في اللوح المحفوظ .

الدرجة الثانية : الإيمان بأن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه خالق كل شيء

والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة ، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم .

٨ - ويبرأ من أهل السنة بأن الإيمان قول وعمل ، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر ، كما يفعله الخوارج ، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي ، ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية ، ولا يخلدونه في النار ، كما تقوله المعتزلة . ويقولون : هو مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فلا يعطى الاسم المطلق ، ولا يسلب مطلق الاسم .

٩ - ومن أصول أهل السنة والجماعة : سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع ، من فضائلهم ومراتبهم .

ويحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتولونهم ، ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة .

ويتبرؤون من طريقة الروافض ، الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم ، ومن طريقة النواصب ، الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل ، ويمسكون عما شجر بين الصحابة .ويرون أنهم خير الخلق بعد الأنبياء ، وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة .

١٠- ومن أصول أهل السنة والجماعة : التصديق بكرامات الأولياء ، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات .

١١ - ثم من طريقة أهل السنة والجماعة : اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار . ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ،ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد ، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة .

١٢- والكتاب والسنة والإجماع هي الأصول الثلاثة التي يعتمدون عليها في العلم والدين ، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين .

١٣ - ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، على ما توجبه الشريعة .

١٤ - ويرون إقامة الحج والجهاد ، والجمع والأعياد مع الأمراء ، أبرارا كانوا أو فجارا ، ويحافظون على الجماعات .

١٥ - ويدينون بالنصيحة للأمة .

١٦ - ويأمرون بالصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء .

١٧ - ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، وينهون عن سفاسفها .

علماء رجعوا إلى عقيدة السلف الصالح

اختتم هذا الفصل بالكلام على موضوع له دلالته الخاصة على أهمية الرجوع إلى عقيدة السلف الصالح .

فالباحث المتتبع لأحوال الفرق الإسلامية ، وسير أعلامها ورجالها ، تستوقفه وتشد انتباهه بعض الأحداث المتشابهة في موضوعها ومضمونها . إنها عودة كبار أئمة الكلام والمنطق إلى ما كان عليه السلف الصالح : من العقيدة والمنهج ،وذلك بعد أن خبروا نهاية المسالك التي سلكوها . والتي أوقعتهم في الحيرة والتخبط ، وكانت سببا في ابعادهم عن المنهج القويم . فرجعوا إلى الحق بكل قوة وعزيمة ، معترفين بخطأ ما كانوا عليه ، ومحذرين الأمة من أن يقعوا فيما وقعوا فيه .

وأشهر هؤلاء الأئمة الإمام أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - الذي رجع عما كان عليه من قبل ، لاسيما في باب الأسماء والصفات ، وأعلن براءته من الطريق الأول الذي سار عليه ، وأن الطريق الصحيح الحق هو الطريق الذي كان عليه سلف الأمة وأئمة الحديث ، وقد ألف بعد رجوعه عدة كتب أهمها " الإبانة عن أصول الديانة " ، وذكر فيها اعتقاده جملة وتفصيلا .

كما أثبت رجوعه كثير من الأئمة (١) ، منهم الحافظ ابن عساكر في كتابه "تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الاشعري " (٢) وأثبت له " الابانة" ونقل نصوصا منها .

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٨٧/١١، وقد ألف الشيخ حماد الانصاري رسالة في ذلك أسماها " ابو الحسن الاشعري وعقيدته " وذكر فيها أقوال كثير من الائمة الذين قالوا برجوعه الى عقيدة السلف ، ويكفي ما ذكرة الاشعرن نفسه في كتابه " مقالات الاسلاميين " (٣٢٠/١) .

(٢) التبيين . ١٥٧ - ١٦٢ ط دار الفكر - بيروت .

وثبت رجوع كثير من كبار أئمة الكلام إلى عقيدة السلف الصالح ، مثل الرازى ، والجوينى (ت ٤٣٨هـ) والشهرستانى (ت ٥٤٩هـ) والغزالى (ت ٥٠٥هـ) .

وفى رجوع هؤلاء الأئمة عبرة لكل معتبر ، وفيها إقرار بأن عقيدة السلف الصالح هى الحق الذى يجب المصير إليه ، وأنها الطريق الوحيد الذى يجب على كل مسلم أن يسلكه ، وأن سائر الطرق والسبل منقطعة بأصحابها ، مسدودة فى وجه كل من سلكها ، ويخشى عليه من نهايتها الأليمة .

على أن الكثيرين لا يأخذون بعين الإعتبار هذه المرحلة الأخيرة التى آل إليها هؤلاء العلماء ، ورجعوا فيها عن آرائهم السابقة . فنجد هؤلاء الناس يأخذون عن الكتب التى رجع عنها هؤلاء العلماء ، ويتحولون عليها ، ويغضون الطرف عما يخالفها من الآراء وإن كانت من نفس المؤلف الذى يعتمدون على أقواله السابقة .

بل إن بعض الباحثين والمنتسبين إلى العلم من المتأخرين يحاول أن يشكك ويطعن فيما كتبه هؤلاء العلماء من كلام يوافق ما كان عليه السلف الصالح ، بل إن بعضهم يحاول تحريف وتأويل كلامهم .

ومن الابتلاء أن كثيرا من المسلمين اليوم على العقائد والأفكار التى رجع عنها هؤلاء العلماء ، ويعتمدون على الكتب والمصنفات التى كتبوها قبل توبتهم ورجوعهم (١)

---

(١) انظر ابو حامد الغزالى والتصوف لعبدالرحمن دمشقية ص ٤١٦ - ٤١٧

نماذج من كلام بعض العلماء الذين رجعوا إلى عقيدة السلف الصالح:

أ - نماذج من كلام ابى الحسن الأشعرى :

قال رحمه الله فى أول كتاب " الابانة " :-

" فإن قال لنا قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهميه والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم التى بها تدينون . قيل له قولنا الذى نقول به وديانتنا التى ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ،

وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل - نضّر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون ولما خالف قوله مجانبون "(١) ثم ذكر جملة اعتقاده .

ب - نماذج من كلام الجوينى :

١ - ذمه لعلم الكلام فى آخر حياته ونصحه للمسلمين أن يجتنبوه حيث قال : " لا تشتغلوا بعلم الكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بى ما بلغ ما اشتغلت به "(٢)

٢ - كتابته للنصيحة التى نصح بها إخوانه فى الله " فى صفات الله " (٣) ، ومن كلامه فيها :" فمن وفقه الله للإثبات بلا تحريف ، ولا تكييف ، ولا وقوف ، فقد وقع على الأمر المطلوب منه ، إن شاء الله تعالى " (٤)

---

(١) الابانة فى أصول الديانة ص ١٧ مكتبة دار البيان - دمشق الطبعة - الأولى سنة ١٤٠١هـ .
(٢) طبقات الشافعية للسبكى ٣/٢٦٠
(٣) وقد قام زهير الشاويش بتحقيقها ، وطبعها المكتب الاسلامى - بيروت .
(٤) النصيحة فى الرب جل وعلا للجوينى صـ ٣٩ . ط الثالثة .

جـ ـ نماذج من كلام أبي حامد الغزالي :

١ ـ نصرته لمذهب السلف الصالح حيث قال :" الدليل على أن مذهب السلف هو الحق : أن نقيضه بدعة ،والبدعة مذمومة وضلالة "(١)

٢ ـ ذمه لعلم الكلام حيث قال : " إن الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ كانوا محتاجين إلى محاجة اليهود والنصارى في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فما زادوا على أدلة القرآن شيئا ، وما ركبوا ظهر اللجاج في وضع المقاييس العقلية وترتيب المقدمات كل ذلك لعلمهم بأن ذلك مثار الفتن ومنبع التشويش ، ومن لا يقنعه أدلة القرآن ، لايقمعه إلا السيف والسنان فما بعد بيان الله بيان "(٢)

د ـ نماذج من كلام فخر الدين الرازي :

قال في وصيته لتلميذه ابراهيم بن أبي بكر الأصبهاني وذلك قبل موته :" لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفيه فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في الإثبات : (الرحمن على العرش استوى)(٣) ، (إليه يصعد الكلم الطيب) (٤) واقرأ في النفي (ليس كمثله شيء) (٥) ومن جرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي"(٦)

---

(١) الجام العوام عن علم الكلام ص ٩٦ طبعة مكتبة الجندي القاهرة .
(٢) المصدر السابق ٨٩ ـ ٩٠
(٣) طه آية ٥
(٤) فاطر آية ١٠
(٥) الشورى آية ١١
(٦) سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٠١/٢١

فالواجب على كل مسلم عاقل أن يتحرر من الهوى والتعصب ، وأن يتحرى الحق بإخلاص وتجرد ، وأن يتعظ بغيرة من الذين أخطأوا الطريق، ثم تابوا ورجعوا إلى الحق ، واعترفوا بذلك .

وعلى المسلم أيضا أن يقوى صلته بكتاب ربه ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، قراءة ، وتدبرا ، وفهما وعملا ، وأن يكثر من النظر والتأمل لكتب السلف الصالح ، التي هي مصدر العلم النافع والخير العميم .

---

* * * * *

الفصل الثاني

تحكيم الكتاب والسنة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : الأدلة على وجوب تحكيم الكتاب والسنة من القرآن الكريم .

المبحث الثاني : الأدلة على وجوب تحكيم الكتاب والسنة من السنة النبوية .

المبحث الثالث : الأدلة على وجوب تحكيم الكتاب والسنة من أقوال السلف الصالح .

* * *

الفصل الثاني

تحكيم الكتاب والسنة

تمهيد :

حيث إن الكتاب والسنة هما المصدر الأساسي للحق ، والنبع الصافي لدين الإسلام ، وفيهما المنهج الكامل لحياة البشر، وهما الميزان الصحيح توزن به الأقوال والأفعال ، جاءت الأدلة في الحث على اتباعهما ، والعمل بهما ، والاعتصام بهما ، والرد إليهما عند التنازع والإختلاف .

ولايكون للمسلمين شأن ، ولا عز ولا نصر ، ولا فلاح في الدنيا ، ولا نجاة في الآخرة إلا بامتثال أوامر الله تعالى وطاعته ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

والأدلة في هذا الموضوع كثيرة جدا ، وفيما يلي ذكر لبعضها : -

١ - من القرآن الكريم :

جاءت آيات كثيرة بالأمر بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بأسلوب الترغيب تارة نحو قوله تعالى . (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[1].

(وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)[2].

وبأسلوب الترهيب تارة أخرى نحو قوله تعالى :

(قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)[3]

---

(١) آل عمران : ١٣٢

(٢) النساء : ٦٩

(٣) آل عمران : ٣٢

وقوله تعالى : (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)(١)

كما جاءت آيات تمدح المؤمنين الذين يطيعون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، مع البشرى العظيمة لهم بالفوز والفلاح ، نحو قوله تعالى :

(إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(٢)

وأمر سبحانه عباده المؤمنين بالتحاكم الى الكتاب والسنة عند التنازع ، فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)(٣)

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية . " قال مجاهد وغير واحد من السلف أن يرد التنازع في ذلك الى الكتاب والسنة " (٤)

وقال القرطبي في المقصود بالرد الى الله والرسول : " أن ردوا ذلك الحكم الى كتاب الله أو الى رسوله بالسؤال في حياته ، أو بالنظر في سنته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، هذا قول مجاهد والأعمش وقتاده ، وهو الصحيح "(٥)

---

(١) المائدة آية ٩٢
(٢) النور آية ٥١
(٣) النساء آية ٥٩
(٤) تفسير القرآن العظيم ٥١٨/١
(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٦١/٥

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدى : " أمر برد كل ما تنازع الناس فيه ، من أصول الدين وفروعه ، إلى الله والرسول، أى إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فإن فيهما الفصل فى جميع المسائل الخلافية ، إما بصريحهما ،أو عمومهما ،أو إيماء ، أو تنبيه ، أو مفهوم ، أو عموم معنى ، يقاس عليه ما أشبهه . لأن كتاب الله وسنة رسوله ، عليهما بناء الدين ، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما فالرد إليهما شرط فى الإيمان "(١)

بل نجد من الآيات التى تنفى الاختيار عن كل مؤمن ومؤمنة ، إذا حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فى أمر ما من الأمور .

يقول تعالى :(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ . وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا)(٢)

وهذه الآية وإن كانت قد نزلت فى زينب بنت جحش رضى الله عنها حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثه رضى الله عنه فامتنعت ثم أجابت ، إلا أنها خطاب لكل مؤمن ومؤمنة وعامة فى كل الأمور .

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : " فهذه الآية عامة فى جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشىء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هنا ولا رأى ولا قول "(٣)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ٢/٨٩-٩٠

(٢) الأحزاب آية ٣٦

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/٤٩٠ .

واستدل القرطبي بهذه الآية على أن صيغة " افعل" للوجوب في أصل وضعها ، قال : " لأن الله تبارك وتعالى نفى خيرة المكلف عند سماع أمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم أطلق على من بقيت له خيرة عند صدور الأمر اسم المعصية ، ثم علق على المعصية بذلك الضلال ، فلزم حمل الأمر على الوجوب .والله أعلم ."(١)

وقال الشيخ السعدي :" أي:لا ينبغي ولا يليق ، من اتصف بالإيمان ، إلا الإسراع في مرضاة الله ورسوله ، والهرب من سخط الله ورسوله ، وامتثال أمرهما ، واجتناب نهيهما "(٢)

ونهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتقدموا بين يدي الله ورسوله ، فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(٣) .

وقد ذكر ابن كثير أقوالا عن السلف الصالح في معنى قوله تعالى (وَلَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) منها (٤) : عن ابن عباس قال : لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة . وعن الضحاك : لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله من شرائع دينكم وقال سفيان الثوري : [لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ] بقول ولا فعل .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤/١٨٨

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦/٢٢٢-٢٢٣

(٣) الحجرات آية ١

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/٢٠٥

وقال الشيخ السعدى فى بيان ما يستنبط من الآية الكريمة : " هذا متضمن للأدب مع الله تعالى ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتعظيم والاحترام له ، وإكرامه .

فأمر الله عباده المؤمنين ، بما يقتضيه الإيمان ، بالله ورسوله من امتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، وأن يكونوا ماشين خلف أوامر الله ، متبعين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع أمورهم . وأن لا يتقدموا بين يدى الله ورسوله ، فلا يقولوا حتى يقول ، ولا يأمروا حتى يأمر .

فإن هذا ، حقيقة الأدب الواجب ، مع الله ورسوله ، وهو : عنوان سعادة العبد وفلاحه . وبفواته تفوته السعادة الأبدية ، والنعيم السرمدى"(١)

٢ - من السنة النبوية :

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فقال :
"يا أيها الناس : إنى قد تركت فيكم ما إنْ اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتى "(٢)

وعن العرباض بن سارية - رضى الله عنه - قال:قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذات يوم فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون . فقيل : يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعظتنا موعظة مودع . فاعهد إلينا بعهد.فقال:" عليكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن عبدا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ١٢٦/٧
(٢) أخرجه مالك فى الموطأ . كتاب الجامع . - باب النهى عن القول بالقدر (رقم ١٦١٩) والحاكم (٩٣/١) والبيهقى (١١٤/١٠) وابن حزم فى " الاحكام " (٨٠٩/٦) ،والرافعى فى " التدوين " (١٧٨/٤)

حبشيا . وستررون بعدى اختلافا شديدا . فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين . عضوا عليها بالنواجذ،وإياكم والأمور المحدثات . فإن كل بدعة ضلالة "(١)

فقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث بوقوع الإختلاف وحصوله فى أمته ، فأوصى أصحابه رضوان الله عليهم - ويدخل فى الخطاب كافة الأمة - بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين عند وقوع الإختلاف .

فالتزام السنة هو الحل عند وقوع البدع ، لذلك نرى من فقه الإمام مالك - رحمه الله - أنه ذكر حديث الإعتصام بالكتاب والسنة فى باب النهى عن القول بالقدر .

وعن جابر بن عبدالله - رضى الله عنهما - قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه ، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ، ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ، ويقول : أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) ، والترمذى (٢٨٢٨) ،وابن ماجة (٤٤٤٣) ، والدرامى (١/٤٤-٤٥) ، وابن نصر فى" السنة " (ص ٢١) ،وابن أبى عاصم فى السنة "(ح ٢٦٠-٣٤) .
وابن حبان فى " صحيحه" (١/٤) ، والآجرى فى " الشريعة" (ص ٤٦،٤٧)،
وأحمد (٤/١٢٦) ، والحاكم (١/٩٥-٩٧) ، واللالكائى فى " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " (ح. ٩٤- ٩٦)، وابن عبد البر فى " جامع بيان العلم " (٢/١٨١-١٨٢) وقد صححه الشيخ الألبانى . انظر ارواء الغليل٨/١٠٧، ، صحيح سنن الترمذى (٢/٣٤١) ، صحيح سنن ابن ماجة (١/١٣) ، ظلال الجنة (١/١٧ - ٢٠)

محدثاتها وكل بدعة ضلالة "(١) . يقول ابن حجر في أثناء كلامه على هذا الحديث :" وقد توسع فن تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم ، ولم يقتنعوا بذلك حتى هزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان ، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلا يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل ولو كان مستكرها ، ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي دونوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل، وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل ، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف واجتنب ما أحدثه الخلف"(٢)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " دعوني ما تركتكم ، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم"(٣)

---

(١) أخرجه مسلم في . كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة (٣/١١) رقم (٨٦٧) ، والنسائي (١/٢٣٤) ،وأحمد (٣/٣١٩، ٣٧١٠) ، والبيهقي (٣/٢١٤) . وزاد النسائي " وكل ضلالة في النار " وهي عند البيهقي أيضا في " الأسماء والصفات " وصحح سندها الشيخ الألباني . انظر ارواء الغليل (٣/٧٣) .
وأخرجه ابن ماجه في " المقدمة " (رقم ٤٥) ، وابن أبي عاصم في " السنة " (٢٤)

(٢) فتح الباري ١٣/٢٥٣

(٣) أخرجه البخاري (٤/٤٢٢) ، ومسلم (٤/١٠٢) ، (٧/٩١)،وأحمد (٢/٢٤٧، ٢٥٨، ٣١٣، ٤٢٨، ٤٤٧- ٤٤٨، ٤٥٧، ٤٦٧، ٤٨٢، ٤٩٥، ٥٠٢، ٥٠٨، ٥١٧، والنسائي (٢/٢)،والترمذي (٣/٣٧٩) ،وابن ماجة (١/٤-٥) ، والدار قطني (٢٨١) . وأورده الشيخ الالباني في السلسلة الصحيحة (٢/٥٣٠ ح : ٨٥٠) وخرجه في ارواء الغليل (١/١٨٣).

قال ابن حجر فى شرح الحديث :" فينبغى للمسلم أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله ثم يجتهد فى تفهم ذلك والوقوف على المراد به ، ثم يتشاغل بالعمل به فإن كان من العلميات يتشاغل بتصديقه واعتقاد حقيقته ، وإن كان من العمليات بذل وسعه فى القيام به فعلا وتركا "(١)

هذا هو الموقف الصحيح الذى على كل مسلم أن يتخذه مع كتاب ربه عز وجل ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم : التعلم والفهم ، ثم التصديق والعمل والإمتثال .

فبهذا المسلك والمنهج نال السابقون رضوان الله وجزاهم ربهم تبارك وتعالى بذلك التوفيق والنصر والعز فى الدنيا ، والجنة والنعيم المقيم فى الآخرة .

وعن المقدام بن معد يكرب - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته * يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله "(٢)

---

(١) فتح البارى ٢٦٣/١٣

(*) الأريكة . السرير . قال الخطابى ." وانما أراد بهذه الصفة . أصحاب الترفة والدعة الذين لزموا البيوت ، ولم يطلبوا العلم ، ولم يغدوا ولم يروجوا فى طلبه فى مظانه واقتباسه من أهله " انظر معالم السنن (٨/٧).

(٢) رواه أبو داود (٢٠٠/٤) (ح٠ ٤٦٠٥) ، والترمذى(٣٨/٥) - (ح : ٢٦٦٣) ، وقال . حسن صحيح ، والإمام أحمد فى " المسند" (١٣٠/٤) ، وابن ماجة فى"المقدمة "(٦/١) - (ح : ١٣) ، والدارمى فى"المقدمة "(١٤٤/١) ، والحاكم (١٠٨/١، ١٠٩) وصححه . والحميدى فى " المسند" (٢٥٢/١) ، والآجرى فى " الشريعة " (٥٠/١) ،والبغوى فى " شرح السنة " (ح : ١٠١)، واللالكائى فى " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨٢/١) (ح ٠ ٩٨) ، وابن بطة فى " الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية" (٢٢٩/١- ٢٣٢) (ح : ٦٢ - ٦٤)

قال الخطابي - رحمه الله - في شرح الحديث : " يحذر بذلك مخالفة السنن التي سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس له في القرآن ذكر ، على ما ذهبت إليه الخوارج والروافض ، فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن ، وتركوا السنن التي قد ضمنت بيان الكتاب ، فتحيروا وضلوا "(١)

وقال ابن بطة (٢) - رحمه الله - محذرا المسلمين من شر هؤلاء المنكرين لسنة النبي صلى الله عليه وسلم : " وليعلم المؤمنون من أهل العقل والعلم أن قوما يريدون إبطال الشريعة ودروس آثار العلم والسنة ، فهم يموهون على من قل علمه وضعف قلبه بأنهم يدعون إلى كتاب الله ويعملون به ، وهم من كتاب الله يهربون ، وعنه يدبرون ، وله يخالفون وذلك أنهم إذا سمعوا سنة رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواها الأكابر عن الأكابر ونقلها أهل العدالة والأمانة ، ومن كان موضع القدوة والأمانة وأجمع أئمة المسلمين على صحتها ، أو حكم فقهاؤهم بها عارضوا تلك السنة بالخلاف عليها ، وتلقوها بالرد لها وقالوا لمن رواها عندهم : تجد هذا في كتاب الله ؟ وهل نزل هذا في القرآن ؟ وائتوني بآية من كتاب الله حتى أصدق بهذا .(٣)

فحكم عليهم بخبث النية وسوء الطوية ، وأنهم يريدون هدم دين الإسلام ، وإبطال الشريعة ، قال تعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)(٤)

---

(١) معالم السنن ٨/٧ ط - دار المعرفة - بيروت .
(٢) تقدمت ترجمته .
(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٢٢٣/١
(٤) الصف آية ٨

قال الإمام الشافعي - رحمه الله - : " لم أسمع أحدا نسبه الناس أو نسب نفسه إلى علم ، يخالف في أن فرض الله عز وجل اتباع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . والتسليم لحكمه بأن الله عز وجل لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه ، وأنه لايلزم قول بكل حال إلا بكتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن ما سواهما تبع لهما ، وأن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد ، لا يختلف في أن الفرض الواجب قبول الخبر عن الرسول إلا فرقة (١) سأصف قولها إن شاء الله " (٢)

وفي الحديث السابق إثبات لحجية السنة ، وأنها واجبة الإتباع على كل مسلم .

وفيه رد صريح على الذين أنكروا حجية السنة قديما كالرافضه (٣) ، والمعتزلة (٤) وغيرهم ، وحديثا كالقرآنيين (٥)

---

(١) لم يبين الشافعي اسم الفرقة التي رد عليها ، وقد استظهر الخضري أنه يعني بذلك المعتزلة . انظر تاريخ التشريع الاسلامي للخضري ص (١٩٧) وانظر كتاب جماع العلم للشافعي حاشية (ص ١١) .

(٢) جماع العلم للشافعي (ص٧-٩) تحقيق الاستاذ محمد أحمد عبدالعزيز ط - دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الاولى .

(٣) وقد ردّ عليهم الحافظ جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) في كتابه " مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة " والكتاب يصلح للرد على كل الطوائف المنكرة لحجية السنة .

(٤) وقد رد عليهم الإمام الشافعي (٢٠٤هـ) في كتابه " جماع العلم " كما تقدم وتوجد رسالة صغيرة لأحد المعاصرين في الرد عليهم ،بعنوان " موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها " لأبي لبابة حسين .

(٥) سموا أنفسهم بالقرآنيين لأنهم يرون الحجة في القرآن الكريم فقط ، وينكرون حجية السنة ، ومن رؤوسهم مؤلف "لاضواء القرآنية " الذي رد عليه الشيخ حمود التويجري في كتابه " الرد القويم على المجرم الأثيم " وصدر منه الجزء الأول .

والمستشرقين (١) وتلاميذهم كأمثال: أبى ريه (٢) ورشاد خليفة (٣) ، وغيرهما .

السنة من الوحى :

تعتبر السنة النبوية جزء من الوحى ، قال الله تعالى: (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)(٤)
وقال تعالى :(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (٥)

---

(١) " مستشرق " بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربى يشتغل بدراسة الشرق كله ، فى لغاته وآدابه وحضارته وأديانه . انظر " الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى " للدكتور محمود حمدى زقزوق (ص ١٨) كتاب الأمة " الخامس سنة ١٤٠٤هـ
وقد قام الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله - بتفنيد آراء المستشرقين والرد عليهم فى كتابه النفيس" السنة ومكانتها فى التشريع " ، كما رد فيه على كل الذين ينكرون حجية السنة .

(٢) صاحب كتاب " أضواء على السنة المحمدية " الذى طعن فيه فى السنة النبوية ، وتهجم فيه على نقلتها وفى مقدمتهم الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد رد عليه مجموعة من العلماء ، ومن أحسن الردود التى وردت سهامة عليه فأصابته بمقتل كتاب " الأنوار الكاشفة " للعلامه الشيخ عبدالرحمن بن يحيي المعلمى (ت ١٣٨٦هـ) .

(٣) وقد رد عليه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز فى العدد " التاسع " من مجلة البحوث الإسلامية لسنة ١٤٠٤هـ انظر صـ ٣٩ - ٤٥ .

(٤) النجم آية ٣ ، ٤

(٥) النحل آية ٤٤.

وعن حسان بن عطيه (١) قال : " كان جبريل على الله عليه وسلم ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل القرآن عليه يعلمه إياها كما يعلمه القرآن"(٢)

وقال ابن حزم - رحمه الله - : " لما بيّنا أن القرآن هو الأصل المرجوع إليه فى الشرائع ، نظرنا فيه ،فوجدنا فيه إيجاب طاعة ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجدناه عز وجل يقول واصفا لرسوله : (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) ، فصح لنا بذلك أن الوحى ينقسم من الله عز وجل إلى رسوله صلى الله عليه وسلم على قسمين :

أحدهما : وحى متلو موءلف تأليفا معجز النظام وهو القرآن .

الثانى : وحى مروي منقول غير موءلف ولا معجز النظام ولامتلو لكنه مقروء ،

وهو الخبر الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المبين عن الله عز وجل مراده منا "(٣)

فالقرآن الكريم ، والسنة النبوية من مشكاة واحدة ،وهى داخلة فى ذلك الوعد الصادق بالحفظ والضمان الأكيد ، حيث قال سبحانه : "(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(٤)

---

(١) حسان بن عطية المحاربى مولاهم ،أبو بكر الدمشقى ،ثقة فقيه عابد ، من الرابعة ، مات بعد العشرين وماته.انظر ترجمته فى " تقريب التهذيب " لابن حجر صـ ١٥٨ رقم (١٢٠٤) .

(٢) رواه الدارمى (ح : ٥٩٣) ، والمروزى فى " السنة "(١١٦) ، واللالكائى فى " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٨٣/١ ح : ٩٩)

(٣) الإحكام فى أصول الأحكام ، صـ ٨٧

(٤) الحجر آية ٩

وكان من مظاهر ذلك الحفظ ما نراه ونلمسه من جهود جهابذة السنة الذين بذلوا جهودا عظيمة لحفظها ، والذب عنها وغربلتها ، وتمييز صحيحها من سقيمها ، والتأليف في العلوم التي تخدمها .

فكان من آثار هؤلاء الجهابذة ما تزخر به المكتبات الإسلامية - على مدى العصور - من مؤلفات قيمة في السنة وعلومها وشروحها .(١)

٣ - من أقوال السلف الصالح :

عن محمد بن سيرين قال : كانوا لا يختلفون عن ابن مسعود في خمس : ان أحسن الحديث كتاب الله ، وخير السنة سنة محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وان أكيس الكيس التقى ، وأن أحمق الحمق الفجور"(٢)

وعن عثمان بن حاضر الأزدي ، قال : قلت لابن عباس : أوصني ، قال : عليك بالاستقامة واتباع الأثر وإياك والتبدع.(٣)

---

(١) انظر مقدمة محقق كتاب " النكت على كتاب ابن الصلاح" ص٨،٩ تحقيق الدكتور ربيع بن هادي مدخلي طبعة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٤هـ.

(٢) رواه اللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة " (ح٨٥٠) ، وابن وضاح في " البدع والنهي عنها " (ص ٢٤) ،والبيهقي في " الاسماء والصفات " (ص ٢٤١) ، وابن بطة في الابانة عن شريعة الفرقة الناجية "(١/٣٢٤- ٣٢٥ح ، ١٧٠)

(٣) رواه الدارمي (١ / ٥٣) ،وابن وضاح في " البدع والنهي عنها " (ص ٢٥) ، .
وابن بطة في " الابانة عن شريعة الفرقة الناجية" (١/٣٣٧ - ٣٣٩ ، ح ٢٠٠٠، ٢٠٦) +

وعن مالك بن أنس قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده سنتا الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله من اهتدى بها مهتدى ومن استنصر بها منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا .(١)

وعن الزهري ، قال : كان من مضى من علمائنا يقولون: الإعتصام بالسنة نجاة . (٢)

وهكذا نرى توافر الأدلة على هذا الأصل العظيم ، فلايستقيم دين امرئ مسلم إلا إذا تمسك بهذا الأصل ، واتخذه منهاجا يسير عليه ، ويثبت عليه حتى الممات .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه :" وشواهد هذا الأصل العظيم الجامع " من الكتاب والسنة كثيرة وترجم عليه أهل العلم في الكتب " كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة " كما ترجم عليه البخاري والبغوي وغيرهما ، فمن اعتصم بالكتاب والسنة كان من أولياء الله المتقين ، وحزبه المفلحين ، وجنده الغالبين"(٣) .

وقد كان هذا الأصل من الأصول التي اتفق عليها سلف هذه الأمة ، فكان ذلك من أعظم نعم الله عليه ، يقول شيخ الإسلام :" وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم ، اعتصامهم

---

(١) رواه الآجري في " الابانة عن شريعة الفرقة الناجية "

(١) رواه الآجري في " الشريعة " ص ٤٨) ، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة " (ح . ٣٤) ، وابن بطة في " الابانة عن شريعة الفرقة الناجية" (١/٣٥٢-٣٥٣ح . - ٢٣٠،٢٣١) .

(٢) رواه الدارمي (١/٤٥) ، والآجري في " الشريعة " (ص ٣١٣) ، واللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة " (ح . ١٣٦ ،١٣٧) ، وابن المبارك في " الزهد" (١/٢٨١) ،وأبو نعيم في " الحلية " (٣/٣٦٩) ، وابن بطة في " الابانة عن شريعة الفرقة الناجية " (١/٣١٩- ٣٢٠ح ١٥٩٠، ١٦٠٠)

(٣) مجموع الفتاوى ١١/٦٢٣

بالكتاب ، والسنة ، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن ، لا برأيه ولا ذوقه ، ولا معقوله ، ولا قياسه ، ولا وجده ، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) جاء بالهدى ودين الحق ، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم "(١)

وقد عبّر اللالكائي عن هذه الحقيقة الناصعة في أول كتابه " أصول السنة " بقوله : " أما بعد : فإن أوجب ما على المرء معرفة اعتقاد الدين ، وما كلّف الله عباده من فهم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلائل واليقين ، والتوصل إلى طرقها ، والاستدلال عليها بالحجج والبراهين ، وكان من أعظم مقول، وأوضح حجة ومعقول كتاب الله الحق المبين . ثم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار والمتقين ، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون ، ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين ، ثم الاجتناب عن البدع والإستماع إليها مما أحدثها المضلون . فهذه الوصايا الموروثة المتبوعة ، والآثار المحفوظة المنقولة ، وطرائق الحق المسلوكة والدلائل اللائحة المشهورة ، والحجج الباهرة المنصورة التي عملت عليها الصحابة والتابعون ، ومن بعدهم من خاصة الناس وعامتهم من المسلمين . واعتقدوها حجة فيما بينهم وبين الله رب العالمين . ثم من اقتدى بهم من الأئمة المهتدين ، واقتفى آثارهم من المتبعين ، واجتهد في سلوك سبيل المتقين وكان مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . فمن أخذ في مثل هذه

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/١٣ وانظر ٤٧١/١٦- ٤٧٢

المحجة وداوم بهذه الحجج على منهاج الشريعة أحسن فى دينة التبعة ، فى العاجلة والآجلة . وتمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها "(١)

فيجب على كل مسلم أن يحرص كل الحرص على الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتمسك بما أجمع عليه السلف الصالح ، وأن يجعل ذلك ميزانا يزن به ما اختلف فيه الناس بعد القرون الفاضلة من الأقوال والأفعال والمعتقدات وغيرها .

---

(١) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للسيوطى ص ١٠١ - ١٠٢ ط دار الكتب العلمية - بيروت .

الفصل الثالث

الإخلاص وتجريد المتابعة

وفيه ثلاثة مباحث وهي :

المبحث الأول : الأدلة من القرآن الكريم .

المبحث الثاني : الأدلة من السنة النبوية .

المبحث الثالث : الأدلة من أقوال السلف الصالح .

* * *

الفصل الثالث

" الإخلاص وتجريد المتابعة "

إخلاص الدين لله تعالى ، وتجريد المتابعة لنبيه صلى الله عليه وسلم هما الركنان الأساسيان ، والركيزتان العظيمتان لدين الإسلام .

وهما حقيقة الشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله . وهما شرطا قبول أى عمل كان .

فلا يتحقق إسلام امرىء ، ولا يقبل منه قول ولا عمل إلا إذا حققهما ، وأتى بمقتضياتهما .

يقول ابن أبى العز الحنفى - رحمه الله :" فهما توحيدان ، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما : توحيد المرسل ، وتوحيد متابعة الرسول " (١)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :" وبالجملة فمعنا أصلان عظيمان ، أحدهما : أن لا نعبد إلا الله ، والثانى أن لا نعبده إلا بما شرع ، لا نعبده بعبادة مبتدعة . وهذان الأصلان هما تحقيق " شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله " (٢)

ويقول ابن القيم - رحمه الله -:" فلا يكون العبد متحققا بـ (إياك نعبد) إلا بأصلين عظيمين :

أحدهما : متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم .

والثانى : الإخلاص للمعبود " (٣)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٠

(٢) مجموع الفتاوى ١/٣٣٣ - ٣٣٤ وانظر ١١/٥٨٦

(٣) مدارج السالكين ١/٨٣ ، التفسير القيم ص ٧٣ تحقيق محمد الفقى ط - دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨هـ وقد ذكر - رحمه الله - أقسام الناس بحسب هذين الأصلين وأنهم أربعة اقسام : ١ - أهل الإخلاص والمتابعة ٢ - من لا إخلاص له ولا متابعة ، ٣ - من هو مخلص فى أعماله ، لكنها على غير متابعة كجهال العباد ، ٤ - من أعماله على متابعة ، لكنها لغير الله . انظر ص ٧٣ - ٧٥ .

ولا نجد كثرة للأدلة مثل ما نجده فى هذا الباب ، فالآيات والأحاديث كثيرة جدا ومتنوعة .

ولسلفنا الصالح عناية كبيرة بهذا الموضوع أيضا ،لذلك نجد أن عامة كلامهم يدور حوله .

وفيما يلى ذكر لبعض الأدلة الواردة فى هذا الموضوع :

المبحث الأول : الأدلة من القرآن الكريم :

قال تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) (١)

قال ابن كثير فى تفسير هذه الآية : -

" (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) أى أخلص العمل لربه عز وجل فعمل إيمانا واحتسابا (وَهُوَ مُحْسِنٌ) أى اتبع فى عمله ما شرعه الله له وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق . وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما أى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون متابعا للشريعة ، فيصح ظاهره بالمتابعة ، وباطنه بالإخلاص ، فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد " (٢)

وقال تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (٣)

---

(١) النساء آية ١٢٥

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/٥٥٩

(٣) الكهف آية ١١٠

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية .

" (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) ما كان موافقا لشرع الله (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له ، وهذان ركنا العمل المتقبل . لابد أن يكون خالصا لله صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم "(١)

ويقول الشيخ السعدي في معنى قوله تعالى (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) : " وهو الموافق لشرع الله ، من واجب ومستحب"(٢)

وقال في معنى قوله تعالى : (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) : " أي لا يرائي بعمله ، بل يعمله خالصا لوجه الله تعالى . فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة ، هو الذي ينال ما يرجو ويطلب . وأما من عدا ذلك ،فإنه خاسر في دنياه وأخراه ، وقد فاته القرب من مولاه ، ونيل رضاه " (٣)

وقال تعالى : "(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ) (٤)

قال ابن كثير : "(لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)، أي خير عملا كما قال محمد بن عجلان ولم يقل أكثر عملا " (٥) .

وقال السعدي : "(لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) أي : أخلصه وأصوبه " (٦)

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١٠٨/٣

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسيركلام المنان ٨٧/٥

(٣) المصدر السابق ٨٨/٥

(٤) الملك آية ١ ، ٢

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣٩٦/٤

(٦) تيسير الكريم الرحمن ٤٢٨/٧

وهذا الذي ذكره السعدي - رحمه الله - في تفسير هذه الآية هو المذكور عن الفضيل بن عياض (١) ، وعندما سئل يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : "إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإن كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا . والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة "(٢)

وجاءت آيات أخرى كثيرة تحث على إخلاص الدين لله تبارك وتعالى ، وتوحيده ، وتنهى عن الإشراك به سبحانه .

ومن ذلك قوله تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (٣)

وقال تعالى : (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (٤)

وقال تعالى : (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ) (٥)

وقال تعالى : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) (٦)

وقال تبارك وتعالى محذرا عباده من الشرك : " إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) (٧)

---

(١) ابن مسعود بن بشر ، الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام (ت ١٨٧ هـ) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/٤٢١ ، شذرات الذهب ١/٣٦١

(٢) مجموع الفتاوى ١/٣٣٣

(٣) الأنعام آية ١٦٢ ، ١٦٣

(٤) غافر آية ١٤

(٥) الزمر آية ٢

(٦) البينة آية ٥

(٧) المائدة آية ٧٢

وقال تعالى : (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)(١)
وقال تعالى : (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٢)

فإخلاص الدين لله ، بإخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله رب العالمين وحده ، هو حقيقة العبودية ، التى خلق الله عز وجل لأجلها الخلق ، وأرسل بها الرسل ، وأنزل بها الكتب ، وبها تفرق الناس إلى مؤمنين وكافرين .

وهذا هو توحيد الألوهية ، الذى كان مفتتح دعوة الرسل عليهم السلام ، وهو التوحيد المطلوب من كل الخلق ، وأول واجب عليهم ، وآخر واجب . ولا يتحقق التوحيد إلا بتخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصى .(٣)

فالواجب على المسلم أن يخلص دينه لله عز وجل ، وذلك بأن يعبده وحده ، ولا يشرك به شيئا . فإن الشرك محبط للعمل ، ومجلب لسخط الرب ، ومانع من دخول الجنة وهو أعظم ذنب عصى الله تعالى به .

وإذا علمنا أن التوحيد هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة ، فالشرك بضد ذلك ، أى : هو صرف شىء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل .(٤)

---

(١) النساء آية ٣٦
(٢) الزمر آية ٦٥
(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٥١ ط دار الافتاء بالرياض .
(٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول للشيخ حافظ الحكمى ٣٤٠/١ ط جماعة احياء التراث .

والشرك ثلاثة أنواع : شرك أكبر ، وشرك أصغر ، وشرك خفي .

والشرك الأكبر أربعة أنواع : شرك الدعوة ، وشرك النية والإرادة والقصد ، وشرك الطاعة ، وشرك المحبة . (١)

والشرك الأصغر : كقول الرجل : ما شاء الله وشئت ، ولولا الله وأنت ، ويسير الرياء . (٢)

فالشرك الأكبر لا يغفر إلا بالتوبة ، والأصغر حكمه حكم المعاصي وإن كان هو أشد من الكبائر ، والخفي كفارته قول المسلم " اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم "(٣) .

وقد وردت آيات كثيرة تأمر بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتأسي به ، ومتابعته ، وعدم مخالفة أمره .

ومن ذلك قوله تعالى : (قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(٤).

يقول ابن كثير : " هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله " (٥)

ويقول ابن تيميه :" قال طائفة من السلف : ادعى قوم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية (قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)

---

(١) مجموعة التوحيد لنخبة من العلماء ص ٥ ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
(٢) فتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٦٤
(٣) رواه الامام أحمد في " المسند " (٣/١٢٧، ١٢٩، ٤/١٦٢، ٣٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري ، واسناده جيد.
(٤) آل عمران آية ٣١
(٥) تفسير القرآن العظيم ١/٣٥٨

الآية . فبين سبحانه أن محبته توجب اتباع الرسول ، وأن اتباع الرسول يوجب محبة الله للعبد ، وهذه محبة امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله ، فإن هذا الباب تكثر فيه الدعاوى والاشتباه "(١)

لأن مجرد الحب مظنة للهوى ، وإذا لم يقترن بالخشية قد يؤدى بصاحبه إلى التهلكة كما حصل لبعض أهل التصوف .

لذلك قال بعض السلف :" من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حرورى ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد "(٢)

ويقول الشيخ السعدى فى تفسير الآية السابقة : " هذه الآية هى الميزان ، التى يعرف بها من أحب الله حقيقة ، ومن ادعى ذلك دعوى مجرده .

فعلامة محبة الله ، اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ،الذى جعل متابعته ، وجميع ما يدعو إليه ، طريقا إلى محبته ورضوانه " (٣)

وقال تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (٤)

يقول ابن كثير : " يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فى

---

(١) مجموع الفتاوى ٨١/١٠
(٢) مجموع الفتاوى ٨١/١٠
(٣) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ٣٧٤/١
(٤) النساء آية ٦٥

جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذى يجب الإنقياد له باطنا وظاهرا " (١)

ويقول الشيخ السعدى : " أقسم تعالى بنفسه الكريمة ،أنهم لا يؤمنون ، حتى يحكموا رسوله ، فيما شجر بينهم أى : فى كل شىء يحصل فيه اختلاف . بخلاف مسائل الإجماع ، فإنها لاتكون إلا مستندة للكتاب والسنة .

ثم لا يكفى هذا التحكيم ، حتى ينتفى الحرج من قلوبهم والضيق ، وكونهم يحكمونه على وجه الإغماض . ثم لا يكفى هذا التحكيم ، حتى يسلموا لحكمه تسليما ، بانشراح صدر ، وطمأنينة نفس ، وانقياد بالظاهر والباطن .

فالتحكيم فى مقام الإسلام ، وانتفاء الحرج فى مقام الإيمان ،والتسليم فى مقام الإحسان . فمن استكمل هذه المراتب ، وكملها ، فقد استكمل مراتب الدين كلها "(٢)

وقال تعالى : (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ)(٣)

يقول ابن القيم : " وهو دليل على أن من لم يكن الرسول أولى به من نفسه فليس من المؤمنين ، وهذه الأولوية تتضمن أمورا . منها :

* أن يكون أحب إلى العبد من نفسه ، لأن الأولوية أصلها الحب ، ونفس العبد أحب له من غيره ، ومع هذا يجب أن يكون الرسول أولى به منها وأحب إليه منها ، فبذلك يحصل له اسم الإيمان .

ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الإنقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة ، من الرضا بحكمه والتسليم لأمره وإيثاره على ما سواه .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥٢٠/١
(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ٩٣/٢
(٣) الأحزاب آية ٦

* ومنها : أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلا بل الحكم على نفسه للرسول صلى الله عليه وسلم يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده ، فليس له في نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول الذي هو أولى به منها .

فيا عجبا كيف تحصل هذه الأولوية لعبد قد عزل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم عن منصب التحكيم ورضي بحكم غيره واطمأن إليه أعظم من اطمئنانه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وزعم أن الهدى لا يتلقى من مشكاته وإنما يتلقى من دلالة العقول ، وأن الذي جاء به لا يفيد اليقين ، إلى غير ذلك من الأقوال التي تتضمن الإعراض عنه وعما جاء به "(١)

وقال تعالى : (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (٢)

يقول ابن كثير : " هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله " (٣)

ويقول السعدي : " استدل الأصوليون في هذه الآية على الاحتجاج بأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن الأصل أن أمته أسوته في الأحكام ، إلا ما دل الدليل الشرعي على الإختصاص به . " (٤)

---

(١) الرسالة التبوكية ص ٣٠- ٣١ تحقيق طارق السعود ،ط مكتبة المنار ودار الهجرة الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ

(٢) الاحزاب آية ٢١

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٧٤/٣

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢٠٨/٦-٢٠٩.

ولابد من ذكر بعض الضوابط المهمة فى مسألة التأسى به صلى الله عليه وسلم ومن أهمها :

الأول : قسّم العلماء أفعال النبى صلى الله عليه وسلم إلى أنواع ، منها : الأفعال الجبلية ،والأفعال الجارية وفق العادات ، والأفعال التى فيها خصوصية له صلى الله عليه وسلم ، والأفعال التعبدية .

والذى أجمع العلماء على وجوب التأسى به - صلى الله عليه وسلم - فيه من الأفعال . هو الأفعال التعبدية .(١)

الثانى، لابد أن يجتمع فى العمل الذى يتابع فيه صلى الله عليه وسلم . المشاركة فى صورة الفعل والموافقة فى القصد . يقول شيخ الإسلام ابن تيميه : " وهذا هو الأصل ، فإن المتابعة فى السنة أبلغ من المتابعة فى صورة العمل "(٢)

لأن المتابعة أن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذى فعل ، وأما مشاركته فى صورة الفعل من غير موافقة له فى قصده فليس متابعة ، بل قد يتحول ذلك الفعل إلى بدعة .

لذلك ينبغى التنبه إلى ما فعله النبى صلى الله عليه وسلم بحكم الاتفاق ولم يقصده (٣)

الثالث : ما تركه النبى صلى الله عليه وسلم من جنس العبادات ، ولم يفعله ، مع وجود المقتضى لفعله على عهده صلى الله عليه وسلم ، ففعله بدعة وتركه سنة .

---

(١) انظر . أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام للدكتور محمد العروسى ص ١٤٥ - ١٨٠ ط- دار - المجتمع - جده ١٤٠٤هـ.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨١/١،وانظر اقتضاء الصراط المستقيم ٧٩٤/٢ - ٧٩٦ ط المحققة وانظر مجموع الفتاوى ٤٠٩/١٠- ٤١١ .

(٣) ذكر شيخ الاسلام صورا كثيرة لهذا الأمر . انظر مجموع الفتاوى ٢٨٠/١ - ٢٨٣

يقول ابن تيمية :" والترك الراتب : سنة ، كما أن الفعل الراتب : سنة ، بخلاف ما كان تركه لعدم مقتضى ، أو فوات شرط ، أو وجود مانع ، وحدث بعده من المقتضيات والشروط وزوال المانع ما دلت الشريعة على فعله حينئذ ، كجمع القرآن في المصحف ، وجمع الناس في التراويح على إمام واحد."الى أن قال."فأما ما شرعه من جنس العبادات ، مع أنه لو كان مشروعا لفعله أو أذن فيه ، ولفعله الخلفاء بعده ، والصحابة . فيجب القطع بأن فعله بدعة وضلالة ، ويمتنع القياس في مثله ، وإن جاز القياس في النوع الأول " (١)

ويقول ابن كثير :" وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم هو بدعة لأنه لو كان خيرا لسبقونا إليه ."(٢)

وقد عبر الإمام مالك عن هذا الأصل بقوله : " فما لم يكن يومئذ دينا ،فلا يكون اليوم دينا " (٣)

الرابع : أن المشقة ليست مقصودة في التكليف ، فالشريعة الإسلامية جاءت لرفع الحرج والعنت عن الناس ، لذلك ليس للمسلم أن يقصد المشقة في العمل ، لأنه خلاف قصد الشارع ،لكن عليه بالتسديد والمقاربة ،كما جاء في الحديث الصحيح " سددوا وقاربوا ، واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة ، وأن أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قل "(٤)

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧٢/٢٦ ، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم ٥٩٠/٢ - ٥٩٧ ط المحققة ، وانظر الإعتصام للشاطبي ٣٥٩/١ - ٣٦٦

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٥٦/٤

(٣) الاعتصام ٤٩/١

(٤) رواه البخاري في : ٨١ - كتاب الرقاق ١٨ باب القصد والمداومة على العمل (انظر فتح الباري ٢٩٤/١١ ح : ٦٤٦٤).

وفى الحديث الآخر : " اكلفوا من الأعمال ما تطيقون"(١).
وفى حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - قال صلى الله عليه وسلم :" إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا ، وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة "(٢)

وقد دلت هذه الأحاديث على فوائد عظيمة منها :

الأولى :
أمر صلى الله عليه وسلم بالجد فى العبادة والإجتهاد فيها ولكن بالقدر الذى لا تقع معه المشقة المفضية إلى السآمة والملال .

الثانية :
أهمية المداومة على العمل ، وعدم الإنقطاع ،لذلك فالعمل القليل الدائم خير من العمل الكثير المنقطع .

الثالثة :
أن أحب الأعمال إلى الله ما كان على وجه السداد ، والإقتصاد ، والتيسير .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " المشروع المأمور به الذى يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هو الإقتصاد فى العبادة " (٣) .

ويقول ابن رجب الحنبلى فى شرح الأحاديث السابقة : " من مشى فى طاعة الله على التسديد والمقاربة فليبشر ، فإنه يصل ويسبق الدائب المجتهد فى الأعمال "(٤) .

---

(١) رواه البخارى فى ٨١ - كتاب الرقاق ، ١٨ - باب القصد والمداومة على العمل (انظر فتح البارى١١/٢٩٤ح٦٤٦٥
(٢) رواه البخارى فى ٢ - كتاب الايمان ، ٢٩ - باب الدين يسر (انظر فتح البارى ١/٩٣ ح : ٣٩) والغدوة ، سير أول النهار ، والروحة السير بعد الزوال ، والدلجة سير آخر الليل ، ونبه على هذه الأوقات بخصوصها لأنها أروح ما يكون فيها البدن للعبادة، وانظر الفتح (١/٩٥)
(٣) مجموع الفتاوى ٥/٢٧٢
(٤) المحجة فى سير الدلجة ص٥٢، ٥٣ ط دار البشائر الإسلامية - بيروت ١٤٠٤هـ ، وانظر مجموع الفتاوى٢٥/٢٨١ -٢٨٢

إلى أن قال : " وليست الفضائل بكثرة الأعمال البدنية ، لكن بكونها خالصة لله عز وجل صوابا على متابعة السنة" (١)

ويقول الشاطبي : " أصل آخر : وهو أن المشقة ليس للمكلف أن يقصدها في التكليف نظرا إلى عظم أجرها ، وله أن يقصد العمل الذي يعظم أجره لعظم مشقته من حيث هو عمل "(٢)

ومن الآيات الدالة على وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم ، قول الله تبارك وتعالى : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٣)

يقول ابن كثير :" (عن أمره) أي عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سبيله ومنهاجه ، وطريقته ، وسنته وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنا من كان " (٤) .

ويقول القرطبي :" بهذه الآية احتج الفقهاء على أن الأمر على الوجوب . ووجهها أن الله تبارك وتعالى قد حذر من مخالفة أمره ، وتوعد بالعقاب عليه بقوله : (أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فتحرم مخالفته ، فيجب امتثال أمره "(٥)

---

(١) المحجة في سير الدلجة ص ٥٢، ٥٣ ط دار البشائر الاسلامية بيروت سنة ١٤٠٤ ، وانظر مجموع الفتاوى ٢٥/٢٨١- ٢٨٢ .

(٢) الموافقات ٢/١٢٨ ، وله مبحث طيب في الموضوع في كتابه "الاعتصام " ١/٢٨٨ - ٣٢٣ .

(٣) النور آية ٦٣

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٠٧

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٢/٣٢٢ - ٣٢٣

المبحث الثانى : الأدلة من السنة النبوية :-

أ - فى الإخلاص :

عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى "(١)

يقول ابن رجب " وهاتان كلمتان جامعتان ، وقاعدتان كليتان لا يخرج عنهما شىء "(٢)

وقد دل هذا الحديث على أصل عظيم من أصول الدين ، ولهذا عده كثير من العلماء من الأحاديث التى عليها مدار الإسلام.(٣)

وهذا الحديث هو ميزان الأعمال الباطنة ، يقول شيخ الإسلام : " والذى أمر الله به نوعان : أحدهما العمل الظاهر وهو ما كان واجبا أو مستحبا ، والثانى العمل الباطن وهو إخلاص الدين لله . فقوله : " من عمل عملا " الخ ، ينفى التقرب إلى الله بغير ما أمر الله به أمر إيجاب أو أمر استحباب .

وقوله " إنما الأعمال بالنيات " الخ يبين العمل الباطن ، وأن التقرب إلى الله إنما يكون بالإخلاص فى الدين لله "(٤).

---

(١) رواه البخارى فى أول صحيحه . كتاب بدء الوحى ، وفى مواضع أخرى منه . انظر فتح البارى (١/٩، ح ١٠) . ورواه مسلم فى . كتاب الامارة . باب قوله صلى الله عليه وسلم . انما الأعمال بالنية " (رقم ١٩٠٧)

(٢) جامع العلوم والحكم ص ١١ ط دار المعرفة - بيروت .

(٣) انظر فتح البارى ١/١١ ، وجامع العلوم والحكم صـ ٦،٥

(٤) شرح حديث إنما الأعمال بالنيات ص ١٣ تحقيق عبد الله بن حجاج ط- مكتبة السلام العالمية - القاهرة سنة ١٤٠١هـ.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه " (١)

يقول النووي في شرح الحديث : " ومعناه : أنا غني عن المشاركة وغيرها ، فمن عمل شيئا لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير ، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به "(٢)

وعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : " يا معاذ بن جبل ، أتدري ما حق الله على العباد ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئا . أتدري ما حقهم عليه ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : أن لا يعذبهم " (٣) .

يقول الشيخ عبدالله الغنيمان في شرح الحديث :" فحقه تعالى على عباده ،أن يعبدوه ،مخلصين له العبادة ، متمثلين ما أمرهم به وأوجبه عليهم ، وأعظمه التوحيد ، ومجتنبين ما نهاهم عنه ، وحرمه عليهم وأعظمه الشرك ، فإذا فعلوا ذلك، فحقهم عليه أن يغفر لهم ، ولا يعذبهم وأن يدخلهم الجنة ،وقد وعدهم ذلك ، ووعده حق لا يخلف "(٤)

---

(١) أخرجه مسلم في . كتاب الزهد . باب تحريم الرياء،انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١١٥/١٨ ، والامام أحمد في " المسند " . (٣٠١/٢ ، ٤٣٥).
وابن ماجة في . ٣٧ ـ كتاب الزهد. ٢١ـ باب الرياء والسمعه (رقم ٤٢٠٢).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١١٥/١٨-١١٦

(٣) أخرجه البخاري في٩٧- كتاب التوحيد. ١ـ باب ماجاء فيدعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته الى توحيد الله تبارك وتعالى (انظر فتح الباري٣٤٧/١٣ رقم ٧٣٧٣)،وأخرجه مسلم في ٠ ١ ـ كتاب الايمان ٤٧ ـ باب حق الله على العباد (وانظرصحيح مسلم بشرح النووي١/٢٣١-٢٣٢)

(٤) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري(١/٤٤-٤٥)ط دار المدني جده الطبعة الأولى ١٤٠٥

ب - في تجريد المتابعة :

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين " (١)

وعن عبد الله بن هشام - رضي الله عنه - قال : " كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : يا رسول الله ، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك . فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الآن يا عمر " (٢)

قال الإمام النووي : " قال الإمام أبو سليمان الخطابي (٣) : لم يرد به حب الطبع بل أراد به حب الاختيار ، لأن حب الإنسان نفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه قال فمعناه لا تصدق في حبي حتى تفنى في طاعتي نفسك وتؤثر رضاي على هواك ، وإن كان فيه هلاكك " (٤)

---

(١) أخرجه البخاري في ٢ - كتاب الايمان ٨ - باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الايمان (الفتح ٥٨/١ ح ١٥) .
وأخرجه مسلم في ١ - كتاب الايمان ١٦ - باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين (صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/٢) .

(٢) أخرجه البخاري في ٨٣ - كتاب الأيمان والنذور ٣ - باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم ؟
وانظر فتح الباري (٥٢٣/١١ ح ٦٦٣٢) .

(٣) تقدمت ترجمته .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥/٢ .

وذكر في موضع آخر قول القاضي عياض (١). " ومن محبته صلى الله عليه وسلم نصرة سنته ، والذب عن شريعته ، وتمني حضور حياته فيبذل ما له ونفسه دونه " (٢)

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ . " وشرط المحبة موافقة المحبوب ، فتحب ما يحب ،وتكره ما يكره ، وتبغض ما يبغض " (٣)

وقال : " قوله " لا يؤمن أحدكم " أي : لايحصل له الإيمان الذي تبرأ به ذمته ، ويستحق به دخول الجنة بلا عذاب حتى يكون الرسول أحب إليه من أهله وولده ووالده والناس أجمعين ، بل لا يحصل له ذلك حتى يكون الرسول أحب إليه من نفسه أيضا ، كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه "(٤)

ومن لوازم محبته صلى الله عليه وسلم ، تعظيم سنته ،واتباعها ، وعدم معارضتها برأي ، ولا معقول ، ولا قياس ، ولا وجد ، ولا قول أحد من البشر كائنا من كان "(٥) .

---

(١) الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى ،بن عياض اليحصبي الأندلسي ، ثم السبتي المالكي . (ت ٥٤٤هـ) انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء " ٢١٢/٢٠ ، " الديباج المذهب" ٤٦/٢ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/٢

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ٤٧٢ ، ط المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة .

(٤) المصدر السابق ص ٤٧٣

(٥) انظر مجموع الفتاوى ٤٤٣/١٧- ٤٤٥ ، ١٢٠/٣٥-١٢١ ، ٣٧٤ ، ٣٨٣ ، شرح الطحاوية ٧٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٣٥٤ .

ومن لوازمها كثرة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم .

ومن لوازمها عدم الغلو فيه صلى الله عليه وسلم والذى يقع فيه كثير من أهل البدع .

ومن لوازمها أن نحب صحابته وآل بيته رضوان الله عليهم أجمعين ، وأن نتولاهم ونترضى عليهم ، وأن نسكت عما شجر بينهم ، وأن نبغض من يبغضهم .

ومن الأحاديث الدالة على وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم ، حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى . قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى " (١)

وعنه - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله "(٢)

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه ، فهو رد " (٣)

وفى رواية : " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد "(٤).

---

(١) أخرجه البخارى . كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة . ٢ - باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
انظر الفتح (١٣/٢٤٩ ح . ٧٢٨٠)

(٢) أخرجه الامام أحمد فى " المسند" (٢/٢٥٢، ٤٧١)، وابن ماجة فى " سننه " (١/٤)(٢/٩٥٤) ، وابن أبى شيبة فى" مصنفه" (١٢/٢١٢).

(٣) رواه البخارى فى . ٥٣ - كتاب الصلح . ٥ - باب اذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود(٢/٢٠٢٥/١٦٦، ٤/٤٣٧) .
ورواه مسلم فى . ٣٠ - كتاب الأقضية . ٨ - باب نقض الاحكام الباطلة - ورد محدثات الأمور (٥/١٣٢). والامام أحمد فى " المسند" .(٦/١٤٦، ١٨٠، ٢٤٠، ٢٥٦، ٢٧٠٠) وأبو داود (٤٦٠٦) ، وابن ماجة (١٤) ، والدارقطنى(٥٢١).

(٤) رواية مسلم .

قال ابن حجر : " وهذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده ، فإن معناه : من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه " (١)

وقال النووي : " قال أهل العربية : الرد هنا بمعنى المردود ومعناه : فهو باطل غير معتد به ، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات "(٢)

إلى أن قال : " وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به " (٣)

عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من رغب عن سنتي فليس مني "(٤).

---

(١) فتح الباري ٥/٣٠٢

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/١٦

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) أخرجه الامام أحمد في " مسنده " (٢/١٥٨) ، وابن أبي عاصم في " السنة " (١/٣١) ، وابن خزيمة في "صحيحه" (١/٩٩، ٣/٢٥٨) ، واللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " (١/٩٧ ح ١٣٨) وصححه الشيخ الالباني .
وله شاهد صحيح من حديث أنس بن مالك مطولا . وفي آخره " من رغب عن سنتي فليس مني " .
أخرجه البخاري في كتاب النكاح (٢/١٠٢٠) ، والامام أحمد في " مسنده " (٣/٢٤١، ٢٥٩، ٢٨٥) ، والنسائي في" سننه" (٢/٦١) ، وابن أبي عاصم في " السنة " (١/٣١).

قال ابن حجر : " المراد بالسنة الطريقة لا التي تقابل الفرض ، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره ، والمراد من هذا طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني "(١)

ويقول شيخ الإسلام في حقيقة المتابعة : " فمحمد صلى الله عليه وسلم أرسل إلى كل أحد ، من الانس والجن كتابيهم وغير كتابيهم ، في كل ما يتعلق بدينه من الأمور الباطنة والظاهرة ، في عقائده وحقائقه ، وطرائقه وشرائعه ، فلا عقيدة إلا عقيدته ولا حقيقة إلا حقيقته ، ولا طريقة إلا طريقته ولا شريعة إلا شريعته ولا يصل أحد من الخلق إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته ومولايته إلا بمتابعته باطنا وظاهرا في الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة في أقوال القلب وعقائده ، وأحوال القلب وحقائقه ، وأقوال اللسان وأعمال الجوارح "(٢)

---

(١) فتح الباري ٩/١٠٥

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/٤٣٠ - ٤٣١

المبحث الثالث : الأدلة من أقوال السلف الصالح :

عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر - رضي الله عنه :قال : " لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به وإني لأخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ "(١)

وقال ابن بطة بعد أن أورد هذا الأثر : " هذا يا إخواني الصديق الأكبر يتخوف على نفسه الزيغ إن هو خالف شيئا من أمر نبينا صلى الله عليه وسلم ، فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بنبيهم وبأوامره ، ويتباهون بمخالفته ويسخرون بسنته نسأل الله عصمة من الزلل ونجاة من سوء العمل"(٢)

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : " الإقتصاد في السنة خير من الإجتهاد في البدعة "(٣)

وعن الأوزاعي - رحمه الله - قال : " كان يقال : خمس كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعون بإحسان : لزوم الجماعة ، واتباع السنة ، وعمارة المساجد ، وتلاوة القرآن والجهاد في سبيل الله "(٤)

---

(١) رواه ابن بطة في " الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية " (٢٤٦/١ ح : ٧٧) .

(٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (١ /٢٤٦) .

(٣) رواه الحاكم في " المستدرك " (١٠٣/١) وصححه ، ووافقه الذهبي ، ورواه الدارمي في " السنن " (ح : ٢٢٣) ، - والطبراني في " الكبير " ، والمروزي في "السنة " (٣٥) ، واللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة " (٥٥/١ح : ١٤ ، ٨٨/١٠ح : ١١٤ ، ١١٥) .

(٤) رواه اللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة "(٦٤/١ح : ٤٨) ، وذكره أبو نعيم في " الحلية " (١٤٢/٦) ،والبغوي في شرح السنة " (٢٠٩/١).

وعن الزهري - رحمه الله - قال :" الإعتصام بالسنة نجاة"(١)

وعن حسن البصري - رحمه الله - قال:" لا يصح القول إلا بعمل ، ولا يصح قول وعمل إلا بنية ولا يصح قول وعمل ونية إلا بالسنة"(٢)

---

(١) رواه اللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة " (١/٥٦، ح ١٥٠) ، والآجري في " الشريعة " (٣١٣، ٣١٤).

(٢) رواه اللالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة " (١/٥٧ ح ١٨) وروى مثله عن سعيد بن جبير ، اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/٥٧ح ٢٠) وروى مثله عن ابن مسعود ، الذهبي في " الميزان " (١/٩٠)
وروى مثله عن علي بن أبي طالب ، السيوطي في " كنز العمال " (١/٢١٧) .
وروى مثله عن الأوزاعي ،"انظر الحلية " لابي نعيم (٦/١٤٣ - ١٤٤)

الفصل الرابع

" طلب العلم الشرعي والتفقه في الدين "

وفيه سبعة مباحث

المبحث الأول : ماجاء في فضل العلم والحث عليه .

المبحث الثاني : بيان أن المقصود بالعلم في الآيات والأحاديث هو العلم الشرعي .

المبحث الثالث : انقسام العلم إلى نافع وغير نافع.

المبحث الرابع : انقسام طلب العلم الى فرض عين وكفاية.

المبحث الخامس : إخلاص النية في طلب العلم .

المبحث السادس : اقتضاء العلم العمل .

المبحث السابع : فضل علم السلف على علم الخلف .

* * * * *

الفصل الرابع

طلب العلم الشرعى والتفقه فى الدين

تمهيد :

طلب العلم واجب على كل مسلم ، وذلك بالقدر الذى يتعلم به أمور دينه ، من عبادات ، ومعاملات ، وسلوك ونحوها قال الله عز وجل : (فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)(١)

يقول الشيخ السعدى - رحمه الله - : " وعموم هذه الآية ، فيها مدح أهل العلم ، وأن أعلى أنواعه ، العلم بكتاب الله المنزل . فإن الله أمر من لا يعلم ، بالرجوع إليهم فى جميع الحوادث . وفى ضمنه ، تعديل لأهل العلم ، وتزكية لهم ، حيث أمر بسؤالهم ، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة "(٢)

وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " طلب العلم فريضة على كل مسلم"(٣)

وفى حديث جابر بن عبدالله - رضى الله عنهما - الطويل : " إنما شفاء العِىّ* السؤال " (٤)

(*) بكسر العين المهملة وتشديد المثناة التحتية فى الاصل العجز عن النطق ، والمراد به الجهل . انظر المنهل العذب المورود شرح سنن الامام أبى داود للسبكى (١٩١/٣) ط - المكتبة الاسلامية .

(١) النحل آية ٤٣ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ٢٠٦/٤

(٣) أخرجه ابن ماجة فى " المقدمة " ١٧ - باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (رقم ٢٢٤) وصححه الشيخ الالبانى انظر صحيح سنن ابن ماجة (٤٤/١)

(٤) رواه أبو داود فى " سننه " ١٠ كتاب الطهارة ، ١٢٧ - باب المجروح يتيمم .
وحسنه الشيخ الألبانى صحيح سنن أبى داود (٦٩/١)

فدل الحديث على أن طلب العلم فيه الشفاء من الجهل ، وفيه حث للجاهل على استفتاء العلماء وسؤالهم .

وقد مرّ معنا أن الجهل من أعظم أسباب الفرقة ، بل أن كثيرا من الأسباب الأخرى ترجع إليه . وما ذلك إلا نتيجة التقصير في طلب العلم الشرعي النافع ، الذي يثمر العمل الصالح ، ويأخذ بيد صاحبه إلى الطريق القويم .

فطلب العلم الشرعي إذن من العوامل القوية للزوم الجماعة . فعن طريقه يعرف المسلم العقيدة الصحيحة التي يجب عليه اعتقادها ، ويعرف كيف يعبد ربه تبارك وتعالى ، وينال رضوانه ، ويعرف السلوك السليم الذي ينبغي أن يسلكه ، والتعامل الرشيد الذي ينبغي أن يتعامل به مع أفراد مجتمعه من حوله .

وبالتالي يكون الفرد نواة صالحة في المجتمع المسلم ، ولبنة طيبة فيه . ومجتمع هذه حال أفراده ، مجتمع متماسك مترابط ، آخذ دوما في الرقي إلى مدارج الكمال ، متحصن بأسباب القوة والعزة .

هذا وسوف يكون كلامي حول هذا الموضوع من خلال المباحث التاليه

المبحث الأول : ما جاء في فضل العلم والحث عليه (*) :

أ - من القرآن الكريم :

لقد مدح الله عز وجل العلماء وأثنى عليهم في مواضع كثيرة من كتابه الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا

(*) للعلماء مؤلفات كثيرة في هذا الباب منها : كتاب العلم للنسائي ، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، الحث على طلب العلم لأبي الهلال العسكري ، الحث على حفظ العلم لابن الجوزي ، تقييد العلم للخطيب البغدادي ، تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة الكناني ، تعليم المتعلم للزرنوجي .

بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (١)

قال ابن كثير : " وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام " (٢)

وقال القرطبي : " في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم ، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء "(٣)

وقال ابن القيم : " وفي ضمن هذه الشهادة الإلهية الثناء على أهل العلم الشاهدين بها وتعديلهم "(٤)

ومن الآيات التي جاءت في الثناء على أهل العلم قول الله عز وجل : (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) (٥)

قال ابن كثير : " أي:وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه " (٦)

وقال القرطبي : " (وَمَا يَعْقِلُهَا) أي : يفهمها ،(إِلَّا الْعَالِمُونَ) أي : العالمون بالله " (٧) .

وقال السعدي : (مَا يَعْقِلُهَا) بفهمها وتدبرها ،وتطبيقها على ما ضربت له "وعقلها في القلب .

---

(١) آل عمران آية ١٨ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ١ / ٣٥٣.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٤١/٤
(٤) التفسير القيم ص ١٩٩ .
(٥) العنكبوت : آية ٤٣ .
(٦) تفسير القرآن العظيم ٤١٤/٣.
(٧) الجامع لأحكام القرآن ٣٤٦/١٣ .

(إِلَّا الْعَالِمُونَ) أى : إلا أهل العلم الحقيقى ، الذين وصل العلم إلى قلوبهم . وهذا مدح للأمثال ، التى يضربها ، وحث على تدبرها وتعقلها ، ومدح لمن يعقلها . وأنه عنوان على أنه من أهل العلم ، فعلم أن من لم يعقلها ،ليس من العالمين " (١)

وبين سبحانه أن العلماء هم الذين يخشونه حق الخشية فقال : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (٢)

قال ابن كثير : " أى : إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال ، المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم ، والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر " (٣)

ثم ذكر أقوال السلف الصالح الواردة فى تفسير الآية . ومن ذلك ما جاء عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال :" العالم بالرحمن من عباده من لم يشرك به شيئا ، وأحل حلاله ، وحرّم حرامه ، وحفظ وصيته وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله "(٤)

وقال القرطبى : " يعنى بالعلماء الذين يخافون قدرته ، فمن علم أنه عز وجل قدير أيقن بمعاقبته على المعصية " (٥)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ٨٩/٦
(٢) فاطر آية ٢٨
(٣) تفسير القرآن العظيم ٥٥٣/٣
(٤) المصدر السابق .
(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٣/١٤

وقال السعدى : " فكل من كان بالله أعلم ،كان أكثر له خشية . وأوجبت له خشية الله ، الإنكفاف عن المعاصى ، والإستعداد للقاء من يخشاه . وهذا دليل على فضيلة العلم ، فإنه داع إلى خشية الله . " (١)

فالعلم النافع يورث الخشية ، ويكون سببا فى زيادة التقوى ، والتقرب إلى الله عز وجل ، وهى الغاية التى خلق الله العباد لأجلها .

وقال تعالى : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (٢)

يقول القرطبى : " أى فى الثواب فى الآخرة ، وفى الكرامة فى الدنيا ، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم " (٣)

ومما له دلالة قوية على فضل العلم ، أن الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأله المزيد منه فقال سبحانه : (وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا) (٤)

يقول القرطبى : " فلو كان شىء أشرف من العلم لأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأله المزيد منه كما أمره أن يستزيده من العلم " (٥)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ٣١٧/٦.
(٢) المجادلة آية ١١
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٩/١٧
(٤) طه آية ١١٤
(٥) الجامع لأحكام القرآن ٤١/٤ .

ب ـ من السنـــــة : ـ

عن معاوية ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم : " من يرد الله به خيرا يفقـــه فـــى الدين " (١)

فى هذا الحديث : " إثبات الخير لمن تفقه فى دين اللـــه ، وأن ذلك لا يكون بالإكتساب فقط ، بل لمن يفتح الله عليه به"(٢)

وقال النووى : " فيه فضيلة العلم ، والتفقه فى الديـــن والحث عليه ، وسببه أنه قائـــد إلى تقوى الله تعالى "(٣)

وعن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم : " من سلك طريقا يطلب فيه علما ، سلـــك الله به طريقا من طرق الجنة ، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتهـــا رضا لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من فى السمـــوات ومن فى الأرض ، والحيتان فى جـــوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائـــر الكواكب وإن ـ العلماء ورثـــة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينـــارا ولا درهمـــا ، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر "(٤)

---

(١) أخرجه البخارى فى . كتاب العلم : ١٣ ـ باب من يرد الله به خيرا يفقه فى الدين ، وأخرجه فى مواضع أخرى مـــن صحيحه انظر (١/٢٥ ، ٢٦ ، ٤/٤٩ ، ٨/١٤٩)
وأخرجه مسلم فى . كتاب الزكاة . باب النهى عن المسألة (١٠٣٧ ، ١٠٣٨) انظر (٣/٩٥/٦٠٥٣ ، ٥٤) .

وأخرجه أحمد (٤/٩٢-١٠١) ، والترمذى (رقم ٢٧٩٦) ،وابـــن ماجة (رقم ٢٢٠) وأورده الألبانى فى السلسلة الصحيحـــة (٣/١٩١ ـ ١٩٤ رقم ١١٩٤ ـ ١١٩٦) وذكر طرقه ومن خرجـــه

(٢) فتح الباري لابن حجر ١/١٦٤
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٧/١٢٨
(٤) رواه أبو داود (٣٦٤١) ،وابن ماجة (٢٢٣) ، والترمـــذى (٢٨٣٥) وصححه الشيخ الالبانى ، انظر صحيح سنن أبىداود ٢/٦٩٤ ، وصحيح سنن ابن ماجة ١/٤٣ ، وصحيح سنن الترمذى ٢/٣٤٢ .

يقول ابن جماعة (١) : " واعلم أنه لا رتبة فوق رتبة من تشتغل الملائكة وغيرهم بالإستغفار والدعاء له وتضع له أجنحتها " (٢)

فالحديث يحمل بشائر عظيمة لطالب العلم ، ويبين ما للعلماء من القدر الجليل ، والمقام النبيل ، وهذا يدل على فضل العلم ، وسمو مرتبته و عظيم مكانته .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : إلا من صدقة جارية ، أو ولد صالح يدعو له ، أو علم نافع " (٣) وفى رواية أبى قتاده - رضى الله عنه - خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث : ولد صالح يدعو له ، وصدقة تجرى يبلغه أجرها ، وعلم يعمل به من بعده "(٤)

وقال النووى - رحمه الله - : " فيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه وبيان فضيلة العلم والحث على الإستكثار منه والترغيب فى توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح ، وأنه ينبغى أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع "(٥)

---

(١) بدر الدين محمدبن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى (ت ٧٣٣هـ) انظر شذرات الذهب ١٠٥/٦-١٠٦

(٢) تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم (ص ٨) طبعة دار الكتب العلمية - بيروت .

(٣) رواه مسلم فى . كتاب الوصية . باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد وفاته (رقم ١٦٣١) ، وأبو داود(٢٨٨٠) ، - والترمذى (١٣٧٦) ، والامام أحمد(٣٧٢/٢) ، والبخارى فى الأدب المفرد " (رقم ٣٨)..

(٤) رواه ابن ماجة فى المقدمة ." (٢٤١) وصححه الشيخ الالبانى انظر صحيح سنن ابن ماجة (٤٦/١) .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٨٥/١١

جـ - من أقوال السلف الصالح :

عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : " تفقهوا قبل أن تسودوا " (١)

وقد ذكر ابن حجر أقوالا كثيرة عن العلماء فى معنى قول عمر رضى الله عنه - "قبل أن "تسودوا " (٢)

ومنها قول أبى عبيد القاسم بن سلام - رحمه الله - حيث قال : " يقول : " تعلموا العلم مادمتم صغارا قبل أن تصيروا سادة " (٣)

وهذا القول هو الذى يطابق ترجمة البخارى - رحمه الله - حيث عقّب على قول عمر - رضى الله عنه - بقوله : " وبعد أن تسودوا ، وقد تعلم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى كبر سنهم (٤)"

قال ابن حجر : " وإنما عقبه البخارى بقوله " وبعد أن تسودوا " ليبين أن لا مفهوم له خشية أن يفهم أحد من ذلك أن السيادة مانعة من التفقه ، وإنما أراد عمر أنها قد تكون سببا للمنع"(٥)

---

(١) ذكره البخارى تعليقا (١٦٥/١) بصيغة الجزم ،كتاب العلم ، باب الاغتباط فى العلم والحكمة .
وأخرجه الدارمى (٧٩/١) ،وابن عبد البر فى " جامع بيان العلم " (٨٦/١) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام فى " غريب الحديث " (٣٦٩/٣) ، ووكيع فى " الزهد" (٣٢٧/١) ،والخطيب البغدادى فى " الفقيه والمتفقه " (٧٨/٢) ، وأخرجه أيضا فى " نصيحة أهل الحديث " (رقم ٣-٥) والقاضى عياض فى " الإلماع " (ص ٢٤٤) ،وأبو خيثمة فى " العلم" (١١١)" وانظر نصيحة أهل الحديث للبغدادى صـ ٢٥ تحقيق عبد الكريم أحمد الوريكات ط مكتبة المنار- الأردن ١٤٠٨

(٢) فتح البارى (١٦٦/١)
(٣) المصدر السابق .
(٤) » » (١٦٥/١)
(٥) المصدر السابق (١٦٦/١)

وعن عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : " اغـــد عالما أو متعلما ولا تغـــد امعـــة بين ذلك " (١)

قال ابن الأثير : " الإمّعة بكسر الهمزة وتشديد الميـــم الذى لا رأى له فهو يتابع كل أحد على رأيه والهاء فيـــه للمبالغة "(٢)

وعن كميل بن زياد (٣) أن على بن أبى طالب - رضى الله عنـــه - قال له:" يا كميل : إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاهـــا للخير ، والناس ثلاثة : فعالم ربانى ، ومتعلم على سبيـــل نجاة ، وهمج رعاع ، أتباع كل ناعق ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق "(٤)

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢٩/١ وأخرجه ابـن بطة فى " الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٣٤١/١ح٢٠٩-٢١٠ . وذكره الشاطبى فى الاعتصام ٣٥٧/٢

(٢) النهاية فى غريب الحديث ٦٧/١٠

(٣) كميل ، بالتصغير ،بن زياد بن نهيك النخعى ،ثقة رمـــى بالتشيع (ت ٨٢هـ) انظر تقريب التهذيب صـ ٤٦٢ - ترجمة رقم (٥٦٦٥) .

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر٢٩/١ وانظر الإعتصام ٣٥٨/٢.

المبحث الثاني: بيان أن المقصود بالعلم في الآيات والأحاديث هو العلم الشرعي :

قال ابن حجر - رحمه الله - في أول شرحه لكتاب العلم من صحيح البخارن : " والمراد بالعلم العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عبادته ومعاملاته ، والعلم بالله وصفاته ، وما يجب له من القيام بأمره ، وتنزيهه عن النقائص "(١)

وقال ابن القيم - رحمه الله -:" إن العبد لو عرف كل شيء ولم يعرف ربه فكأنه لم يعرف شيئا "(٢)

وقد عقد ابن عبد البر - رحمه الله - بابا في كتابه جامع بيان العلم وفضله ، أسماه (باب معرفة أصول العلم وحقيقته وما الذي يقع عليه اسم الفقه والعلم مطلقا) (٣) .

ومما ذكره من الأحاديث في هذا الباب ، حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " العلم ثلاثة : فما وراء ذلك فهو فضل : آية محكمة ، أو سنة قائمة ، أو فريضة عادلة " (٤) فحصر النبي صلى الله عليه وسلم - العلم في هذه الأشياء التي هي أقسام العلوم الشرعية .

ومن الأحاديث التي ساقها ابن عبد البر في الباب المذكور آنفا ،حديث زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نضّر الله امرأ سمع مقالتي

---

(١) فتح الباري ١٤١/١
(٢) اغاثة اللهفان ٦٨/١
(٣) جامع بيان العلم وفضله ٢٣/٢ - ٣٦
(٤) رواه ابن ماجة في المقدمة ،باب اجتناب الرأي والقياس (رقم ٥٤) ، وأبو داود في كتاب الفرائض . باب تعليم الفرائض (٢٨٨٥) ، وضعفه الشيخ الألباني انظر ضعيف سنن ابن ماجة ص (٥)

فبلغها . فرب حامل فقه غير فقيه . ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه "(١)

قال ابن عبد البر : " فأطلق على حديثه اسم العلم لمن تدبره وفهمه " (٢)

المبحث الثالث : إنقسام العلم إلى نافع وغير نافع:

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه : " والعلم ما قام عليه الدليل ، والنافع منه ما جاء به الرسول "(٣)

وقال في موضع آخر : " والعلم الممدوح الذي دل عليه الكتاب والسنة هو العلم الذي ورثته الأنبياء "(٤)

وقال ايضا : " والخير والسعادة والكمال والصلاح منحصر في نوعين : في العلم النافع ، والعمل الصالح . وقد بعث الله محمدًا بأفضل ذلك وهو الهدى ودين الحق "(٥)

---

(١) أخرجه أحمد في " المسند" (١٨٣/٥) ، وابن ماجة في مقدمة سننه (ح . ٢٣٠) ، وأبو داود في " كتاب العلم" من سننه (ح . ٣٦٦٠) ، والدارمي (٧٥/١) ، وابن حبان (٧٢ ،٧٣٠- موارد) ، وابن عبدالبر في " جامع بيان العلم وفضله " (٣٨/١ - ٣٩) ،(٢٧/٢) ،وذكره الشيخ الالباني في " السلسلة الصحيحة " (٦٨٩/١ح. ٤٠٤)

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢٧/٢

(٣) مجموع الفتاوى ١٣٦/١٣

(٤) مجموع الفتاوى ٣٦٩/١١ - ٣٩٧ - وقد ذكر أقسام هذا العلم .

(٥) مجموع الفتاوى ١٦٩/١٩ - ١٧٠ ، وانظر ٦٦٤/١٠

وقد جاء فى القرآن الكريم الاشارة الى العلم الذى ليس نافعا ، كقوله تعالى : (فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ)(١)

وقال تعالى : (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) (٢)

وقال تعالى : (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ) (٣)

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه عز وجل بأن يرزقه العلم النافع ، وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من العلم الذى لا ينفع .

عن أبى هريرة - رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اللهم انفعنى بما علمتنى ، وعلمنى ما ينفعنى ، وزدنى علما " (٤)

وعنه - رضى الله عنه - قال : كان من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم :

" اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن دعاء لا يسمع ، ومن قلب لا يخشع ،ومن نفس لا تشبع "(٥)

---

(١) النجم آية ٢٩ و ٣٠
(٢) الروم آية ٧
(٣) غافر آية ٨٣
(٤) أخرجه الترمذى (٣٥٩٩) وحسّنه ، وابن ماجة (٢٥١)(٣٨٣٣) وصححه الشيخ الألبانى ، انظر . صحيح سنن ابن ماجة (٤٧/١) .
(٥) أخرجه الامام أحمد (٣٤٠/٢ ، ٣٦٥ ، ٤٥١) ، وأبو داود (١٥٤٨) والنسائى (٢٦٣/٨ ، ٢٨٤) ، وابن ماجة (٣٨٣٧) ،والحاكم (١٠٤/١ ، ٥٣٤) وصححه ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الاسماء والصفات (ص ٤٤) ، والخطيب فى الفقيه والمتفقه (٨٨/٢) ، وابن عبد البر فى " جامع بيان العلم وفضله " (١٦١/١ ، ١٦٢) ، وصححه الشيخ الألبانى ، انظر صحيح سنن ابن ماجة (٤٧/١) . وانظر تخريج الحديث لمحمد بن ناصر العجمى فى تحقيقه لكتاب " بيان فضل علم السلف " لابن رجب (ص ١٨) .

المبحث الرابع : إنقسام طلب العلم إلى فرض عين وكفاية :

قال ابن عبد البر : " أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصته بنفسه ، ومنه ما فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع" (١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه : -

" وطلب العلم الشرعي فرض على الكفاية إلا فيما يتعين ،مثل طلب كل واحد علم ما أمره به وما نهاه عنه ، فإن هذا فرض على الأعيان " (٢)

إلى أن قال : " وعلى كل أحد أن يصدق محمداً صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به ، ويطيعه فيما أمر تصديقا عاما وطاعة عامة ، ثم إذا ثبت عنه خبر كان عليه أن يصدق به مفصلا ، وإذا كان مأمورا من جهة بأمر معين كان عليه أن يطيعه طاعة مفصلة "(٣).

والواجب الواجب الذي على كل مسلم أن يعتني به ويتعلمه هو توحيد الله عز وجل الذي لا نجاة للعبد إلا به ومعرفة الكيفية الصحيحة لعبادته سبحانه ،ومعرفة ما يضاد التوحيد وهو الشرك حتى يتجنبه ولا يقع فيه ، ولذلك ذكر العلماء من شروط لا إله إلا الله : العلم ، واستدلوا لذلك بقوله تعالى : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ) (٤)

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١٠/١) ثم ذكر في باقي الصفحة والتي تليها ملخصا لما يلزم على كل مسلم تعلمه .

(٢) مجموع الفتاوى ٨٠/٢٨ ، وانظر ٣٢٨/٣ - ٣٢٩،وشرح الطحاويه ص (٧٠)

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) القتال آية ١٩

المبحث الخامس : إخلاص النية في طلب العلم* :

لابد لطالب العلم من إخلاص نيته لله تعالى في طلبه للعلم وإلا كان وبالا عليه .

عن ابي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة " (١)

وعن كعب بن مالك - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من طلب العلم ليجارى به العلماء ، أو ليماري به السفهاء ، ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار " (٢)

ولا بد لطالب العلم كذلك أن يتحلى بالخصال الحميدة ، من تواضع وتجرد لطلب العلم ونحوها ليحب العلم النافع ويقبل عليه ،

قال شيخ الاسلام : " إذا اندفع عن النفس المعارض من الهوى والكبر والحسد وغير ذلك : أحب القلب ما ينفعه من العلم النافع والعمل الصالح " (٣)

(*) انظر فصل الإخلاص لله تعالى وتجريد المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم لمزيد التفصيل .

(١) اخرجه أبو داود في : كتاب العلم : ١٢ - باب في طلب العلم لغير الله رقم (٣٦٦٤) ، وأخرجه ابن ماجة في في"المقدمة : ٢٣ - باب الانتفاع بالعلم والعمل به رقم (٢٥٢) وصححه الشيخ الالباني انظر صحيح سنن أبي داود (٦٩٧/٢) ، صحيح سنن ابن ماجة (٤٧/١) .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب العلم : ٦- باب فيمن يطلب بعلمه الدنيا (رقم (٢٨٠٥) ، وأخرجه ابن ماجة في : المقدمة : ٢٣ - باب الانتفاع بالعلم والعمل به رقم (٢٥٣) ، وحسنه الشيخ الألباني ، انظر صحيح سنن الترمذي (٣٣٧/٢) ، وصحيح سنن ابن ماجة (٤٨/١) .

(٣) مجموع الفتاوى ٢٤١/١٨ - ٢٤٢

المبحث السادس : اقتضاء العلم العمل*:

العمل الصالح هو ثمرة العلم النافع ، وهو نتيجة لازمة له ، ولا خير في علم لا يعمل صاحبه بمقتضاه ، ولا يتأثر سلوكه بما دل عليه .

ولذلك جاء الوعيد الشديد في كتاب الله لمن خالف قوله فعله ، قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (١)

يقول السعدي - رحمه الله - : " ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس مبادرة إليه ، والناهي عن الشر ، أن يكون أبعد الناس عنه " (٢)

وقال تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ، بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (٣)

قال ابن القيم - رحمه الله - : " فاس من حمّله سبحانه كتابه ليرئ من به ، ويتدبره ، ويعمل به ، ويدعو إليه ، ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب ، فقرأه بغير تدبر ، ولا تفهم ، ولا اتباع له ، ولا تحكيم له ، ولا عمل بموجبه : كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدرى ما فيها فحظه منها : حملها على ظهره ليس إلا . فحظ هذا من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره .

(*) للخطيب البغدادي كتاب بعنوان "اقتضاء العلم العمل" جمع فيه الآثار عن السلف الصالح في هذا الموضوع .

(١) الصف آية ٢ ، ٣ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣٦٦/٧

(٣) الجمعة آية ٥

فهذا المثل ، وإن كان قد ضرب لليهود ، فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به ، ولم يؤد حقه ،ولم يرعه حق رعايته "(١)

وقد كان الأنبياء عليهم السلام أول الناس عملا بما يوحى إليهم ، وأسرع الناس تطبيقا لما يقولون ، فها هو نبى الله شعيب عليه السلام - يقول لقومه :-

(وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ) (٢)

وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم ،أن من الأمور التى يسأل عنها العبد يوم القيامة : علمه ماذا عمل به ؟

فعن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : -

" لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس : - عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ،وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وماذا عمل فيما علم"(٣)

وكان السلف الصالح حريصين أشد الحرص ،على العمل بعلمهم ، لذلك وردت آثار كثيرة عنهم فى هذا الموضوع ، وفيما يلى ذكر لبعضها :

---

(١) التفسير القيم ص ٤٩٣ ، وانظر اعلام الموقعين ١٩٧/١

(٢) هود آية ٨٨

(٣) أخرجه الترمذى (٦٧/٢) (رقم ٢٥٤٤ ،٢٥٤٥) ،وأبو يعلى فى " مسنده " (٢٥٤/٢) ، والطبرانى فى " المعجم الكبير " (١/٤٨/١) و " الصغير" (رقم ٦٤٨ - الروض) ، وأورده الشيخ الالبانى فى السلسلة الصحيحة " (٦٦٦/٢) (رقم ٩٤٦).

عن أبى هريرة رضى الله عنه - أنه قال : " مثل علم لا يعمل به كمثل كنز لا ينفق منه فى سبيل الله عز وجل " (١)

وعن أبى الدرداء - رضى الله عنه - قال : " إنَّكَ لن تكون عالما حتى تكون متعلما ، ولن تكون متعلما حتى تكون بما علمت عاملا " (٢)

وعن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قال : " هتف العلم بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل "(٣)

المبحث السابع : فضل علم السلف على علم الخلف :

لقد كانت عناية سلفنا الصالح بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم كبيرة جدا ، وهم مع هذا كانوا يحافظون على صفاء ونقاء هذين المصدرين العظيمين ، فلم يخلطوهما بغيرهما من الشوائب التى تكدر صفوها .

وكان أكبر اهتمامهم هو دراسة هذين المصدرين وتدبرهما ، وتفهم معانيهما ، واستنباط الأحكام منهما ثم تطبيق ذلك فى واقع حياتهم . ولذلك كان كلامهم فى تفسير كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكانت مؤلفاتهم فى علوم القرآن والسنة وخدمتهما .

وكانوا يكرهون الجدل والمراء والخصومات ، ولا يتكلمون فيما ليس تحته عمل وكان لهم موقف حازم من العلوم الحادثة ، ولم يختلف رأيهم فى نبذها ، ومحاربتها وتحذير الناس منها (٤)

---

(١) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادى صـ ١٦٥ ضمن كتاب " من كنوز السنة " ط دار الأرقم - الكويت .
(٢) المصدر السابق صـ ١٦٧
(٣) المصدر السابق صـ ١٧٣ ، وهذا الأثر يروى عن مجموعة من السلف منهم ابن المنكدر ، وسفيان الثورى .
(٤) مثل موقفهم من علم الكلام والفلسفة ، ومثل موقفهم من العلوم الباطنة التى أحدثها الزهاد والمتصوفة .

لذلك من أراد العلم النافع ، فليأخذه من كتب السلف الصالح ومصنفاتهم ، يقول ابن رجب - رحمه الله - : " فالعلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث ، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والرقائق والمعارف ، وغير ذلك والإجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولاً ، ثم الإجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانيا ، وفي ذلك كفاية لمن عقل ، وشغل لمن بالعلم النافع عنى واشتغل ، ومن وقف على هذا وأخلص القصد فيه لوجه الله عز وجل واستعان عليه أعانه وهداه ووفقه وسدده وفهمه وألهمه ، وحينئذ يثمر له هذا العلم ثمرته الخاصة به وهي خشية الله كما قال عز وجل : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[1] "[2]

ومن أعرض عن كلام السلف الصالح ، وعلومهم ، ولم يأخذ العلم من كتبهم ومؤلفاتهم ، فاته ذلك الخير كله ، وهو في متابعته لغيرهم ممن تأخر عنهم وخالفهم ، واقع فيما وقعوا فيه من الباطل والمخالفة ". [3]

---

(١) فاطر آية ٢٨

(٢) بيان فضل علم السلف على علم الخلف (ص ٤٥) تحقيق محمد بن ناصر العجمي ط دار الأرقم - الكويت الأولى سنة ١٤٠٤هـ

(٣) انظر المصدر السابق صـ ٤٢

الفصل الخامس

" طلب الحق وتحريه واتباع الدليل والالتزام به "

وفيه ثلاثة مباحث
هي

المبحث الاول : وجوب اتباع الحق وعظيم خطر عدم قبوله .

المبحث الثاني : وجوب اتباع الدليل الشرعي .

المبحث الثالث : بعض الوسائل التي تعين على الوصول إلى الحق .

* * *

الفصل الخامس

طلب الحق وتحريه واتباع الدليل والإلتزام به

تمهيد :

معنى الحق : جاء لفظ"الحق" فى القرآن الكريم فى مقابل " الضلال " مرة ، وذلك فى قوله تعالى:(فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) (١)

وجاء فى مقابل " الباطل " مرة أخرى ، وذلك فى قوله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ)(٢)

ومقابلة الحق بالضلال عرف لغة وشرعا ،كما أن مقابلته بالباطل عرف لغة وشرعا . (٣)

وقد أتت كلمة " الحق " فى القرآن الكريم لعدة وجوه ، منها - وهو الذى يهمنا فى هذا الفصل - بمعنى " الحق بعينه الذى ليس بباطل " (٤)

المبحث الأول : وجوب اتباع الحق وعظيم خطر عدم قبوله :

بيّن الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم أنه لا توجد منزلة ثالثة بين الحق والباطل فقال سبحانه : (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) (٥)

---

(١) يونس آية ٣٢

(٢) الحج آية ٦٢

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٣٣٦/٨،وانظر الصحاح للجوهرى (١٤٦٠/٤) .

(٤) انظر اصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم للدامغانى ص ١٣٩ - ١٤١ . طبعة دار العلم للملايين - بيروت - ط الثالثة سنة ١٩٨٠م.

(٥) يونس آية ٣٢

قال القرطبي : " قال علماؤنا : حكمت هذه الآية بأنه ليس بين الحق والباطل منزلة ثالثة في هذه المسألة التي هي توحيد الله تعالى ، وكذلك هو الأمر في نظائرها ، وهي مسائل الأصول فإن الحق فيها في طرف واحد "(١)

والحق لابد فيه من اليقين ، ولا يكفي فيه مجرد الظن ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾(٢)

قال ابن كثير (٣) : " أي لا يجدي شيئا ولا يقوم أبدا مقام الحق"

وقال السعدي : " فإن الحق لابد فيه من اليقين ،والمستفاد من الأدلة والبراهين الساطعة "(٤)

ولذلك فإن الحق والهدى لا يتلقى إلا من دلالة الكتاب والسنة وحدهما لا كما يقول أهل الكلام الذين عكسوا الأمور فجعلوا دلالة الكتاب والسنة ظنية ، ودلالة العقول وكلام الفلاسفة والمناطقة هو اليقيني .

قال تعالى : ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾(٥)

ولقد مدح الله المؤمنين لاتباعهم الحق فقال سبحانه : ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٦)

---

(١) الجامع لاحكام القرآن ٣٣٦/٨

(٢) يونس : ٣٦ ، ووردت في موضع آخر من القرآن الكريم في الآية ٢٨ من سورة النجم .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٥٥/٤

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢١٢/٧

(٥) النجم آية ٢٣

(٦) الرعد آية ١٩

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: " فلا يستوي من تحقق صدق ما جئت به يا محمد ومن هو أعمى لا يهتدي إلى خير ولا يفهمه ولو فهمه ما انقاد له ولا صدقه ولا اتبعه " (١)

وقال السعدي : " فحقيق بالعبد ، أن يتذكر ويتفكر ، أي الفريقين أحسن حالا ، وخير مآلا ، فيوءثر طريقها ، ويسلك خلف فريقها " (٢) .

وبيّن سبحانه أن عدم تحري الحق ، وعدم الإلتفات إليه هو السبب الأول وراء إعراض أكثر المعرضين ، فقال سبحانه : (بَلْ أَكْثَرُهُم لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ) (٣)

قال السعدي : " وليس عدم علمهم بالحق لخفائه وغموضه ، وإنما ذلك لإعراضهم عنه ، وإلّا فلو ألتفتوا إليه أدنى إلتفات ، لتبين لهم الحق من الباطل تبينا واضحا جليا " (٤)

وحذّر سبحانه عباده من النتيجة الوخيمة للإعراض عن الحق ، وعدم اتباعه ، وأنه سبب في الزيغ ، والهلاك ، وتقليب القلوب وسوء المصير ، نسأل الله أن يعيذنا من ذلك .

قال تعالى : (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) (٥)

قال السعدي : " أي : ونعاقبهم ، إذ لم يوءمنوا أول مرة يأتيهم فيها الداعي ، وتقوم عليهم الحجة ،بتقليب القلوب ، والحيلولة بينهم وبين الإيمان ، وعدم التوفيق لسلوك الصراط المستقيم .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥٠٩/٢
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٠٢/٤
(٣) الانبياء آية ٢٤
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢٢٢/٥
(٥) الأنعام آية ١١٠

وهذا من عدل الله ، وحكمته بعباده ، فإنهم الذين جنوا على أنفسهم ، وفتح لهم الباب فلم يدخلوا ، وبيّن لهم الطريق ، فلم يسلكوا . فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق ، كان مناسبا لأحوالهم " (١)

وبين سبحانه أن من أعظم أسباب الزيغ أن يميل الإنسان عن طريق الحق ، ويحيد عنها ،قال تعالى : (فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) (٢)

قال ابن كثير :" أى فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان " (٣)

وقد عدّ النبى صلى الله عليه وسلم رد الحق وعدم قبوله من الكبر الذى هو من أشنع الخصال ، وأردأ الفعال .

فقد ورد فى الحديث الطويل الذى رواه جمع من الصحابة (٤) - رضى الله عنهم - قول النبى صلى الله عليه وسلم : " الكِبْرُ من بَطِرَ الحق وغمط الناس " (٥) وفى رواية " وغمص الناس " (٦)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ٤٥٧/٢

(٢) الصف آية ٥

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٥٩/٤

(٤) منهم أبو هريره ، وعبد الله بن مسعود ، وعبدالله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر بن عبدالله ،رضى الله عنهم أجمعين

(٥) أخرجه مسلم فى كتاب الايمان ، باب تحريم الكبر (٦٥/١)، وأخرجه ابو داود (٤٠٩٢) ، والترمذى (٢٠٨٣) ، والإمام أحمد (٣٨٥/١ ، ٤٢٧) والحاكم (١٨١/٤ - ١٨٢) وصححه ووافقه الذهبى ، وأورده الشيخ الألبانى فى " السلسلة الصحيحة " (١٦٥/٤ - ١٦٨ ح : ١٦٢٦) .

(٦) رواية الترمذى .

قال النووى - رحمه الله - بأن غمط ، وغمص بمعنى واحد " ومعناه احتقارهم "(١)

وقال : " وأما بطر الحق فهو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا "(٢)

وقال ابن الأثير فى معنى " بطر الحق " :" هو أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا . وقيل هو أن يتجبر عند الحق فلا يراه حقا . وقيل : هو أن يتكبر عن الحق فلا يقبله " (٣)

المبحث الثانى : وجوب اتباع الدليل الشرعى :

حيث أن الحق هو ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ،وجب على كل مسلم أن يتبع كل دليل شرعى علمه وتبينه ، يقول الله تبارك وتعالى : (فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٤)

ويقول تعالى : (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ) (٥)

وقال تعالى :(اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) (٦)

وقال تعالى : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (٧) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٢/٩٠

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٢/٩٠

(٣) النهاية فى غريب الحديث ١/١٣٥ ش المكتبة الاسلامية ، وانظر تحفة الاحوذى للمباركفورى ٦/١٣٨ ،عون المعبود للعظيم آبادى ١١/١٥٢ ، بذل المجهود للسهارنفورى١٦/٤٢٣ ، مجموع الفتاوى ١٤/٢٢٠ - ٢٢١ لابن تيميه .

(٤) البقرة آية ٣٨

(٥) طه آية ١٢٣

(٦) الاعراف آية ٣

(٧) آل عمران آية ٣١

وقال تعالى : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (١)

واتباع الدليل الشرعي يكون بتحقق ثلاثة أشياء :

الأول : أن لا يعارضه بشيء من المعارضات .

الثاني: أن يتهم فهمه قبل أن يتهم دليلا من أدلة الدين بأي أمر من الأمور من حيث دلالته .

الثالث: أن لا يجد إلى خلاف النص سبيلا ألبته . لا بباطنه ولا بلسانه ، ولا بفعله ، ولا بحاله .(٢)

المبحث الثالث : بعض الوسائل التي تعين على الوصول إلى الحق :

توجد وسائل كثيرة ،وأسباب عديدة تعين من أخذ بها على الوصول إلى الحق وتبينه ، وذلك بعد توفيق الله وهدايته ،ومن هذه الوسائل :

الأولى : تقوى الله عز وجل ، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا)(٣)

قال ابن كثير :" فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره وُفِّقَ لمعرفة الحق من الباطل فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا وسعادته يوم القيامة"(٤)

وقال تعالى : (وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٥)

(١) الحشر آية ٧
(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٢/٣٣٤-٣٣٥
(٣) الانفال آية ٢٨
(٤) تفسير القرآن العظيم ٢/٣٠٢
(٥) آل عمران آية ١٠١

قال ابن كثير : " فالإعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية ، والعدة في مباعدة الغواية ، والوسيلة إلى الرشاد ، وطريق السداد وحصول المراد "(١)

وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٢)

قال السعدي في معنى قوله تعالى:(وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) : " أي يعطيكم علما ، وهدى ، ونورا تمشون به في ظلمات الجهل "(٣)

الثانية : الإخلاص والتجرد :

لا يتوقف طلب الحق على الأمور العلمية والمنهجية فحسب ، بل هو إلى جانب ذلك أمر نفسي يتعلق بمدى حرص المسلم على نجاة نفسه ، وتربيته إياها على الإخلاص ومجانبة ما يفسد فطرتها ، وما يوءثر على سلامة قصدها من جهل وهوى وظلم ونحوها .

قال شيخ الإسلام: " أصل الفطرة التي فطر الناس عليها إذا سلمت من الفساد إذا رأت الحق اتبعته وأحبته . إذ الحق نوعان :

حق موجود فالواجب معرفته والصدق في الإخبار عنه ،وضد ذلك الجهل والكذب . وحق مقصود ، وهو النافع للإنسان ،فالواجب إرادته والعمل به وضد ذلك إرادة الباطل واتباعه .

ومن المعلوم أن الله خلق في النفوس محبة العلم دون الجهل ومحبة الصدق دون الكذب ، ومحبته النافع دون الضار ،وحيث دخل ضد ذلك فلمعارض من هوى وكبر وحسد ونحو ذلك "(٤)

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٨٧/١

(٢) الحديد آية ٢٨

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣٠٥/٧

(٤) مجموع الفتاوى ٢٤٠/١٥-٢٤١،وانظر٣٤٧/١١،٣١٢/٩-٣١٧.

وقال أيضا : " وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذى يعلمه تبعا لهواه فإن ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح "(١)

وهذا الموضوع له تعلق بتزكية النفس ، فكلما سعى المؤمن فى تزكية نفسه ، وتربيتها على طاعة الله ،والبعد عن الفواحش الظاهرة والباطنة ، كان لذلك أثر عظيم فى قبول الحق والإقبال عليه .

الثالثة : اللجوء إلى الله عز وجل والإفتقار إليه :

كلما صدق المؤمن مع ربه ، ولجأ اليه ، وأظهر الإفتقار إليه كلما كان ذلك سببا فى توفيق الله له وهدايته إلى الصراط المستقيم .

قال تعالى :(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (٢)

وقال تعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) (٣)

وعن النعمان بن بشير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الدعاء هو العبادة"(٤) ثم قرأ (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)(٢) .

ومن الأدعية المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم - فى هذا الباب ، ما رواه الامام مسلم بسنده عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : سألت عائشة أم المؤمنين : بأى

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/١٠ ، وانظر ١٠/١٨٨ - ١٨٩

(٢) غافر آية ٦٠

(٣) البقرة آية ١٨٦

(٤) رواه أبو داود (١٤٧٩) ،والترمذى (٣٦١٢) وقال . حديث حسن صحيح ، وابن ماجه (٣٨٢٨) وصححه الشيخ الألبانى انظر صحيح سنن أبى داود (٢٧٧/١) وصحيح سنن الترمذى (١٣٨/٣) ، وصحيح سنن ابن ماجة (٣٢٤/٢) وانظر صحيح الجامع الصغير (ح . ٣٤٠١)

شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت كان إذا قام من الليل افتتح صلاته : " اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك انك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم " (١)

الرابعة : تدبر الكتاب والسنة :

القرآن الكريم ، والسنة النبوية هما المصدران لتلقي الحق والهدى والنور ، وبهما يعرف الحق من الباطل ، والهدى من الضلال .

قال تعالى : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ)(٢)

وقال تعالى :(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ)(٣)

وقال في حق رسوله صلى الله عليه وسلم (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (٤)

قال شيخ الإسلام:" فصل في الفرقان بين الحق والباطل.

وأن الله بين ذلك بكتابه ونبيه ، فمن كان أعظم اتباعا لكتابه الذي أنزله ونبيه الذي أرسله كان أعظم فرقانا ، ومن كان أبعد

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين . باب صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ودعائه بالليل ، وانظر صحيح مسلم بشرح النووي (٦/٥٦-٥٧) ، وأخرجه أبو داود (٧٦٧) ، وابن ماجة (١٣٥٧) .

(٢) الإسراء آية ٩ ، وانظر تفسيرها في أضواء البيان للشنقيطي (٣/٤٠٩ - ٤٥٧) ،فقد ذكر جملة من الفوائد العظيمة التي دلت عليها هذه الآية الكريمة .

(٣) النحل آية ٨٩

(٤) النجم آية ٣ ، ٤

عن اتباع الكتاب والرسول كان أبعد عن الفرقان ، واشتبه عليه الحق بالباطل " (١)

فعلى المسلم أن يكثر من النظر فى كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وتدبر ما جاء فيهما ، وتعلمه وتفهمه على الوجه الصحيح ، مع مطالعة كتب السلف الصالح ، فإن ذلك من أعظم أسباب التوفيق .

يقول شيخ الإسلام : " فإذا افتقر العبد إلى الله ودعاه ، وأدمن النظر فى كلام الله وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم - وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ، انفتح له طريق الهدى " (٢)

الخامسة : اتباع سبيل السابقين الاولين :

السابقون الأولون من سلف هذه الأمة هم أفضل القرون ،وهم خير الناس بعد الأنبياء عليهم السلام ، والصواب فى أقوالهم أكثر من الصواب فى أقوال من جاء بعدهم ، وخطاؤهم أخف من خطأ غيرهم ، لذلك كانت العناية بأقوالهم وأحوالهم أكثر فائدة ونفعا للمسلمين من أقوال وأعمال غيرهم .(٣)

يقول شيخ الإسلام : " فالإقتداء بهم خير من الإقتداء بمن بعدهم ، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم فى العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم . وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوما ، وإذا تنازعوا فالحق لا يخرج عنهم"(٤)

---

(١) مجموع الفتاوى(١٣/٢٦) وهى مقدمة لرسالة قيمة لشيخ الاسلام تسمى الفرقان بين الحق والباطل) وقد طبعت منفصلة عن الفتاوى بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط - ط مكتبة دار البيان - دمشق - الأولى سنة ١٤٠٥

(٢) مجموع الفتاوى (٥/١١٨)

(٣) انظر مجموع الفتاوى ١٣/٢٣-٢٧

(٤) مجموع الفتاوى ١٣/٢٤

ومن الإقتداء بهم اتباع منهجهم فى النظر والإستدلال .(١)
والحق واضح لكل من تأمله ، فإن الحق أبلج والباطل لجلج.

عن أبى الدرداء - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : - " وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها ونهارها سواء " (٢)

وفى الأثر الذى يرويه يزيد بن عميره (٣) عن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال : " وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نورا " (٤) .

السادسة : الصحبة الطيبة :

للصحبة الطيبة أثر كبير فى التعرف على الحق ، واتباعه . يقول تبارك وتعالى : (قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)(٥)

قال ابن كثير : " هذا مثل ضربه الله للاء لهة ومن يدعوا إليها والدعاة الذين يدعون إلى هدى الله عز وجل كمثل رجل ضل عن طريق تائها إذ ناداه مناد يا فلان ابن فلان هلم إلى الطريق وله أصحاب يدعونه يا فلان هلم إلى الطريق فإن اتبع الداعى الأول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق "(٦).

(١) انظر الفصل السابع من الباب الثانى من هذا البحث.
(٢) أخرجه ابن ماجة (ح ٥٠) ، وابن أبى عاصم فى "السنة" (ح ٤٧) وصححه الشيخ الألبانى انظر صحيح سنن ابن ماجة (٦/١) ، ظلال الجنة (٢٦/١) ، السلسلة الصحيحة (٣٠٨/٢،ح ٦٨٨)
(٣) يزيد بن عميرة ، بفتح العين ، الحمصى ، ثقة ، من الثانية انظر تقريب التهذيب (ص ٦٠٤) ترجمة رقم (٧٧٥٩)
(٤) رواه أبو داود فى " سننه" فى كتاب السنة . باب فى لزوم السنة . ج٥/ ١٧ (ح : ٤٦١١) .
(٥) الأنعام آية ٧١
(٦) تفسير القرآن العظيم ١٤٥/٢

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -: " الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل " (١)

وعن عبد الله بن شوذب (٢) - رحمه الله - قال :" إن من نعمة الله على الشاب إذا تنسك أن يواخي صاحب سنة يحمله عليها " (٣)

وعن عمرو بن قيس الملائي (٤) قال : " إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارجه وإذا رأيته مع أهل البدع فايئس منه فإن الشاب على أول نشوءه "(٥) .

هذه أهم الوسائل التي يسر الله لي الوقوف عليها - والتي هي من أعظم الأسباب المعينة على الوصول إلى الحق إن شاء الله .

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه .

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/٢٩٣)،والترمذي (٢/٢٧٨) ،والامام أحمد (٢/٣٠٣ ، ٣٣٤) ، والحاكم (٤/١٧١) ، وصححه الشيخ الالباني ، انظر " السلسلة الصحيحة " (٢/٦٣٣ح : ٩٢٧).

(٢) الخرساني . سكن البصرة ، ثم الشام ، صدوق عابد ،روى عن كبار التابعين . انظر تقريب التهذيب ص (٣٠٨) ترجمة رقم (٣٣٨٧) .

(٣) رواه ابن بطة في " الابانة عن شريعة الفرقة الناجية "- (١/٢٠٥ ح . ٤٣) ، ورواه الالكائي في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة "(١/٦٠ ح : ٣١)

(٤) أبو عبد الله الكوفي . ثقة متقن عابد . انظر تقريب التهذيب (ص ٤٢٦) ترجمة رقم (٥١٠٠) .

(٥) رواه ابن بطة في " الابانة عن شريعة الفرقة الناجية" (١/٢٠٥ح : ٤٤) وكلام هذا الإمام يحمل على الغالب ،والا فقد ينشأ الشاب مع أهل البدع ، ثم يتبين له الحق ، فيتوب ، ويرجع الى الطريق الصحيح ، والله اعلم .

الخاتمة

أحمد الله عز وجل ، وأشكره على توفيقه لى فى كتابة هذا البحث ، وعلى عونه لى على إتمامه ، على هذه الصورة .

وأختم بحثى هذا بعرض أهم النتائج التى توصلت إليها من خلاله ، وهى كالآتى :

الأولى : وجوب الإعتصام بكتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتمسك بدينه الذى شرع ، وعهده الذى عهد إلينا فى كتابه الكريم من الألفة والإجتماع على كلمة الحق ، وأنه لا تتحقق الألفة والإجتماع إلا بالرجوع إليهما .

الثانية : أن المقصود بالنهى عن الإختلاف إنّما هو فى أصل الدين والإعتقاد ، ولذلك يجب على المسلمين جميعا أن يراعوا ما أجمع عليه صدر الأمة من أمور الدين فى الإعتقاد والعبادة والسلوك والتمسك بذلك ، والإجتماع عليه ، وما كان من المسائل الإجتهادية التى يسوغ فيها الإختلاف فالأمر فيها واسع ، ويجب على المسلمين ألاّ يجعلوا من ذلك سببًا فى التحزب والتفرق .

الثالثة : أن للجماعة - التى أمر المسلمون بلزومها - مدلولين هما : -

١ - التمسك بما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم ، والسير على طريقة السلف الصالح فى الاتباع وترك الابتداع .

٢ - جماعة المسلمين التى لها إمام موافق للشرع ، فتحرم مفارقتها ، والخروج على إمامها . إذ الخروج محدد بشوابط شرعية فقد قال صلى الله عليه وسلم فى ذلك " إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان "

الرابعة : بقاء طائفة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ،ظاهرين على الحق ، منصورين إلى يوم القيامة ، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم ، وهذه الطائفة مفرقة بين أنواع المرء منين ،ولايلزم اجتماعها في مكان واحد ، وأنها تعرف بالتزامها بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم .

الخامسة : أن من أعظم أسباب الفرقة والإختلاف ، والبعد عن الصراط المستقيم : الإبتداع في الدين ، والجهل ، واتباع الهوى ، وتحكيم العقول وتقديمها على نصوص الشرع ، والتقليد والتعصب، والإغترار بما يقوله أهل الأهواء والبدع من طعن وتهجم على ائمة أهل السنة وعقيدتهم ، ومخالفة منهج أهل السنة والجماعة في النظر والإستدلال

السادسة : أن تصحيح الإعتقاد ، وتحكيم الكتاب والسنة وإخلاص الدين لله تعالى ، وتجريد المتابعة لنبية صلى الله عليه وسلم ،والتفقه في الدين ، وطلب الحق وتحريه . هي من أعظم الأسباب التي تحقق للمسلمين ألفتهم ، وتوحد صفوفهم ، وتعينهم على لزوم الجماعة التي امروا بلزومها .

وبعد ، فهذه هي أهم النتائج التي توصلت اليها في بحثي هذا وأسال الله عز وجل أن ينفعني وسائر المسلمين
بما جاء فيه من العلم النافع ، وأن يغفر لي ما جانبت فيه الصواب

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

فهرس الآيات

الآيـــــة	السورة	الصفحـــة
(الألف)		
ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم	الاحقاف آية ٤	١٧٨
ائنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء	النمل آية ٥٥	١٧٣
اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم	الاعراف آية ٣	٢٧٥، ٤١٥
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله	التوبة آية ٣١	٢٥٩
أرأيت من اتخذ إلهه هواه	الفرقان آية ٤٣	٢١٤
أفرأيت من اتخذ إلهه هواه	الجاثية آية ٢٣	٢١٤
أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم	البقرة آية ٨٧	٢١٣
أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق	الرعد آية ١٩	٤١٢
الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه	الزمر آية ١٨	٢٦٦
الرحمن على العرش استوى	طه آية ٥	٣٤٩
النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم	الاحزاب آية ٦	٣٧٦
اليه يصعد الكلم الطيب	فاطر آية ١٠	٣٤٩
أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله	الشورى آية ٢١	١٧٨
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	الحجر آية ٩	٣٦٣
ان اكرمكم عند الله اتقاكم	الحجرات آية ١٣	٢٢٩
ان الدين عند الله الاسلام	آل عمران آية ١٩	٥٧
ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء	الانعام آية ١٥٩	٣٢، ٣٦
ان الظن لا يغني من الحق شيئا	يونس آية ٣٦	٤١١
ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب .	آل عمران آية ١٩٠	٢٣٣
انما المؤمنون اخوة	الحجرات آية ١٠	٨
انما يتذكر أولو الألباب	الرعد آية ١٩	٢٣٣
انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا .	النور آية ٥١	٣٥٣

الآية	السورة	الصفحة
نما يخشى الله من عباده العلماء	فاطر آية ٢٨	٣٩٥، ٤٠٩
ن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم	الاسراء آية ٩	٤١٩
نه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة	المائدة آية ٧٢	٣٧٢
ن يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس	النجم آية ٢٣	٢١٣، ٤١٢
(ت)		
بارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير	الملك آية ٢	٣٧١
م (ث)		
م جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها	الجاثية آية ١٨	٢١٥
(ر)		
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا	البقرة آية ٢٨٦	٢٠٢، ٢١٠
(ش)		
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا	الشورى آية ١٣	٣٣، ٥٣
شهد الله أنه لا اله الا هو	آل عمران آية ١٨	٣٩٤
(ف)		
فاتقوا الله ما استطعتم	التغابن آية ١٦	٢١٠
فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم	الانفال آية ١	١٣
فادعوا الله مخلصين له الدين	غافر آية ١٤	٣٧٢
فاعبد الله مخلصا له الدين	الزمر آية ٢	٣٧٢
فأعرض عمن تولى عن ذكرنا	النجم ٢٩/٣٠	٤٠٣
فاعلم أنه لا اله الا الله	محمد آية ١٩	٤٠٤
فأقم وجهك للدين حنيفا	الروم ٣١/٣٢	٤٩
فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول	النساء آية ٥٩	٢٤٥
فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم	القصص آية ٥٠	٢١٣
فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون	النحل آية ٤٣	٣٩٢

تابع فهرس الآيات

الآية	السورة	الصفحة
فلا تتبعوا الهوى	النساء آية ١٣٥	٢١٦
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم	النساء آية ٦٥	٣٣٦،٣٧٥
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم	غافر ٨٣	٤٠٣
فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم	الصف آية ٥	٢١٧،٤١٤
فماذا بعد الحق الا الضلال	يونس ٣٢	٤١١
فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى .	طه ١٢٣	٤١٥
فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا	الانعام ١٤٤	١٧٧
فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون	البقرة ٣٨	٤١٥
- ق -		
قالوا يا موسى اجعل لنا الها	الاعراف ١٣٨	١٧٣
قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق	يونس ٥٩	١٧٨
قل أطيعوا الله والرسول	آل عمران ١٣٢	٣٥٢
قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون	الزمر ٦٤	١٧٣
قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى	الاعراف ٢٠٣	٢٧٥
قل انما أنا بشر مثلكم	الكهف ١١٠	٣٧٠
قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا	الانعام ٧١	٤٢١
قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين	الانعام ١٦٢/١٦٣	٣٧٢
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله	آل عمران ٣١	٣٧٤،٤١٥
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا	يونس ٥٨	٤٣
قل سيروا فى الأرض	العنكبوت ٢٠	٢٣٣
قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين	البقرة ١١١	١٧٨
- ك -		
كتاب أنزلناه اليك مبارك	ص ٢٩	٢٣٣
كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون	يونس ٢٤	٢٣٣

تابع فهرس الآيات

الآيـــــــــــــــــــــة	السورة	الصفحـــة
كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم	المائدة ٧٠	٢١٣
كونوا قوامين لله شهداء بالقسط	المائدة ٩	١٩٤
- ل -		
لافارض ولا بكر عوان بين ذلك	البقرة ٦٨	٤٣
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل	النساء ١٦٥	٢٣٤
لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنه	الاحزاب ٢١	٣٧٧
ليس كمثله شيء	الشورى ١١	٣٤٩
- و -		
وأبلغكم ما أرسلت به	الاحقاف ٢٣	١٧٣
واتبعوا أحسن ما انزل اليكم من ربكم	الزمر ٥٥	٢٧٥
واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله	البقرة ١٧٠	٢٥٣
واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله	البقرة ٩١	٢٦٤
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول	المائدة ١٠٤	٢٥٥
واذا سألك عبادي عني فاني قريب	البقة ١٨٦	٤١٨
واطيعوا الله واطيعوا الرسول	المائدة ٥١	٣٥٣
واطيعوا الله والرسول	آل عمران ١٣	٣٥٢
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئ	النساء ٣٦	٣٧٣
واعتصموا بحبل الله جميعا	آل عمران ١٠٣	٣٣٦
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا	الفرقان ٦٧	٤٣
والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار	التوبة ١٠٠	٣٢٥
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض	التوبة ٧١	١٠
والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى	النجم ١/٣	٢١٥
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى	النازعات ٤٠	٢١٧
وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم	النحل ٤٤	٣٦٢

الآيـــــــــــــــة	السورة	الصفحة
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا	الحجرات ٩	١٣
وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم	الانعام ١١٩	٢١٨
وانك لعلى خلق عظيم	آية ٢	٢٢٩
وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب	آل عمران ٧٨	١٧٧
وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه	الانعام ١٥٣	٢٨،٢٣
وتلك الأمثال نضربها للناس	العنكبوت ٤٣	٣٩٤
وقال ربكم أدعوني استجب لكم	غافر ٦٠	٤١٨
وقل رب زدني علما	طه ١١٤	٣٩٦
وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير	الزخرف ٢٣/٢٤	٢٥٦
ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا	الانعام ١٥٠	٢١٥
ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها	الاسراء ١١٠	٤٣
ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام	النحل ١١٦	١٧٦
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا	آل عمران ١٠٥/٠٧	١٧
ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك	الزمر ٦٥	٣٧٣
ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة	الانعام ١١١	١٧٣
ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة	هود ١١٨	٤٠
وما آتاكم الرسول فخذوه	الحشر ٧	٤١٦
وما أريد أن اخالفكم الى ما أنهاكم عنه	هود ٨٨	٤٠٧
وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين	البينة ٥	٣٧٢
وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم	هود ٢٩	١٧٣
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعدما جاءتهم البينة	البينة ٤	٥٧،٣٤
وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم	الشورى ١٤	٥٧، ٥٩٠
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم	الاحزاب ٣٦	٣٥٤
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى	النجم ٤/٣	٤١٩،٣٦٢
ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله	النساء ١٢٥	٣٧٠
ومن أضل ممن اتبع هواه	القصص ٥٠	٢١٣
ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا	الانعام ٩٣	١٧٧

تابع فهرس الآيات

الآيـــــــــــــــــة	السورة	الصفحة
ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم	المائدة ١٤	٣٨
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى	النساء ١١٥	٣٢٥
ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم	النساء ٦٩	٣٥٢
ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم	آل عمران ١٠١	٤١٦
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء	النحل ٨٩	٤١٩
ونقلب افئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة	الانعام ١١٠	٢١٧، ٤١٣
- ى -		
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته	آل عمران ١٠٢	١ ، ٣
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله	الحديد ٢٨	٤١٧
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديد	الأحزاب ٧٠	١
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول	النساء ٥٩	٣٥٣
يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا	الانفال ٢٨	٤١٦
يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله	الحجرات ١	٣٥٥
يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون	الصف ٢/٣	٤٠٦
يا أيها الناس اتقوا ربكم	النساء ١	١
يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض	ص آية ٢٦	٢١٦
يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات	المجادلة ١١	٣٩٦
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا	الروم ٧	٤٠٣
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه	آل عمران ١٠٦	١٠٤
يوم تقلب وجوههم فى النار .	الأحزاب ٦٦/٦٧	٢٥٧

الحديث	الراوى	الصفحة
- الألف -		
أبشروا ، وأملوا ما يسركم	عمرو بن عوف	١١
أتدرى ما حق الله على العباد ؟	معاذ بن جبل	٣٨٣
اثنان خير من واحد	أبو ذر	٧٠
ادرءوا الحدود بالشبهات		٤٧
اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث	أبو هريرة	٣٩٨
اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه	أبو هريرة	٣٥٨
اكلفوا من الاعمال ما تطيقون	أبو موسى الاشعرى	٣٨٠
ألا انى أوتيت القرآن ومثله معه	المقدام بن معديكرب	٣٥٩
ألا وان من ذهاب العلم أن يذهب جملته	أبو أمامة	١٨٣
ألا وانه يخرج فى امتى قوم يهوون هوى	معاوية	٢١٩
الرجل على دين خليله	أبو هريرة	٤٢٢
العلم ثلاثة	عبدالله بن عمر	٤٠٤
الكبر من بطر الحق	جمع من الصحابة	٤١٤
اللهم انفعنى بما علمتنى	أبو هريرة	٤٠٣
اللهم انى اعوذ بك أن اشرك بك شيئا	أبو موسى الاشعرى	٣٧٤
اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع	أبو هريرة	٤٠٣
اللهم انى أعوذ بك من منكرات الاخلاق	زياد بن علاقة	٢١٩
اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل	عائشة	٤١٩
المسلمون تتكافأ دماؤهم		٨
أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ؟	عدى بن حاتم	٣٥٩
ان الدعاء هو العبادة	النعمان بن بشير	٤١٨
ان الدين يسر	أبو هريرة	٣٨٠
ان الشيطان ذئب ابن آدم	معاذ بن جبل	٨٥
ان الله أمرنى بالجماعة	الحارث الأشعرى	٧٥
ان الله تعالى قد أجار لى على أمتى من ثلاث	كعب بن عاصم	٧٠
ان الله لا يجمع امتى على ضلالة	ابن عباس	٦٩
ان الله لا ينتزع العلم انتزاعا	عبدالله بن عمر	١٨٠
ان الله يرضى لكم ثلاثا	أبو هريرة	٦٤
ان المرء من للمرء من كالبنيان	أبو موسى الاشعرى	١٧٩
ان أمتى لا تجتمع على ضلالة	أنس بن مالك	٧٠
ان بين يدى الساعة أياما يرفع فيها العلم	أبو موسى الأشعرى	١٧٩
انما الأعمال بالنيات	عمر بن الخطاب	٣٨٢
انما أهلك من كان قبلكم من الامم باختلافهم	عبدالله بن عمرو	٨٥

تابع فهرس الاحاديث

الحديث	الراوى	الصفحة
انما شفاء العى السؤال	جابر بن عبدالله	٣٩٢
انما هلكت الامم قبلكم فى مثل هذا	عبدالله بن عمر	٨٥
ان مما اخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا	ابوسعيد الخدرى	٢٢٢
ان مما اخشى عليكم بعدى بطونكم وفروجكم ومضلات الاهواء	ابو برزه	٢١٩
ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم	انس بن مالك	١٧٨/١٧٩
انه ستكون هنات وهنات	عرفة بن شريح	٧٨
أوثق عرى الايمان الموالاة فى الله	ابن عباس	٩
اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة	العرباض بن ساريه	٣٤
ايكم يبايعنى على هؤلاء الايات الثلاث	عبادة بن الصامت	٢٤
ايما رجل خرج يفرق بين امتى فاضربوا عنقه	اسامه بن شريك	٧٨
- ت -		
تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا	ابن عباس	٣٥٦
ترك السنة الخروج من الجماعة	ابو هريرة	٨٧
- ث -		
ثلاث منجيات	انس بن مالك	٢١٨
ثلاثة لا تسأل عنهم	فضالة بن عبيد	٨٦
ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان	انس بن مالك	٩
- خ -		
خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا	ابن مسعود	٢٣/٨٨
خير الناس قرنى	ابن مسعود	٣٢٥
- س -		
سألت ربى عز وجل ثلاثا	انس بن مالك	٨٧
سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله	ابو هريرة	٩
ستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة	جمع من الصحابه	٧٩/٨١
سددوا وقاربوا	ابو موسى الاشعرى	٣٧٩
- ض -		
ضرب الله مثلا صراطا مستقيما	النواس بن سمعان	٨٨
- ط -		
طلب العلم فريضة على كل مسلم	انس بن مالك	٣٩٢
- ع -		
عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين	العرباض بن ساريه	٣٢٦/٣٥٦
- ف -		
فادعو بدعوى الله	عبادة بن الصامت	٢٧

تابع فهرس الاحاديث

الحديث	الراوى	الصفحة
فان خير الحديث كتاب الله	جابر بن عبدالله	٣٥٧
- ق -		
قال الله تعالى . أنا اغنى الشركاء عن الشرك	أبو هريرة	٣٨٣
قال الله تعالى . حقت محبتى للمتحابين فى	عبادة بن الصامت	٩
- ك -		
كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير	حذيفة بن اليمان	٦٧
كلاكما محسن	عبدالله بن مسعود	٨٤
كل امتى يدخلون الجنة الا من أبى	ابو هريرة	٣٨٦
- ل -		
لايؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه		٨
لا تزال طائفة من امتى على الحق ظاهرين	جمع من الصحابه	١٣١/١٢٦/٢٠/١٥
لاتزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس	ابن مسعود	٤٠٧
لايجمع الله هذه الامة على ضلالة	عبدالله بن عمر	٦٩
لا والذى نفسى بيده	عبدالله بن هشام	٣٨٤
لايؤمن أحدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده	انس بن مالك	٣٨٤
لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به	عبدالله بن عمر	٢٢٠
- م -		
ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم	كعب بن مالك	٢٢١
مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم	النعمان بن بشير	٧٣
من أحدث فى امرنا هذا ما ليس منه فهو رد	عائشة	٣٨٦
من أراد بحبوحة الجنة فليلتزم الجماعة	عمر بن الخطاب	٦٥
من أطاعنى فقد اطاع الله	ابو هريرة	٣٨٦
من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل	ابو هريرة	٤٠٥
من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميته	أبو هريرة	٧٧
من رغب عن سنتى فليس منى	عبدالله بن عمرو	٣٨٧
من سلك طريقا يطلب فيها علما	ابو الدرداء	٣٩٧
من طلب العلم ليجارى به العلماء	كعب بن مالك	٤٠٥
من عمل لله فى الجماعة	ابن عباس	٨٦
من فارق الجماعة شبرا	ابن عباس .	٧٥
من فارق الجماعة فانه يموت ميتة الجاهلية	عبدالله بن عمر	٧٥
من كره من اميره شيئا فليصبر	ابن عباس	٧٦
من نزع يدا من طاعة	عبدالله بن عمر	٨٦

تابع فهرس الاحاديث

الحديث	الراوى	الصفحة
من يرد الله به خيرا يفقه فى الدين	معاوية	٣٩٧
- ن -		
نحن معاشر الانبياء أولاد علات ديننا واحد	عبادة بن الصامت	٣٣
نضر الله عبدا سمع مقالتى هذه فحملها	انس بن مالك	٤٠١/٦٤
- و -		
وأن تعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا	العرباض بن ساريه	٥١
وأيم الله لقد تركتم على مثل البيضاء	ابو الدرداء	٤٢١
وذاك أوان ذهاب العلم	زياد بن عبيد	١٨٢
- ى -		
يا أيها الناس خذوا من العلم قبل أن يقبض	أبو امامة	١٨٢
يا أيها الناس عليكم بالجماعة	زكريا بن سلام	٨٦
يتقارب الزمان ويقبض العلم	ابو هريرة	١٧٩
يد الله على الجماعة	اسامة بن شريك	٦٩
يدرس الاسلام كما يدرس وشى الثوب	حذيفة	١٨٦/١٨٤

فهارس الآثـــــار

الآثـــــــــــــر	صاحبـــه	الصفحة
- أ -		
اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم	عبدالله بن مسعود	٣٢٦
أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد .	الشافعي	٢٦١
اذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعـــة فارجه اذا كان الرجل على الأثر فهو على الطريق	عمرو بن قيس	٤٢٢
اصبر نفسك على السنة	ابو حنيفة	٣٢٧
الاعتصام بالسنة نجاة	الزهري	٣٦٥/٣٩٠
الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة	عبدالله بن مسعود	٣٨٩
السني الذي اذا ذكرت الأهواء لم يتعصب لشيء منها	أبو بكر بن عياش	٢٨
الفتنة الشرك	أحمد بن حنبل	٢٦١
أنا على ملة محمد صلى الله عليه وسلم	معاوية	٢٩
انا نقتدي ولا نبتدي ، ونتبع ولا نبتدع	عبدالله بن مسعود	٣٢٦
أنتم في زمان يقود الحق الهوى	عبدالله بن مسعود	٢٢١
أنك لن تكون عالما حتى تكون متعلما	أبو الدرداء	٤٠٨
ان من نعمة الله على الشاب اذا تنسك أن يراعي صاحبه سنة		
أن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير	علي بن أبي طالب	٤٠٠
ايالك وكل شيء يسمى بغير الاسلام	ميمون بن مهران	٢٩
- ت -		
تفقهوا قبل أن تسودوا	عمر بن الخطاب	٣٩٩
- خ -		
خمس كان عليها اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم	الاوزاعي	٣٨٩
- س -		
سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر من بعده سننا	عمر بن عبدالعزيز	٣٦٥
- ع -		
عليك بالاثر وطريقة السلف	ابو حنيفة	٣٢٧
عليك بالاستقامة واتباع الاثر	ابن عباس	٣٦٤
- ف -		
فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا	مالك	٣٧٩
- ك -		
كان جبريل على الله عليه وسلم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل بالقرآن	حسان بن عطية	٣٦٢
كانوا لا يختلفون عن ابن مسعود في خمس	محمد بن سيرين	٣٦٤
كل يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب هذا القبر	مالك	٢٦٦

الاثـــــــــــــــــــر	صاحبه	الصفحة
- ل -		
لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمله الا عملت به .	أبو بكر الصديق	٣٨٩
لو خرج الدجال لرأيت أنه سيتبعه أهل الأهواء	محمد بن سيرين	٢٢١
ليس كل ما قال رجل قولا وان كان له فضل يتبع عليه	مالك	٢٦٦
- م -		
ما أبالي أي النعمتين أعظم	بعض السلف	٢٩
ما فرحت بشيء من الاسلام أشد فرحا بأن قلبي لم يدخله شيء من هذه الأهواء	عبدالله بن عمر	٢٢١
مثل عمل لا يعمل به كمثل كنز لاينفق منه .	أبو هريرة	٤٠٨
من أحب في الله وأبغض في الله	ابن عباس	١١
من قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم	الشافعي	٦٦
من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .	عبدالله بن مسعود	٣٢٧
- هـ -		
هتف العلم بالعمل ، فان أجابه وا ارتحل	علي بن أبي طالب	٤٠٨
- و -		
وتلق الحق اذا سمعته فان على الحق نورا	معاذ بن جبيل	٤٢١
ولا تتبعوا السبل .	مجاهد	٨٨
- ى -		
يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة .	عبدالله بن مسعود	٧٤

فهرس المراجع

١ - أبو حامد الغزالي والتصوف / عبدالرحمن دمشقية / دار طيبة / الرياض ط أولى ١٤٠٦هـ

٢ - احياء علوم الدين / أبو حامد الغزالي / دار المعرفة / بيروت

٣ - أدب الطلب ومنتهى الأرب / الشوكاني / دار الكتب العلمية بيروت / الأولى ١٤٠٢هـ

٤ - ارواء الغليل / محمد ناصر الدين الألباني / ط المكتب الاسلامي بيروت / دمشق / الثانية ١٤٠٥هـ

٥ - أشراط الساعة / يوسف بن عبدالله الوابل / دار طيبة / الرياض / الاولى ١٤٠٩هـ

٦ - اصول الفقه / محمد أبو النور زهير / المكتبة الفيصلية / مكة المكرمة / ١٤٠٥هـ

٧ - اعلام الموقعين / ابن القيم / دار الجيل / بيروت .

٨ - اغاثة اللهفان / ابن القيم / دار المعرفة / بيروت

٩ - أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام / د.محمد العروسي / دار المجتمع / جده / ١٤٠٤هـ

١٠ - اقتضاء الصراط المستقيم / ابن تيمية / تحقيق د . ناصر بن عبد الكريم العقل / الطبعة الأولى / ١٤٠٤هـ / مطابع العبيكان .

١١ - اقتضاء العلم العمل / الخطيب البغدادي / ضمن كتاب " من كنوز السنة " ط دار الأرقم / الكويت .

١٢ - ايقاظ هم أولى الأبصار / للغلاني / دار الكتاب الاسلامي / الاولى ١٣٥٤هـ

١٣ - الابانة عن شريعة الفرقة الناجية / ابن بطة العكبري / تحقيق رضا بن نعسان معطي / دار الراية / الرياض / الاولى ١٤٠٩هـ

١٤ - الابانة في أصول الديانة / أبو الحسن الاشعري / مكتبة دار البيان / دمشق / الطبعة الاولى ١٤٠١هـ

١٥ - الاتباع / ابن أبي العز الحنفي / المكتبة السلفية / لاهور / الثانية سنة ١٤٠٥هـ

١٦ - الاحكام في اصول الأحكام / ابن حزم . لابي محمد علي بن أحمد بن حزم الاندلسي / مطبعة الامام بالقاهرة .

١٧ - الاستقامة / ابن تيمية / تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم / مطبعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية / الاولى ١٤٠٣هـ

١٨ - الاعتصام / الشاطبي / دار المعرفة / بيروت ١٤٠٢هـ

١٩ - الامامة العظمى عند أهل السنة والجماعة / عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي / دار طيبة / الرياض / الاولى ١٤٠٧هـ

٢٠ - الامة والجماعة والسلطة / رضوان السيد / دار اقرأ بيروت / الاولى سنة ١٤٠٤هـ

٢١ ـ البداية والنهاية /ابن كثير/ ط دار الفكر العربي .
٢٢ ـ البدعة أسبابها ومضارها / محمود شلتوت/ مكتبة ابن الجوزي/ الاصداء / الاولى ١٤٠٨هـ
٢٣ـ البدعة وأثرها السيء في الامة / سليم الهلالي/ المكتبة الاسلامية / عمان / الاولى ١٤٠٤هـ.
٢٤ ـ البدعة والمدالح المرسلة / د . توفيق يوسف الواعي/ مكتبة دار التراث/ الكويت / الاولى١٤٠٤هـ
٢٥ ـ التدمرية في تحقيق الاثبات لأسماء الله وصفاته ابن تيمية / المطبعة السلفية / مصر / الطبعة الثالثة ١٤٠٠
٢٦ ـ التفسير القيم / ابن القيم / تحقيق محمد حامد الفقي/دار الكتب العلمية / بيروت ١٣٩٨هـ
٢٧ ـ التعريفات /الجرجاني/ دار الكتب العلمية .
٢٨ ـ التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية/من المباحث المنيفة / عبد الرحمن بن ناصر السعدي/ بتعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ط /دار ابن القيم .
٢٩ ـ الجامع العوام عن علم الكلام / مكتبة الجندي/ القاهرة .
٣٠ ـ الجامع لاحكام القرآن/ القرطبي/دار الكاتب العربي/القاهرة ١٣٨٧هـ/ الثالثة .
٣١ ـ الجماعات الاسلامية على ضوء الكتاب والسنة / سليم الهلالي وزياد الدبيس /الثانية ١٤٠١هـ
٣٢ ـ الدر السنية / احمد زيني دحلان/ الحلبي /القاهرة ١٤٠٠
٣٣ ـ الدر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد / الشوكاني/دار الكتب العلمية/ بيروت / ١٣٤٨هـ
٣٤ ـ الرسالة / الشافعي / تحقيق احمد محمد شاكر .
٣٥ ـ الرسالة التبوكية / ابن القيم / تحقيق طارق السعود/ ط مكتبة المنار ودار الهجرة الطبعة الثالثة١٤٠٥هـ
٣٦ ـ الرد على البكري / ابن تيمية / الدار العلمية /دلهي/الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ
٣٧ ـ الرد على الجهمية والزنادقة/ الامام احمدبن حنبل/ السلفية / القاهرة / الثانية /١٣٩٩هـ
٣٨ ـ الرد على الجهمية والزنادقة/ الامام احمد بن حنبل / تحقيق د . عبد الرحمن عميره / الطبعة الاولى١٣٩٧/دار اللواء/الرياض
٣٩ ـ السنن والمبتدعات / محمد عبدالسلام الشقيري/دار الكتب العلميه بيروت /١٤٠٠هـ

٤٠ - السنة / ابن ابى عاصم / المكتب الاسلامى / بيروت / دمشق/الاولى ١٤٠٠هـ.

٤١ - السيف الصقيل / السبكى/ مطبعة السعادة / مصر/ الاولى١٣٥٦

٤٢ - الشريعة / الآجرى/ تحقيق محمد حامد الفقى/دار الكتب العلمية بيروت/ الاولى ١٤٠٣هـ

٤٣ - الصارم المنكى فى الرد على السبكفى / ابن عبدالهادى/تحقيق اسماعيل الانصارى/ طبعة الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية الرياض ١٤٠٣هـ.

٤٤ - الصحاح / الجوهرى/ تحقيق احمدعبدالغفور عطار/ الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

٤٥ - الصفات الالهية فى الكتاب والسنة /د محمد امان بن على الجامى مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/ الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ.

٤٦ - الصواعق المرسلة /ابن القيم /تحقيق د. علىبن محمدالدخيل الله طبعة دار العاصمة/ الرياض/الاولى ١٤٠٨هـ.

٤٧ - الصواعق المنزلة /ابن القيم /تحقيق داحمدعطية الغامدى ود على ناصر الفقى/ الطبعة الاولى ١٤٠٦هـ

٤٨ - الطريق الى جماعة المسلمين / حسين بن محسن بن على عابر/ دار الدعوة / الكويت /الاولى١٤٠٥هـ

٤٩ - العزلة / الخطابى/ تحقيق ياسين محمد السواس/دار ابن كثير دمشق/ ١٤٠٧هـ

٥٠ - الفتح الربانى/ أحمدعبدالرحمن البنا الساعاتى/دار الشهاب القاهرة.

٥١ - الفرق بين الفرق/ البغدادى /دار المعرفة /بيروت.

٥٢ - القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى(ت٨١٧هـ) الناشر مؤسسة الرسالة.

٥٣ - القصيدة النونية / ابن القيم/ دار المعرفة / بيروت١٣٤٥هـ

٥٤ - المحجة فى سير الدلجة / ابن رجب/ ط دار البشائر الاسلامية / بيروت / ١٤٠٤هـ

٥٥ - المستدرك / الحاكم / الناشر مكتب المطبوعات الاسلامية /حلب

٥٦ - المسند /لاحمدبن حنبل / تحقيق احمد محمد شاكر/ طبعة المعارف

٥٧ - المصنف لابن ابى شيبة /الناشر. مختار احمد الندوى/الدار السلفيه الهند/١٩٧٩م.

٥٨ - المصنف /لعبد الرزاق الصنعاني/ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي /المكتب الاسلامي / بيروت / الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ
٥٩ - المقالات /الكوثري/ مقالات الكوثري ،ط/ مطبعة الانوار/القاهرة ١٣٨٨هـ
٦٠ - الموافقات / الشاطبي/ بشرح عبد الله دراز/دار الباز/مكة المكرمة .
٦١ - المواقف في علم الكلام / الأيجي/عالم الكتب / بيروت .
٦٢ - النصيحة في صفات الرب جل وعلا/ الجريني/ تحقيق زهير الشاويش /المكتب الاسلامي/ بيروت/ الثالثة .
٦٣ - النكت على كتاب ابن الصلاح ،/ابن حجر/ تحقيق د. ربيع بن هادي مدخلي / طبعة الجامعة الاسلامية/ بالمدينة المنورة ١٤٠٤هـ
٦٤- النهاية في غريب الحديث/ لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري/ابن الاثير/ المكتبة الاسلامية .
٦٥ - الولاء والبراء في الاسلام/ محمد سعيد القحطاني/ دار طيبة الرياض/ الاولى
٦٦ - بغية المستفيد / محمد العربي التبياني/ ط الحلبي/اولى١٣٨٠هـ
٦٧ - بيان فضل علم السلف على علم الخلف / ابن رجب الحنبلي/تحقيق محمدبن ناصر العجمي/دار الأرقم/الكويت/أولى ١٤٠٤هـ
٦٨ - تأنيب الخطيب / الكوثري/ ط/ دار الكتب العربي/بيروت ١٤٠١هـ
٦٩ - تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم/ الكوثري/وهو تعليقاته على السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل" للتقي السبكي" ط اولى /مطبعة السعادة / مصر ١٣٥٦هـ
٧٠ - تبسيط العقائد الاسلامية / حسن أيوب/ دار الندوة/بيروت/٥/١٤٠٣
٧١ - تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابي الحسن الاشعري/ابن عساكر / ط دار الفكر / بيروت .
٧٢ - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي/ المباركفوري/تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان/المكتبة السلفية/المدينة المنورة/ الثانية ١٣٨٥هـ
٧٣ - تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم/ابن جماعة الكناني/ دار الكتب العلمية/ بيروت .
٧٤ - تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة/د محمد امان بن علي الجامي مكتبة ابن الجوزي / الدمام/ الاولى.
٧٥ - تعليقات الكوثري على الأسماء والصفات للبيهقي/ط دار احياء التراث العربي/ بيروت/ المصورة عن ط مطبعة السعادة (١٣٥٨هـ)

٧٦ - تفسير القرآن العظيم / ابن كثير/طبعة الحلبي/القاهرة .
٧٧ - تفسير موضوعي للآيات القرآنية في الاعتصام ونذم التفرق والاختلاف ناصر بن سلطان المشعل/ رسالة تقدم بها الطالب لنيل درجة الماجستير في قسم التفسير بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٩هـ
٧٨ - تقريب التهذيب/ الحافظ بن حجر العسقلاني/ تحقيق محمد عوامة دار الرشيد - حلب الاولى ١٤٠٦هـ
٧٩ - تلبيس ابليس/ ابن الجوزي/مكتبة المدني/ جده / ١٩٨٣م
٨٠ - تنبيه أولي الابصار الى كمال الدين وما في البدع من الاخطار د صالح بن سعد السحيمي /دار ابن حزم /الرياض/الاولى١٤١٠هـ
٨١ - تهافت التهافت /ابن رشد / تحقيق د. سليمان دنيا - دار المعارف / مصر الثانية /١٩٧١م .
٨٢ - تهذيب الآثار / الطبري/تحقيق د. ناصر بن سعد الرشيد/عبد القيوم عبدرب النبي مطابع الصفا /مكة المكرمة . ١٤٠٢هـ
٨٣ - توضيح الكافية الشافية /عبدالرحمن بن ناصر السعدي/مكتبة ابن الجوزي/الدمام /الاولى/سنة ١٤٠٧هـ
٨٤ - تيسير العزيز الحميد/ سليمان بن عبدالله آل الشيخ/ المكتب الاسلامي - الثالثة/ ١٣٩٧هـ
٨٥ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ عبدالرحمن بن ناصر السعدي/ طبع الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية /الرياض ١٤٠٤
٨٦ - جامع البيان عن تاويل آي القرآن /ابن جرير الطبري(ت ٣١٠) / مصطفى البابي الحلبي / الثالثة/ ١٣٨٨هـ / مصر
٨٧ - جامع الرسائل / ابن تيمية / تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم مطبعة المدني/جده /الثانية١٤٠٥هـ
٨٨ - جامع العلوم والحكم/ ابن رجب/ الحلبي /مصر ١٣٨٢هـ
٨٩ - جامع بيان العلم وفضله /ابن عبدالبر/دار الكتب العلمية /بيروت ١٣٩٨هـ
٩٠ - جامع العلم /الشافعي/تحقيق محمد احمد عبدالعزيز/ط دار الكتب العلمية / بيروت/الاولى.
٩١ - جواهر المعاني/على حواشي التيجاني/الطبعة الاولى.
٩٢ - حد الاسلام وحقيقة الايمان /عبدالمجيد الشاذلي/ طبعة جامعة أم القرى/ مكة المكرمة الاولى١٤٠٤هـ

٩٣ - حكم الانتماء الى الفرق والاحزاب والجماعات الاسلامية / بكر بن عبدالله ابو زيد. / الاولى ١٤١٠هـ
٩٤ - حلية طالب العلم / بكر بن عبدالله ابو زيد /دار الراية / الرياض/ الاولى١٤٠٨هـ
٩٥ - خصائص أهل السنة /أحمد فريد/ مؤسسة قرطبة /مصر/ الاولى.
٩٦ - الخطط / المقريزي/ دار صادر / بيروت .
٩٧ - درء تعارض العقل والنقل /ابن تيميه /تحقيق محمدرشاد سالم طبعة جامعة الامام محمدبن سعود الاسلامية الاولى ١٣٩٩هـ
٩٨ - دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب/عبدالعزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف/ دار طيبة/ الرياض/الاولى ١٤٠٩هـ
٩٩ - ذم الهوى واتباعه /ابن القيم/تحقيق علي حسن عبدالحميد/المكتبة الاسلامية / الاردن الاولى ١٤٠٨هـ
١٠٠ - سلسلة الاحاديث الصحيحة / محمد ناصر الدين الألباني/ المكتب الاسلامي / بيروت / دمشق/الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ
١٠١ - سنن ابن ماجة / محمد بن يزيد القزويني/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/ طبع عيسى الحلبي وشركاه .
١٠٢ - سنن أبي داود / سليمان بن الأشعث/ تحقيق عزت عبيد/الدعاس / الناشر محمد علي السيد/ حمص .
١٠٣ - سنن الترمذي/ لابي عيسى الترمذي/تحقيق احمدشاكر/مطبعة مصطفى الحلبي /القاهرة .
١٠٤ - سنن النسائي / احمد بن شعيب / الناشر دار احياء التراث/العربي / بيروت .
١٠٥ - سير أعلام النبلاء /الذهبي/مؤسسة الرسالة/ بيروت /الرابعة١٤٠٦
١٠٦ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة / اللالكائي/ تحقيق د . احمد سعد حمدان/ دار طيبة /الرياض/الاولى .
١٠٧ - شرح العقيدة الطحاوية /ابن أبي العز الحنفي/تحقيق جماعة من العلماء / خرج أحاديثها محمد ناصر الدين الالباني/طبعة المكتب الاسلامي / الثامنة ١٤٠٤ /بيروت/ دمشق .
١٠٨ - شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري/عبدالله الغنيمان / دار المدني /جده /الاولى ١٤٠٥هـ
١٠٩ - شرف أصحاب الحديث / الخطيب البغدادي(٤٦٣هـ) تحقيق محمدسعيد خطيب أوغلي دار احياء السنة النبوية /انقرة /تركيا ١٩٧١م
١١٠ - صحيح البخاري / المطبعة السلفية/ بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي/ الاولى ١٤٠٤هـ

١١١ - صحيح الجامع الصغير / محمد ناصر الدين الالبانى/ المكتب الاسلامى / الاولى ١٣٨٨هـ .
١١٢ - صحيح سنن ابن ماجة / محمد ناصر الدين الالبانى/ مكتب التربية الرياض / الاولى .
١١٣ - صحيح سنن ابى داود / محمد ناصر الدين الالبانى/ مكتب التربية الرياض/ الاولى .
١١٤ - صحيح سنن الترمذى / محمد ناصر الدين الالبانى/مكتب التربية الرياض / الاولى .
١١٥ - صحيح سنن النسائى/ محمد ناصر الدين الالبانى/ مكتب التربية الرياض / الاولى .
١١٦ - صحيح مسلم / مطبعة دار احياء الكتب العربية /
١١٧ - صحيح مسلم بشرح النووى / النووى / المطبعة المصرية /
١١٨ - صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام /السيوطى / دار الكتب العلمية / بيروت .
١١٩ - ظاهرة الارجاء فى الفكر الاسلامى /د. سفر الحوالى /رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه فى قسم العقيدة بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة ام القرى ./ مكة المكرمة / ١٤٠٥/١٤٠٦
١٢٠ - عون المعبود/ شرح سنن ابى داود/ ابو الطيب العظيم آبادى/ تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان / المكتبة السلفية /المدينة المنورة / الثانية / ١٣٨٨
١٢١ - فتح البارى/ ابن حجر / دار الفكر/ بترقيم محمدفؤاد عبد الباقى وتعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز .
١٢٢ - فتح القدير /الشوكانى/ مصطفى البابى الحلبى/ الثانية /١٣٨٢
١٢٣ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد/ عبد الرحمن حسن آل شيخ طبعة رئاسة ادارات البحوث العلمية / الرياض .
١٢٤ - فى ظلال القرآن/ سيد قطب / دار الشروق/ التاسعة /١٤٠٠هـ
١٢٥ - قواعد المنهج السلفى / د. مصطفى حلمى /دار الدعوة /الاسكندريه الثانية / ١٤٠٥هـ
١٢٦ - قواعد منهجيه للباحث عن الحقيقة فى القرآن والسنة / د. فاروق احمد حسن دسوقى/دار الدعوة / الاسكندرية .
١٢٧ - كبرى اليقينيات الكونية / د. محمدسعيدرمضان البوطى/دار الفكر / الثامنة / ١٩٨٢م .
١٢٨ - لسان العرب / ابن منظور / دار صادر / بيروت .
١٢٩ - مجلة البحوث الاسلامية /الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية / الرياض / الاعداد/ ١٢، ١٤، ١٥، ٢٢ -

١٢٩ - مجلة الجامعة الاسلامية /الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة / العدد ٦٢ السنة ١٦/١٤٠٤هـ

١٣٠ - مجموع الفتاوى/ابن تيمية/ طبعة الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ١٤٠٤هـ

١٣١ - محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محمد الصادق عرجون دار القلم / دمشق /الاولى / ١٤٠٥

١٣٢ - مختصر الصواعق المرسلة /ابن القيم/ مكتبة الرياض الحديثة

١٣٣ - مدارج السالكين / ابن القيم/ تحقيق محمد حامد الفقي/دار الكتب العلمية / بيروت /١٣٩٢

١٣٤ - مذكرة اصول الفقه / على روضة الناظر / الشنقيطي/المكتبة السلفية /المدينة المنورة .

١٣٥ - مسند الامام احمد بن حنبل / المكتب الاسلامي / بيروت/الثانية ١٣٩٨

١٣٦ - معالم الانطلاق الكبرى/ محمد عبدالهادي المصري/ دار طيبة / الرياض / الاولى / ١٤٠٨هـ

١٣٧ - معالم التنزيل / البغوي/ تحقيق خالد عبدالرحمن العك / دار المعرفة / بيروت/الاولى/ ١٤٠٦هـ

١٣٨ - معارج القبول/ حافظ الحكمي / جماعة احياء التراث /

١٣٩ - معالم السنن / الخطابي/دار المعرفة / بيروت /

١٤٠ - مفاهيم يجب ان تصحح / محمد علوي مالكي/ الطبعة المصرية ١٤٠٥ هـ

١٤١ - مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين/الاشعري/تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد/الثانية/ مكتبة النهضة/ ١٣٨٩هـ

١٤٢ - مقدمة في اسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم / محمد العبده/دار الارقم / الكويت / الاولى / ١٤٠٥هـ

١٤٣ - مقدمة في اصول التفسير /ابن تيمية / دار القرآن الكريم بيروت / الثالثة / ١٣٩٩ هـ

١٤٤ - منهاج السنة النبوية /ابن تيمية /تحقيق د. محمد رشاد سالم / طبعة جامعة الامام محمدبن سعود الاسلامية/ الطبعة الاولى/١٤٠٦

١٤٥ - منهج السلف في العقيدة واثره في وحدة المسلمين/د. صالح السحيمي/ الاولى/١٤٠٩

١٤٦ - منهج كتابة التاريخ الاسلامي/محمد العليان / دار طيبة/الرياض

١٤٧ - منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات /الشنقيطي/ من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة /١٣٩٥هـ

١٤٨ - موقف ابن تيمية من الاشاعرة / د. عبدالرحمن بن صالح المحمود / رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية اصول الدين /بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية / الرياض/ ١٤٠٨هـ/ مطبوعة على الالة الكاتبة.

١٤٩ - وسطية أهل السنة بين الفرق/ د. محمد باكريم /رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بقسم العقيدة بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة /١٤٠٩هـ/ مطبوعة على الآلة الكاتبة.

فهـــرس الموضوعـات

الموضـــــوع	الصفحة
الباب الأول . الادلة من الكتاب والسنة في الحث على الجماعة وذم التفرق .	٣
الفصل الاول . الادلة من الكتاب في الحث على الجماعة وذم التفرق	٣
المبحث الاول . الادلة من الكتاب في الحث على الجماعة	٣
المبحث الثاني . الادلة من الكتاب في ذم التفرق	١٧
الفصل الثاني . الادلة من السنة في الحث على الجماعة وذم التفرق	٦٣
المبحث الاول . الادلة من السنة في الحث على الجماعة	٦٤
المبحث الثاني . الادلة من السنة في ذم التفرق	٧٥
الفصل الثالث . معنى الجماعة الواردة في الاحاديث	٩٠
الفصل الرابع . ما جاء في شأن الطائفة المنصورة	١٢٦
الباب الثاني . الاسباب المؤدية الى التفـــرق	١٤٣
الفصل الأول . الابتداع	١٤٨
الفصل الثاني . الجهل	١٧٣
مسألة العذر بالجهل	١٩٢
الفصل الثالث . اتباع الهوى	٢١٢
الفصل الرابع . تحكيم العقل وتقديمه على النصوص	٢٣٣
الفصل الخامس . التقليد والتعصب	٢٥٢
الفصل السادس . الدعاية السيئة ضد أهل السنة والجماعة وعقيدتهم	٢٨٠
الفصل السابع . مخالفة أهل الأهواء والبدع لمنهج اهل السنة في النظـــر والاستـــدلال	٣٠١
الباب الثالث . السبيل الى لزوم الجماعة	٣١٨
الفصل الأول . تصحيح الاعتقاد والرجوع الى عقيدة السلف الصالح	٣٢١
الفصل الثاني . تحكيم الكتاب والسنة	٣٥٢
الفصل الثالث . الاخلاص وتجريد المتابعة	٣٦٩
الفصل الرابع . طلب العلم الشرعي والتفقه في الدين	٣٩٢
الفصل الخامس . طلب الحق وتحريه	٤١١
الخاتمـــة .	٤٢٣
فهرس الآيات	٤٢٥
فهرس الأحاديث	٤٣١
فهرس الآثار	٤٣٥
فهرس المراجع	٤٣٧
فهرس الموضوعات	٤٤٦